التمهيد

العلاّمة المازندراني الخواجوئي (ت١١٧٣هـ)

ومنهجه في مفتاح الفلاح ومصباح النجاح

أولاً: حياته

هو الشيخ محمد اسماعيل بن الحسين بن محمد رضا بن علاء الدين محمّد المازندراني الأصفهاني المشهور بأسماعيل الخواجوئي، ويلقب بالمازندراني نسبة إلى منطقة (مازندران) في شمال إيران محل سكنى آباءه وأسلافه وكانت ولادته فيها ، كما يظهر ذلك من بعض آثاره. وبالأصفهاني نسبة إلى بلدة (أصفهان) المعروفة في ايران حيث نشأ وترعرع هناك إلى أن توفي ودفن فيها.[١].

واشتهر بالخواجوئي نسبة إلى محلّة معروفة تقع خارج اصفهان تسمى (جسر الخواجو) انتقل اليها الشارح في ما يسمى (بفتنة الأفغان) سنة ١١٣٤هـ ، التي حدثت في عصره من استيلاء الأفغان على ممالك ايران واستباحتهم دماء الشيعة وأعراضهم وأموالهم ، لذلك لم يكن لمؤلفاته شهرة بين العلماء [٢]، وكان من أسرة جليلة عرفت بعلمها وورعها ، له من الاولاد الملاّ محمد جعفر الذي عرف من علماء عصره وفضلائهم يُشار له بالبنان.

وكان العلاّمة المازندراني الخواجوئي (رحمه الله) من زعماء الشيعة الذين برزوا في الميادين العلمية والعملية تشهد بذلك مؤلفاته وآثاره التي خلّفها في الفقه والتفسير والحديث ، فكان آية عظيمة من آيات الله وحجة بالغة من حججه تعالى[٣].

وكان من مشايخه (رحمه الله) الذين تتلمذ على أيديهم وروى عنهم : الملاّ محمد صادق الاردستاني (ت١١٣٤هـ)، والمحقق الفاضل الهندي (ت١١٣٧هـ) صاحب كشف اللثام، وكان استاذه في العلوم النقلية والعقلية، والمولى محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني(ت١١٧٥هـ) صاحب كتاب الأكليل، والعالم الجليل الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي (ت١١٨١هـ)، ((الذي استطار فضله في الآفاق واستنارت البلدان بذكر اسمه مع مافيها من ظلمات الشقاق، فتلّقى علماؤها فضله بالقبول بالاتفاق، بلا منازعة ولا مماراة ولانفاق))[٤] وغيرهم[٥].

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب (الفوائد الرجالية) للشارح نفسه، وأعيان الشيعة، محسن الأمين:٤٠٢/٣.

(٢) ينظر: أعيان الشيعة: ٤٠٢/٣.

(٣) ينظر: الفوائد الرجالية: ٦.

(٤) تتميم أمل الآمل، الشيخ عبد النبي القزويني: ١١٧-١١٨.

(٥) ينظر: الفوائد الرجالية: ١٥

ومن تلامذته الذين تتلمذوا على يديه وذكرتهم التراجم الرجالية : العالم العارف محمد بن المولى محمد رفيع الجيلاني المشهور بالبيد آبادي الأصفهاني(ت١١٩٧هـ) وكان من اعظم حكماء عصره ماهرا في العقليات، والميرزا أبو القاسم المدرّس الأصفهاني الخواتون آبادي (ت ١٢٠٢هـ)، والملاّ مهدي النراقي(ت ١٢٠٩هـ) صاحب كتاب جامع السعادات، الذي كان لايفارقه ليلاً ولانهاراً حتى بلغ ما بلغ من العلم، وبرز من مجلسه جمع من العلماء الأعلام، ومن تلامذته أيضاً المولى محراب الجيلاني الحكيم العارف المشهور (ت١٢١٧هـ)[١].

وذُكر العلاّمة المازندراني الأخواجوئي بالثناء والاطراء والتبجيل والاجلال التام، من ذلك ما قاله الشيخ عبد النبي القزويني (توفي اوائل القرن الثالث عشر)، والذي كان من معاصريه : ((كان من العلماء الغائصين في الأغوار والمتعمّقين في العلوم بالأسبار، واشتهر بالفضل وعرفه كل ذكي وغبي، وملك التحقيق الكامل حتى اعترف له كل فاضل زكي. وكان من فرسان الكلام ومن فحول أهل العلم وكثرة فضله تزري بالبحور الزاخرة عند الهيجان والتلاطم والجبال الشاهقة والأطواد الباذخة إذا قيست إلى علو فهمه كانت عنده كالنقط والدراري الثاقبة إذا نسبت إلى نفوذ ذهنه كأنها حبط. حكى عنه الثقات أنه مرّ على كتاب الشفاء[٢]ثلاثين مرة امّا بالقراءة أو بالتدريس و بالمطالعة. وأخبرني بعضهم أنه كان سقط من كتاب الشفاء عنده أوراق فكتبها من ظهر قبله، فلما عورض بكتاب صحيح ما شذّ منه إلا حرفان أو حرف))[٣].

وقال عنه الشيخ عباس القمي (ت١٣٥٩هـ) : ((العالم الورع، الحكيم المتألّه الجليل القدر من أكابر علماء الإمامية، قالوا في حقه: كان آية عظيمة من آيات الله وحجة بالغة من حجج الله، وكان ذا عبادة كثيرة وزهادة خطيرة، معتزلاً عن النساء مبغضاً لمن كان يحصل العلم للدنيا، عاملاً بسنن النبي صلى الله عليه وآله، وكان في نهاية الاخلاص لائمة الهدى (عليهم السلام) مستجاب الدعوة مسلوب الأعداء معظماً في أعين الملوك والأعيان مفخماً عند أولي الجلالة والسلطان))[٤].

وذكره المحقق الخوانساري (ت١٤٠٥هـ) في كتابه (الروضات) بانه كان عالماً بارعاً وحكيماً جامعاً، وناقداً بصيراً ، حتى أن (نادر شاه) المعروف بسطوته وصولته كان لايهتم من بين علماء عصره إلا به ولايقوم إلا بإذنه ، ولاياخذ إلا قوله، ثم قال: ((غير أنّ هذا الشيخ

---

(١) ينظر: الفوائد الرجالية: ١٦.

(٢) كتاب الشفاء: لأبن سينا (ت٤٢٧هـ) موسوعة كبرى في العلوم الطبيعية، يتالف من خمس مجلدات، الأول عن (الالهيات) والبقية عن (المنطق)، اشتهرت في القرن الرابع الهجري.

(٣) تتميم أمل الأمل: ٦٧-٦٨.

(٤) الكنى والالقاب، عباس القمي: ٢٠٠.

الجليل لمّا كان في زمن فاسد عليل، وعصر لم يبق لأحد فيه إلى نصر العلم والدين سبيل ... لم يبق له مع كونه الفحل المحلّ العجب العجاب، كثير ذكر بين الأصحاب ولا جدير اشتهار لما صنف من رسالة وكتاب))[1].

وللعلاّمة المازندراني مؤلفات كثيرة تناول فيها موضوعات متعددة من العلوم والمعارف الاسلامية ، فأصبحت مؤلفاته موضع عناية واعجاب الدارسين والمفسرين

وقد جاوزت هذه المؤلفات الثمانين بين الرسائل والحواش والمؤلفات المتنوعة، منها: كتاب الأربعون حديثاً، والتعليقة على مفتاح الفلاح للشيخ البهائي، والحاشية على أجوبة المسائل المهنائيّة، والفوائد الرجاليّة، وبشارات الشيعة وهو مؤلف مشحون بالتحقيقات وبيان النكات وأنواع التنبيهات، والدرر الملتقطة من تفسير الآيات القرآنية، ورسالة في شرائط المفتي، ورسالة في تفسير آية(فاخلع نَعليك إنّك بالواد المقدّس)، ومنها مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح، وهو الكتاب الذي تقوم عليه هذه الدراسة، وغيرها من الآثار الاخرى[2].

ولم يتعرّض أصحاب التراجم إلى تاريخ ولادته (رحمه الله) فلم يُعثر على تاريخ محدد لولادته، وأمّا تاريخ وفاته، فكانت في الحادي عشر من شهر شعبان المعظّم (سنة ١١٧٣هـ) وكان عمره الشريف ثمانون سنة، وهذا يقرّبنا إلى تحديد تاريخ ولادته، فأنها نحو سنة(١٠٩٣هـ)، وله مزار معروف بـ(تخت فولاذ) في أصفهان[3].

ثانياً: التعريف بالكتاب ومنهج الشارح

دعاء الصباح من الأدعية الشريفة والمباركة، ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، كما ذكر الشارح ذلك بقوله : ((هذا الدعاء الشريف الموسوم بدعاء الصباح ... وان لم نجده بسند صحيح متّصل إلى ذلك الجناب المستطاب ، لكن نقل بعض الأصحاب[4] أنّه وجده بأسانيد صحيحة وروايات صحيحة متصلة إليه عليه السلام . ومع قطع النظر عن ذلك فعباراته الشافية وكلماته الوافية ومضامينه العالية ونظمه الغريب وأسلوبه العجيب أدل دليل وأعدل شاهد على صدوره من ذلك المصدر الأعلى تبارك مصدراً))[5].

---

(١) روضات الجنات، محمد باقر الموسوي الخوانساري: ١١٤/١.

(٢) ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية :١٦.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة: ٤٠٢/٣.

(٤) ذكره العلاّمة محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ) في بحار الأنوار: ٣٣٩/٨٤.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح، المازندراني: ١١.

نقله السيد علي بن الحسين القرشي في كتابه (أختيار المصباح)، وكان معاصراً للسيد ابن طاووس (ت٦٦٤)، والمحقق الحلي (ت٦٧٦هـ)، كتبه سنة ٦٥٣هـ، له نحو ثلاثين شرحاً أقدمها شرح أحمد بن محمد تشانجي زاده(ت٩٨٦هـ)[١] وشارح هذا الدعاء(المازندراني) توفي سنة ١١٧٣هـ فهو قديم نسبياً.

وكان سبب تأليفه هذا الكتاب، كما ذكر ذلك بأن هذا الدعاء بحر عميق وكلام دقيق صدر من مصدر التحقيق، فيحتاج إلى الاشارة إلى رموزه واسراره؛ ليمكن الوقوف على بعض معانيه واسراره[٢].

وقد أشار الشارح في نهاية شرحه إلى أنّه شرع في تأليف كتابه هذا في عنفوان شبابه ثم بيَض مسودته أواخر عمره الشريف ، وسبب ذلك ربّما يعود إلى ما أُبتلي به زمانه من وقوع الفتن والظلم والخراب وسفك الدماء الذي شهده عصره ، فقال : ((سوّده في عنفوان شبابه ، ونقله من السواد إلى البياض بعد شيبته ونفاد أيامه، واقتراب أجله، وكان السبب العائق له عن ذلك أمور شرحها يوجب الاطناب ، ونقلها يدهش الألباب ، ويشوّش الأحباب ، والى الله المشتكى ثمّ إلى رسوله وآله أئمة الهدى. العبد الحقير والآنس بمولاه الجليل محمد بن الحسين بن محمد رضا المازندراني))[٣].

وقد ذكر ذلك أيضاً صاحب كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة بقوله: ((أنّه ألّفه في عنفوان شبابه وبقي في المسودّة حتى نقله إلى البياض بعد شيبته لأسباب اقتضت ذلك . طبع بهامش (زاد المعاد)[٤]المطبوع بالقطع الكبير، أوله: اللهم يامن أذهب الليل مظلماً ....الخ . توجد توجد نسخة منه في (مكتبة حسينية التسترية) في النجف ، وأخرى في (مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة) في النجف أيضاً ، واسمه (مفتاح الفلاح في شرح دعاء الصباح)))[٥].

اتّبع الشارح في شرحه لمقاطع دعاء الصباح منهجاً واضحاً تبيّن ذلك من خلال دراسة هذا الكتاب على الرغم من أنّ الشارح لم يُشر إلى طبيعة منهجه الذي سار عليه في شرحه فقرات الدعاء.

---

(١) ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة: ٣/٣٢٩.

(٢) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٦.

(٤) زاد المعاد: كتاب ألّفه العلاّمة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي(ت١١١٠هـ) فرغ منه سنة(١١٠٧هـ) وهو في سني عمره الأخيرة، يتضمن طائفة من الأدعية والزيارات والأعمال المستحبة للأيام والأسابيع والشهور مع نبذة مختصرة عن بعض الأحكام الشرعية.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلاّمة الشيخ آقابزرك الطهراني: ١٣/٢٥٣.

وقد استقى الشارح مادته من موارد عديدة ومصادر متنوعة، فكان أبرزها شواهد من القرآن الكريم والقراءآت والحديث الشريف والشعر، ومنها أيضاً نهج البلاغة ، واعتمد على كثير من كتب اللغة والتفسير والمعاجم، منها : صحاح اللغة، والقاموس المحيط، والكشّاف، ومجمع البيان، ومفردات الراغب الأصفهاني، والنهاية لابن الاثير ، وكذلك من مصادر النحو كالمقتضب وغيره[١] ودوواوين الشعر[٢].

وكذلك تضمن الإشارة أو الاحالة على كتبه[٣] أو أسماء الأعلام أو كتبهم الذين أخذ عنهم[٤]، وأحياناً لايصرّح بأسمائهم أو كتبهم.

وتميّز منهجه بذكره المعنى اللغوي للألفاظ، وبيان مايلحقها من تغييرات نحوية أو لغوية، ويردفها بتحليل النص بلاغيّاً واسلوبياً وتوضيح المعنى البلاغي كالاستعارة والمجاز وغيرها. وتركّز اهتمام الشارح أيضاً على شرح المفردات وبيان أصلها، وأحياناً يترك بعض النصوص بلا شرح ؛ لبيان معناها ووضوحها لديه، وهو يشير إلى المصادر والعلماء الذين ينقل عنهم[٥]. وهذا دليل على أمانته في النقل، وتميّز منهجه الإشارة إلى آراء المدارس النحوية وآراء العلماء في بعض المسائل، وكذلك ترجيحات الشارح وآرائه وردوده[٦].

وفي مواضع كثيرة في الشرح ذكر الكثير من المعاني العرفانية والفلسفية وآراء الفلاسفة والمناطقة ويرد عليهم بالدليل والمنطق العقلي، مما يدل على سعة علمه واطّلاعه[٧].

فكان الشارح بحق موسوعة علمية تميّز بنظرته الشمولية للموضوعات التي تناولها باختلاف انواعها وفنونها ، فتداخلت تلك الموضوعات بين اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والقراءآت القرآنيّة، والتفسير والفقه والفلسفة.

---

(١) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٧٢، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٣٠.

(٣) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٣٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧، ٨١، ١٣٤، ١٥٧، ١٦٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٥.

(٧) ينظر: المصدر نفسه:٥١.

المبحث الأول

مباحث الأسماء

أولاً: الأسماء المعربة

الاسم قسمان: الأول معرب وهو الأصل، والثاني مبني وهو الفرع . والإعراب في اللغة: ((هو الإبانة، يقال: أعربَ عن لسانه، وعرّب أي أبان وأفصح عمّا في النفس، وأعرب عن الرجل بيّن عنه،.. وإنّما سمي الإعراب إعراباً لتبيينه وإيضاحه))[١].

أمّا في الاصطلاح: فقد عرّفه ابن جني(ت٣٩٢هـ) بأنّه: ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيدٌ اباه، وشكر سعيداً أبوه، علمتَ برفع أحدهما ونصب الاخر؟))[٢]. ويُعرّف أيضاً بأنّه الأثر الذي يجلبه العامل على الكلمات المعربة، أو هو اختلاف أواخر الكلم لفظاً أو تقديراً[٣].

فالنحاة لمّا رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعنى وتوضح عنها سمّوها إعرابا أو بياناً[٤].

والإعراب عند سيبويه(ت١٨٠هـ) هو ما يحدثه العامل من نصب، وجر، ورفع، وجزم، وفتح، وكسر، وضم، ووقف ((وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة اضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف، وإنّما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل –وليس شيء منها إلاّ وهو يزول عنه – وبين ما يبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، والتي لكل عامل منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب))[٥]. وأشار الدكتور مهدي المخزومي إلى أن الإعراب((بيان ما للكلمة أو الجملة من وظيفة لغوية، أو من قيمة نحوية، ككونها مسنداً إليه، أو مضافاً إليه، أو

---

(١) لسان العرب: مادة(عرب):٥٨٨/١.

(٢) الخصائص، ابن جني:٣٥/١.

(٣) ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني: ٤٧/١، وأسرار العربية، أبو البركات الأنباري: ١٩.

(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو، الزجاجي: ٩١.

(٥) الكتاب، سيبويه: ١٣/١.

فاعلاً، أو مفعولاً، أو حالاً، أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها الكلمات في ثنايا الجمل، وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام أيضاً))[1]. ومن مباحث الأسماء المعربة التي وردت في الشرح:

١- المرفوعات

المخصوص بالمدح أو الذّم (فاعل بئس)

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام):((**فَبِئْسَ المَطِيَّةُ الَّتِي أَمْتَطَأْت نَفسي مِنْ هَواهَا**))[2]. قال الشارح : ((**والمطيّة فاعل فعل الذمّ، والموصول بصلته صفة للمخصوص بالذمّ، وهو المطيّة المحذوفة المعيّنة بصفته للمطيّة المذكورة؛ لأن اللام فيها للعهد الذهني، وهو لواحد غير معيّن، يصير معيّناً بذكر المخصوص، ففي الكلام تفصيل بعد الاجمال، فيكون أوقع في النفس. و(من هواها) بيان للمطيّة المخصوصة بالذمّ، فهو المخصوص به حقيقة؛ لأنه لمّا قال : فبئس المطيّة وأجمل، فكأنه سئل عنها، وقيل ماهي؟ فقال : هي هوى نفسي الذي أمتطأته، أي جعلته مطيّة لها تمطي به في السير، أي: تمدّ وتسرع ولاتقف إلى حدّ**))[3].

أجمع النحاة على أنّ (نعم، وبئس) يستعملان للدلالة على إنشاء المدح والذم، فـ(نعم) وضع للمدح العام، و(بئس) للذم العام، قال سيبويه : ((وأصل نِعْمَ وبِئْسَ: نَعِمَ وَبَئِسَ، وهما الأصلان اللّذان وضعا في الرّداءة والصلاح، ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى))[4]. فقولنا (نِعْمَ الرجلُ محمدٌ) يدلّ على أننا مدحنا (محمداً) مدحاً عاماً وليس مدحاً لخصلة معينة فيه، وكذلك الحال بالنسبة إلى فعل الذم، ولكن قد تُذكر خصلة معينة لبعض خصال المدح أو الذم إذا أردنا ذلك كقولنا مثلاً: (نِعْمَ شاعرُ القوم حسَّانُ)[5].

وهما يدخلان على اسمين مرفوعين، يسمى الأول الفاعل، والثاني المخصوص بالمدح أو الذم، ويكون فاعلهما إمّا اسماً معرّفاً بـ(أل) الجنسية التي تفيد الاستغراق وشمول الجنس حقيقة،

---

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي:٦٧.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه:١٢٥.

(٤) الكتاب: ١٧٩/٢.

(٥) ينظر: همع الهوامع، السيوطي: ١٧/٣، ومعاني النحو، فاضل السامرائي:٦٦٩/٤.

كقوله تعالى : ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[١] وقولك: نعم الرجل زيدٌ، وبئس الغلام عمرو، أو يكون مضافاً إلى مافيه (أل)، كقوله تعالى:﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِيْنَ ﴾[٢]، أو أن يأتي مضمراً مفسرّاً بذكر بعده المخصوص بالمدح أو الذم[٣].

ومنه ما أشار إليه الشارح فيما يتعلّق بفاعل فعل الذم (بئس) في نصّ الدعاء، حيث ورد فاعل فعل الذم (المطيّة) معرّفاً بـ(أل) وهو ما ذهب إليه النحاة في مجيء الاسم المرفوع بعد فعل الذمّ فاعلاً ظاهراً معرفاً بـ(ال)[٤]، وذكر الشارح بأن المخصوص بالذمّ محذوف، وهو (المطيّة) المحذوفة، والاسم الموصول وصلته (التي أمتطأت) هي صفة للمخصوص المحذوف، وهذا من الايجاز البديع الذي تتمتع به اللغة العربية، حيث ذكر النحاة إلى أنه لايجوز الاكتفاء في اسلوب المدح والذم بذكر الفعل وفاعله، فلا نقول: (نِعْمَ الرجلُ) من غير ذكر المخصوص بالمدح أو الذم، أو الاشارة إليه[٥].

لذلك أشار الشارح إلى أنه لو قال: (فبئس المطيّة) ووقف، فكأنه سُئل عن ماهي المطيّة؟ فيكون الجواب: هي هوى نفسي الذي امتطأته. فحذف المخصوص بالذمّ لدلالة ماقبله عليه، فيكون تقدير الكلام: بئس المطية هوى نفسي الذي امتطته.

إنّ ما ذهب إليه الشارح يتماشى مع رأي النحاة في جواز حذف الموصوف وإبقاء الصفة، فإذا حاولنا الابتعاد عن التقدير، فيمكن – برأي الباحث–عدّ الاسم الموصول صفة للفاعل المذكور دون الحاجة إلى تقدير.

وعلى كلّ حال يظهر من آراء النحاة البصريين والكوفيين أنّ جملة المدح والذم فيها إشكالات وهي تخالف الشكل المعتاد للجملة العربية، لذلك كثرت الآراء فيها وفي تخريجها، فيبدو أنّ هذه الجملة هي عبارة عن صيغة جامدة[٦] تستعمل هكذا في مناسبات المدح والذم ولاتحتاج في مطلق الأحوال إعادتها لأصلها الذي ابتعدت عنه، ولكنه النحو المعياري هو الذي دفعهم لمحاولة بحث القاعدة التي تسير مع جميع الصيغ.

---

(١) الأنفال : ٤٠.

(٢) النحل : ٣٠.

(٣) ينظر: اللمع في العربية، ابن جني:٩٨، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني:٨٠/١.

(٤) ينظر: همع الهوامع: ٢٩/٥، وشرح قطر الندى، ابن هشام:١٨٦.

(٥) ينظر: شرح قطر الندى:١٨٦، ومعاني النحو:٦٧٤/٤.

(٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ١١٥.

٢- المنصوبات

نصب المصدر المحذوف عامله:

قال أمير المؤمنين علي(عليه السلام): ((سبحانكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِكَ))[١] .

قال الشارح: ((**سبحان: مصدر كغفران وسلطان، بمعنى التنزيه عن النقائص، ولايستعمل إلاّ محذوف الفعل منصوباً على المصدر بمحذوف من جنسه، ومتعلق الجار في (بحمدك) هو العامل المحذوف والتقدير: سبّحتك تسبيحاً وسبحاناَ، وسبّحتك بحمدك... وهو مضاف إلى المفعول، وربّما جوّز كونه مضافاً إلى الفاعل بمعنى التنزّه**)) [٢].

ذكر النحاة أنّ (سبحان) من المصادر الملازمة للإضافة، وهو مصدر سماعي غير متصرف ولايكون إلا منصوباً على المصدر[٣].

وهو ما ذهب إليه الشارح، فحُذف الفعل هنا قياساً، فلا يحتاج إلى ذكر الفعل[٤]، والتقدير: سبّحتك تسبيحاً مقروناً بحمدك.

واحتمل الشارح أنه مضاف إلى المفعول، أو كونه مضافاً إلى الفاعل جوازاً بمعنى التنزّه، ويرى الباحث أنّ إضافة المصدر إلى المفعول به وهو(الكاف) هو مايفيدنا من هذا الاحتمال؛ لأنه أي: المصدر هو اسم لما صدر عن فعل فاعل مذكور بمعناه، والتسبيح هو فعل يصدر من العبد وهو الفاعل. والتقدير: تنزيهي إيّاك عن كل ما لايليق بك وبحمدك جلّ ثناؤك.

النصب على الحال

عرّف النحاة الحال بأنّه((وصف هيئة الفاعل، أو المفعول به))[٥]، أو هو الوصف الفضلة المنتصب يأتي لبيان هيئة الفاعل أو المفعول[٦]. وأطلق سيبويه عليه (الخبر) و(الصفة)[٧]، أو

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه:١٧٥-١٧٦.

(٣) ينظر: الكتاب:٣٢٢/١، والمفصّل، الزمخشري: ٥٧، والمقتضب، المبرّد: ٢١٧/٣، وهمع الهوامع: ١٩٠/١.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية، الأستراباذي: ٣٠٦/١.

(٥) اللمع في العربية:٦٢/١.

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل:٥٢٨/١.

(٧) ينظر: الكتاب: ٨٧/١.

هو ((ما بين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً، نحو: ضربتُ زيداً قائماً، أو معنى، نحو: زيدٌ في الدار قائماً))[١]. ومن مباحث الحال التي وردت في الشرح:

- **مجيء الحال منصوباً من ضمير الفاعل والمفعول**

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((إلهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائي وَهَرَبْتُ إِلَيْكَ لاجِئاً مِنْ فَرْطِ اَهْوائي))**[٢]. قال الشارح: **((و(من فرط أهوائي) متعلّق بـ(هربتُ) والأضافة لاميّة، و(إليك) متعلّق بـ(لاجئاً) وهو منصوب على الحاليّة من ضمير المتكلّم، أي: وليتُ عنه مستنداً ظهري ومعتضداً بك قهري))**[٣].

فجاء الحال هنا منصوباً من ضمير المتكلّم الذي هو (تاء الفاعل) في الفعل (هربتُ) لدلالة سياق الدعاء عليه في التعبير عن حالة الداعي وهو يطرق باب رحمته تعالى ورضاه.

وكذلك ما ورد في قوله (عليه السلام): **((فَلا تَرُدَّني مِنْ سَنِيِّ مَواهِبِكَ خائِباً))**[٤]. قال صاحب الدعاء: **((و(خائباً) حال عن ضمير المفعول... والظرف مع المضاف إليه متعلّق به، أي: لاترجعني في حال خيبتي من عطيّاتك السَنيّة))**[٥]. وهو مجيء الحال عن ضمير المفعول وهو (الياء) في (تردّني).

- **حذف الحال وتعلق الجار والمجرور به**

يقع الحال جاراً ومجروراً متعلقاً بمستقر أو استقر محذوفين وجوباً[٦] كقوله تعالى﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**﴾ [٧]، أي متزيّناً. ومنه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): **((فَاجْعَلِ اللّهُمَّ صَباحِي هذا نازِلاً عَلَيَّ بِضِياءِ الهُدى))**[٨]. قال الشارح في تعليقه على(نازلاً عليّ بضياء الهدى): **((والباء : للملابسة، وهي بمدخولها متعلّقة بـ(نازلاً) منصوبة محلاً على الحاليّة من ضمير**

---

(١) التعريفات: ٨١.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه:٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه:٢٠٩.

(٦) ينظر: أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري: ٣٤٦/٢، وهمع الهوامع ١١٦/٣.

(٧) سورة القصص ٧٩.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٢.

(نازلاً). والمُراد بملابسته للهدى وقوعه فيه، بأن يكون ظرفاً للحسنات والطاعات دون المعاصي والسيئآت))[1]. أي: ضياءً واقعاً ومتلبّساً بالهدى، فموضع الجار والمجرور على هذا نصب بالحالية.

- **النصب على الحالية أو المصدرية أو التمييز**

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):((**وَأَنهرْتَ الْمِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخيدِ عَذْباً وَاُجاجاً**))[2]. احتمل الشارح عند شرحه لفظتي (عذباً وأجاجاً): ((**وهما منصوبان : إمّا على الحاليّة، أو المصدريّة، أو التميّزية، وهو الأظهر**))[3]، بأن نصبهما يحتمل ثلاثة أوجه :

الأول : الحاليّة:

فيكون تقدير الكلام في هذه المسألة: أجرى الله سبحانه المياه في الأنهار؛ لأنّ الأنهار لاتجري وإنّما يجري ماؤها من الصخور والأحجار الشديدة الصلابة حال كونها عذباً بعضها، وأجاجاً بعضها الآخر. ثم أشار إلى مسألة مطابقة الحال مع صاحبه في التذكير والتأنيث، فقال: ((**فإن قلت : كيف جوّز أن يكون عذباً وأجاجاً سآئلين من المياه ؟ والحال يجب ان تكون مطابقة لذيها في التذكير والتأنيث، وهنا قد انعدمت حيث لم يقل عذبة وأجاجة . قلت : معنى الكلام أنه تعالى أجرى المياه من الاحجار الشديدة الصلابة حال كونها عذباً بعضها وأجاجاً بعضها، كما في قول أمرئ القيس:**

كأنَّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي[4]

حيث لم يقل رطبة ويابسة، لكن ظاهره يقتضي حذف الفاعل وإبقاء رافعه، ولايجوّزه البصريون ولابعض الكوفيين، إلاّ أنْ يقال : تفصيل الحال لفظاً يستدعي تفصيل ذيّها، وهو يجوّز ثانيتها، فإنّ العذوبة بالنسبة إلى بعض والأجوجة بالنسبة إلى آخر. والاظهر أن يقال: قسماً عذباً وقسماً أجاجاً))[5].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٥.

(٤) قاله امرؤ القيس، يصف وكر العقاب، وصفها بكثرة صيدها للطيور، تأخذ قلوبها لتغذي بها فراخها، واليابس منها، هو الفاضل من الغذاء.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٨٥.

ذكر الشارح أن الحال يجب أن تكون مطابقة لصاحبها في التذكير والتأنيث، ولم تتحقق المطابقة هنا، فدفع ذلك بتقديره الكلام : عذباً بعضها، وأجاجاً بعضها، فالمفعول به (المياه) والحال الدال على التجدد (عذباً وأجاجاً)، وذهب النحاة إلى أنّ الحال الحقيقيّة هي التي تبيّن هيئة صاحب الحال مباشرة، ولابدّ ان تطابقه في التذكير والتأنيث، والأفراد والتثنية والجمع و في جمع التكسير يجوز في الضمير العائد إليه التذكير والتأنيث. [١]، وهذا يعني أنّه يجوز فيه التأنيث وعدم المطابقة دون تقدير في الوجه الأول(الحالية)؛ لأنّها تكون مطابقة لصاحبها كونه جمع تكسير.

ومنه أيضاً ما أشار إليه الشارح في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً))[٢]. قال الشارح:((**(مِنْ) ابتدائية، وهي بمجرورها في موضع النصب على الحاليّة من الماء. و(ثجاجاً) صفة له، وأنّما قدّم على ذيها لضرورة رعاية الفاصلة مع كونها ظرفاً. والمراد أنّه تعالى أنزل ماءاً ثجاجاً حال كونه مبتدئاً وناشئاً من المعصرات**))[٣].

وهو مايخص الحال شبه الجملة فجاء هنا (من المعصرات) مجرورا في موضع نصب حال ، أي: أنزلت ماءاً منصبّاً بكثرة حال كونه ناشئاً ومبتدئاً من السحب.

الثاني : المصدريّة، فجاء المصدر من إشتقاق الفعل (أنهرتَ)، أي أسلتَ الأنهار وأجريت فيها المياه، لأن الأنهار لا تجري وإنّما يجري ماؤها، والتقدير: أجريت المياه مرة عذباً وأخرى أجاجاً. فيكون مصدراً، وهو ما زاد على معنى عامله، فيفيد معنى النوع أو العدد، فيجوز تثنيتهما وجمعهما[٤].

الثالث : التمييزيّة

وهذا الوجه من النصب هو ما رجّحه الشارح بقوله : ((**والأولى أن يُحمل نصبهما على التميّزية، لعدم حاجته إلى التأويل، فإنّه يكون مفرداً، وإن كان المتميّز به مثنى أو مجموعاً، إذا كان جنساً يتشابه أجزاؤه ويقع مجرّداً عن التاء، ويطلق على القليل والكثير، كالماء والتمر**

---

(١) ينظر: أوضح المسالك: ٣٣١/٢، والنحو الوافي، عباس حسن: ٤٠٠/٢.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٦.

(٣) المصدر نفسه:١٨٦.

(٤) ينظر: همع الهوامع: ٧٣/٢، والنحو الوافي: ٢١٢/٢.

ونحوهما))[1]. فيكون نصبهما على التمييز دون الحاجة إلى تقدير أو تأويل في الكلام أي: أنهرت المياه عذباً وأجاجاً، على سبيل إقامة الفرع مجرّداً عن التاء كجنس ينتسب إلى نوع وهو الاصل[2].

فالتمييز يأتي مفرداً حتى وإنْ كان الاسم التام مثنى أو مجموعاً شرط أن يكون هذا التمييز جنساً تتشابه أجزاء مدلوله الخارجيّة في إطلاق اسم الكلّ عليها، ويكون مجرّداً عن التاء ((فلا حاجة إلى تثنيته وجمعه كالماء والتمر والزيت والضرب، بخلاف رجل وفرس، إلاّ أنْ تقصد الأنواع أي: ما فوق النوع الواحد فيشمل المثنى أيضا؛ لأنه لايدّل لفظ الجنس مفرداً عليها، فلابدّ من أن يُثنّى أو يُجمع))[3].

ويرجّح الباحث الوجه الذي رجّحه الشارح وهو النصب على التمييز؛ لعدم حاجته إلى التأويل، فالمقصود في هذه العبارة بيان قدرة الله في إخراج المياه التي تحصل على وجه الارض وهي عبارة عن فتحات في صخور القشرة الارضية تتدفق منها المياه الباطنية الى سطح الارض بصورة مستمرة عادة. وهذه المياه منها عذباً ومنها أُجاجاً.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٨٥.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٥١١/١، وهمع الهوامع: ٢٦٣/٢.

(٣) شرح ملاّ جامي (الفوائد الضيائية)، نور الدين الجامي :٣٠٩.

٣- المجرورات

في معاني الإضافة:

يُعرّف النحويون الإضافة بأنها ((نسبة تَقْيديّة بين اسمين توجب لثانيهما الجرّ))[١]. وهذه النسبة تقوم على ربط الاسمين فتجعلهما بمنزلة الشيء الواحد، أي إذا أضفنا اسماً مفرداً إلى اسم مثله مفرد أو مضاف، صار الاسم الثاني من تمام الاسم الأول فيصيران جميعاً اسماً واحداً، فيُجر الآخر بإضافة الأول إليه، كقولنا: هذا عبد الله[٢]. فيكتسب الاسم الأول بوساطة هذه الإضافة إلى الثاني سمات وخصائص كالتعريف والتخصيص[٣]. فيكون الاسم الأول معرَّفاً إذا كان الاسم الثاني معرِّفا، ومخصصاً إذا كان الاسم الثاني نكرة ويسمى الثاني المضاف اليه وهو مجرور والجر من مميزات الاسم .

وتحدث الشارح في مواضع كثيرة في الشرح عن الإضافة وأنواعها، منها اللامية والبيانية واضافة المشبه به إلى المشبه والصفة إلى الموصوف . ومن معانيها التأسف والتحسّر والندم، وأشار كذلك إلى حذف المضاف[٤]. ومن ذلك:

- **الإضافة اللاميّة**

ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ**))[٥]، قال الشارح في تعليقه على (ضِياءَ الشَّمسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ): ((**والإضافات بثلاثتها لاميّة، والباء سببيّة ... والضمير: إما عائد إلى الشمس، ولم يؤنث رعاية للسابقات، وموافقةً لسائر الفقرات. أو إلى الضياء، والمراد: أنّ لضيائِها تشعّلاً ولساناً، ولشعلته ولسانه نوراً خالصاً ليس كأنوار سائِر الشعَل، وما شاكله، فإنّ شعلته ولسانه إمّا لانور له، أو له نور غير خالِص، والمعنى أنّه تعالى طوّل ضياءها بسبب نور لسانه وشعلته. والمراد أنّه قدّر بلطيف حكمته دورانه حول الأرض... فيستضيء به أجزاؤها .. أو المراد أنّه جعل ضوءها متفرّقاً منتشِراَ**

---

(١) همع الهوامع: ٢٦٤/٤.

(٢) ينظر: المقتضب: ١٤٣/٢.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٧٢.

(٤) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٥٢، ٧٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٣٧.

ممتداً كالرِّماح ونحوها، ويُعبّر عنه بالخطوط الشعاعيّة، أو هو مبنيّ على ما ذهب إليه جماعة من الأوائل، من كونها أجساماً دِقاقاً تنفصل من المضيء وتتصل إلى المستضيء))[١]

وسمّاها سيبويه لام الإضافة[٢]؛ وذلك لتوافق معنى اللام مع الدلالة الوظيفية للإضافة . ويُطلق عليها إضافة الملك أو الاستحقاق والتخصيص، أي ان يكون المضاف إليه مالكاً أو مستحقاً ومخصصاً للمضاف، نحو قولنا : غلام زيدٍ، أي هو مالكه على معنى (غلامٌ لزيدٍ)، وكذلك قولك: سرجُ الدابة، أي أنّ الدابة تستحق السرج ولاتملكه، فيكون على معنى الاستحقاق (سرجٌ للدابةِ) . وأيضاً قولنا: (أخذتُ بلجام الفرس)، فالإضافة في هذه الصور وأشباهها تأتي على معنى : اللام، ولاتصلح ان تكون على معنى (من) أو(في)[٣]. ونلاحظ أن الشارح ذكر أن الإضافة هنا لاميّة، واحتمل لها معانٍ عدّة، منها إضافة الضياء للشمس لاستحقاقها له، والنور للتأجج، وكذلك عود الضمير في (تبلّجه) وتفسير العائد، وبحسب مايقتضيه السياق وهنا في تمجيد الله عزّوجلّ وما أنعم به على عبادة بأن مدّ ضياء الشمس وأطاله ليشمل الأرض كلها.

- **تعدد معاني الإضافة**

ومن المعاني المتعددة للإضافة ماورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وأَغْرِسِ اللَّهُمَّ بِعَظَمَتِكَ فِي شِرَبِ جَنَانِي يَنَابِيعَ الْخُشُوعِ))[٤]. قال الشارح في تفسيره معنى(يَنَابِيعَ الْخُشُوعِ): **((وينابيع الخشوع: مفعول(أغرس)، والإضافة: إمّا بيانيّة، أو لاميّة، أو من قبيل إضافة اللُجين إلى الماء. والخشوع : التذلل والخوف والخضوع...ولعلّه (عليه السلام) شبّه جِنانه بالجِنان، فأثبت له الشرف، وشبّه الخشوع بالأشجار، فأثبتَ له الغرس، ثمّ طلبَ لإسقائه وإنمائه الينابيع، إلا أنّه جعلها من متعلّقات الغرس توسّعا، أو ضمّن الإغراس معنى الإنباع والإبداع، أي: أغرس منبعاً، أو مودعاً في شِرب جناني، أو كان في الأصل شجرات الخشوع بقرينة زفرات الدموع))**[٥]

فاحتمل الشارح للإضافة معانٍ ثلاثة بحسب ما يقتضيه السياق: إمَا بيانية، وتكون على تقدير حرف الجر(مِن) ((وضابُطها أن يكون المضاف إليه جنساً للمضاف، بحيث يكون المضاف بعضاً من المضاف اليه، نحو: هذا بابُ خشبٍ، ذاك سوار ذَهبٍ، هذه أثوابُ صوفٍ،

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٨-٣٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢١٧.

(٣) ينظر: جامع الدروس العربية: ٢٠٦/٣، والنحو الوافي: ٣/ ٢٠.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩١.

(٥) المصدر نفسه:٩٢.

فجنس الباب هو الخشب، وجنس السوار هو الذهب، وجنس الثوب هو الصوف، والباب بعض من الخشب، والسوار بعض من الذهب، والأثواب بعض من الصوف أو من جنس الصوف))[١]. فيكون تقدير الكلام: ينابيع من الخشوع، بتشبيه الخشوع بالنبع. أو لاميّة، والتقدير: ينابيع للخشوع، على معنى الإستحقاق، أو إضافة تشبيهية من إضافة اللُجين إلى الماء: وهي ما كانت على تقدير معنى كاف التشبيه، وضابطها أن يضاف المشبه به إلى المشبه، مثل: (انتثر لؤلؤ الدمع على ورد الخدود)[٢]، أي كاللؤلؤ. فيكون تقدير الدعاء: خشوع كالينابيع. وهذا الاحتمال هو الأوفق بالمقام كما يرى الباحث.

- **إضافة المتعاطفيَن**

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((**وَأَدّبِ اللّهُمَّ نَزَقَ الخُرقِ مِنّي بِأَزِمَّةِ القُنُوعِ**))[٣]. قال الشارح :((**إضافة النزق إلى الخرق :إمّا لامية، أو بيانيّة، أو كان في الأصل:أدّب اللهمّ النزق والخرق منّي . فحذف العاطف وأُضيف النزق إلى الخرق لشدّة امتزاج بينهما في المناسبة اللفظية والمعنوية، كما قال الشيخ الرضي في نظائره**[٤]**، وسمّى هذا التركيب شبيهاً بالمزجي**))[٥].

فقد ذكر في شرحه لمقطع الدعاء إضافة (النزق) إلى (الخرق) فذكر هنا نوع الإضافة في إضافة المضاف إلى المضاف اليه، فهي إمّا لامية، بمعنى (اللام)، أي: على تقدير (النزق للخرق)، فإن فسّرنا الإضافة هنا على معنى (اللام) التي للملك أو الاختصاص، فالإضافة بمعنى (اللام) لايشترط فيها صحة ظهور (اللام)، لما فيه من تعارض مع اصل المقصود بالإضافة، فيكون قد جُمع على الاسم تعريفين وذلك لايجوز كما ذكره النحاة[٦].

---

(١) جامع الدروس العربية: ٢٠٦/٣.

(٢) ينظر :المصدر نفسه:٢٠٧/٣.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩٦.

(٤) قال الرضي: ((فإذا أُضيفت هذه الظروف والأحوال، فإمّا أن تكون الإضافة بمعنى اللام ، على المعنى المذكور فيها عند عدم تقدير الحرف ، وإمّا أن تكون لتشبيه هذه المركبات بالمضاف والمضاف إليه كما قلنا في معد يكرب ، وكذا في نحو: خمسة عشر إذا جعل علماً، جازت الإضافة تشبيها)) ، شرح الرضي على الكافية:١٤٣/٣-١٤٤.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٠.

(٦) ينظر: أوضح المسالك: ١٤٤/٣.

وإمّا بيانية، على تقدير(من)، أي:(نزق من الخرق) فيكون معناها من العام إلى الخاص؛ لأن (النزق) معناه الوثوب والطيش وهو جزء من معنى (الخرق) الذي هو الجهل والحمق. وإمّا إضافة المتعاطفين بعد حذف حرف العطف وأُضيف (النزق) إلى (الخرق)؛ لشدّة امتزاج اللفظ والمعنى بينهما، حتى عدّ هذا التركيب أشبه بالتركيب المزجي، الذي يعني: ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى وجعلهما اسماً واحداً إعراباً وبناءً[١].

ويرى الباحث انّ الإضافة البيانية هي الأنسب في هذا المقام. أي: النزق من الخرقِ. فتكون هنا من باب إضافة الجزء إلى الكلّ، كقولنا: خيطُ حريرٍ.

- **إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول**

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَإن خَذَلَني نَصرُكَ عِندَ مُحارَبَةِ النَفسِ وَ الشَيطانِ فَقَد وَكَلَني خُذلانُكَ إلى حيثُ النَصَب والحِرمانِ**))[٢]. قال الشارح : ((**المحاربة مضافة : إمّا إلى الفاعل، أو المفعول، أي: محاربتهما إيّاي، أو محاربتي إياهما، أو محاربة كلّ مع الآخر، على ان يكون المراد بالنفس: النّفس اللوّامة أو الملهمة**))[٣]. حيث ذكر الشارح هنا إضافة المصدر(المحاربة) والتي تعني الاشتراك في الفاعلية والمفعوليّة إمّا إلى الفاعل أي: محاربتي إياهما، أو إلى المفعول، أي: محاربتهما إياي، أو محاربة كلّ مع الآخر.

وذهب النحاة في هذه المسألة إلى أنَّ المصدر إذا أُضيف إلى فاعله جرّه ويبقى المفعول منصوباً، وإن أضيف إلى مفعوله جرّه في اللفظ، ورفع الفاعل في المحل[٤]. لكنّهم عدّوا إضافته إلى المفعول مع رفعه الفاعل ضعيفاً[٥].

ويرى الباحث أنّ هناك قرينة ترجّح الوجه الثالث، أي:(محاربة كل مع الآخر)، وهذه القرينة هي صيغة المصدر (محاربة) التي تدل على الاشتراك أو المشاركة.

---

(١) ينظر: في أصول اللغة، أحمد مختار عمر: ٥٢/٤.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١٤.

(٣) المصدر نفسه:١١٤– ١١٥.

(٤) ينظر: المقتضب: ١٤/١، وشرح المفصّل: ٦٢/٦، وشرح ابن عقيل: ١٠٢/٣.

(٥) ينظر: المقرب، ابن عصفور: ١٤٣، وشرح شذور الذهب: ٣٨٢.

- **إضافة الصفة إلى الموصوف**

ومنه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَوَاطِرِ الظُّنُونِ**))[١]. فقد بيّن الشارح نوع الإضافة في(خواطر الظنون) وفسّرها بحسب السياق، فقال:ّ ((**أي : القلوب والعقول. والإضافة لامية...ويحتمل أن تكون إضافة الخواطر إلى الظنون إضافة الجرد إلى القطيفة، يعني أنّه تعالى قريب من الظنون الخاطرة بالقلوب . أو المراد: أنّه تعالى عالِم بذات الصدور لاحجاب بينه وبينها، فهو قريب عِلماً، بعيد ذاتاً**))[٢].

ذهب النحاة إلى أنّه لا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته ولا الصفة إلى موصوفها، وقالوا دار الآخرة، وصلاة الأولى على تأويل دار الحياة الآخرة، وصلاة الساعة الأولى[٣]، وقالوا أيضا: عليه سحق عمامة وجرد قطيفة، وأخلاق ثياب، فقدّروا موصوفاً محذوفاً وجعلوا الصفة مضافة إلى جنسها، أي: شيء سحق من جنس العمامة، وشيء جرد من جنس القطيفة[٤] كقولهم: خاتم فضة فتكون الإضافة بمعنى (من) ، وأمّا الكوفيون فيجيزونه من دون تقدير[٥]. فنجده موافقاً لما ذهب إليه النحاة في هذه المسألة، أي: إضافة الصفة إلى موصوفها.

ويرى الباحث كون الإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أولى، والمعنى عليه مستقيم والكلام به بليغ وجميل.

ومثله ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إِلَهِي إِنْ لَمْ تُبَدِئني الرَّحمَةُ مِنْكَ بِحُسنِ التَّوفيقِ، فَمَنْ السّائِلُ بي إِلَيكَ في وَاضِحِ الطَّرِيقِ**))[٦]، قال الشارح في بيان معنى (واضح الطريق): ((**والإضافة في (واضح الطريق) من إضافة الصفة إلى الموصوف**))[٧]، وكذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَإِنْ أَسْلَمَتْني أَنَاتُكَ لِقَائِدِ الأَمَلِ وَالمُنَى، فَمَنْ المُقيلُ عَثَراتي مِنْ كَبْوَةِ الهَوَى**))[٨]. قال الشارح في تعليقه على (مِنْ كَبْوَةِ الهَوَى):((**والكبوة: العثرة، ومنه الجواد قد يكبو، و(مِنْ) إبتدائيّة، والإضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف، والهوى: مقصور، وهو الذي تميلُ إليه القلب من**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٥٢.

(٢) المصدر نفسه:٥٢-٥٣.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني: ٣٤/١، والمفصّل: ١١٧، وأوضح المسالك: ١٠٩/٣-١١٠.

(٤) ينظر: المفصّل: ١٢٣، وأوضح المسالك: ١١٠/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن، الفرّاء:٣٣٠/١، و٥٦/٢-١٦٨.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٤.

(٧) المصدر نفسه: ١٠٧.

(٨) المصدر نفسه: ١٠٨.

المحبوبات والمشهيّات... والمعنى : إن ألقتني أناتك وتأخير عقوبتك وحلمُك إلى قائد من جنس الأمل، والمُنى يقودني ويجرّني إلى حيث ما يجرّني، فتكثر عثراتي، فمَنْ المقيل عثراتي المبتدأة من الهوى الكابية العاثرة))[1]. فالهوى جنس من الأمل وشريكه في تأسيس قاعدة الشرّ وجرّ النفس عن مسارها الصحيح والإطاحة بها في المعاصي والرذائل[2]، فجاءت الإضافة هنا من إضافة الصفة إلى الموصوف.

مسألة في (غير) :

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمارِسَ فيما ابْتَدَعَتَه لُغُوباً وَلا عِلاجاً**))[3].

قال الشارح: ((**كلمة (غير) وضعت للمغايرة، وهي مستلزمة للنفي، فتارةً يُراد بها إثبات المغايرة، كما في (غير المغضوب عليهم ولا الضآليّن)، فيكون إثباتاً في حكم النفي لتضمّنه إيّاه، فيجوز تأكيده بـ(لا)، وأخرى يراد بها النفي، كقولك : أنا غير ضارب زيد، أي: لستُ ضارباً له، لا أنّي مغاير لشخص ضارب له، فلفظة (لا) مزيدة لتأكيد ما في (غير) من معنى النفي))**[4].

ذهب النحاة إلى أنّ (غير) اسم يلازم النفي، فتأتي للنفي المجرّد من دون إثبات معنى به، نحو: مررتُ برجلٍ غير قائمٍ، أي: لاقائم . وتختص بنفي الاسم المفرد بعدها بلا شرط، فهي تنفي المفرد ولا يلزم تكرارها[5]. والنفي بـ(غير) يختلف عن غيره من أدوات النفي الأُخر؛ لأنه يفيد الإثبات لغير المذكور، ويفيد النفي عن المذكور بلفظ المغايرة [6] . فعلى هذا يكون المراد بكلام الإمام (عليه السلام) إثباتاً في حكم النفي بلفظ المغايرة؛ وهذه الصورة الأولى التي ذكرها الشارح.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١١.

(٢) ينظر: أضواء على دعاء الصباح، عز الدين بحر العلوم:٢١٧.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٩٠.

(٤) المصدر نفسه:١٩٠.

(٥) ينظر: كتاب الأزهية في علم الحروف، الهروي: ١٧٩، والمفردات في غريب القرآن، الاصفهاني: ٣٦٨، وشرح الرضي على الكافية: ١٦٥/٢.

(٦) ينظر: معاني النحو: ٢١٠/٤.

وأمّا الصورة الثانية : فيراد بـ(غير) النفي عن المذكور،، أي: ليس فيما ابتدعت لغوباً أو علاجاً. فتكون (لا) زائدة لتوكيد معنى النفي في (غير).

ويرجّح الباحث أنّ النفي بـ(غير) هنا أفاد الإثبات في حكم النفي لتضمّنه معنى النفي مؤكدّاً، فيجوز تأكيده بـ(لا)، أي: نفي الإعياء والتعب أو المداراة عنه سبحانه فيما ابتدعه خصوصاً، وإثباته لغيره استنتاجاً؛ لأن الإعياء والتعب والعلاج من صفات الجسم، والله تعالى أجلّ وأرفع من أنْ يكون جسماً تحيطه لوازم الجسم وما يعترضه[1].

(١) ينظر: شرح دعاء الصباح، الشيخ حسن مكي الخويلدي:٨٣.

ثانياً: الاسماء المبنيّة

البناء في العربية: لزوم أواخر الكلمات حالة واحدة بلا تغيير، أو هو حالة لا موجب فيها لحركة الإعراب أصلاً. وتُقسم الأسماء المبنية على قسمين، قسم مفرد، وقسم مركّب[١]، واتفق النحاة على أنّ الأسماء تبنى إذا أشبهت الحرف بوجوه كثيرة.

والأسماء المبنية كثيرة منها الضمائر بانواعها، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، واسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وأسماء الأفعال، والظروف، والمنادى العلم... وغيرها. وسنقتصر في هذا المبحث على ما ورد من هذه الأقسام من مفردات تخص الأسماء المبنية في الشرح، وأهمها الاستفهام .

أسماء الاستفهام

يعد الاستفهام من الأساليب التركيبية التي تتضمن دلالتها طلب الفهم عن شيء لم يكن معلوماً، إذ ورد في المعاجم اللغوية حاملاً معانٍ عدّة منها: استفهمت الشيء طلبت فهمه[٢].

وامّا في الاصطلاح : فالاستفهام قسم من اقسام الإنشاء الطلبي، يعني استخباراً وفهماً وطلباً عن شيء لم يكن واضحاً من قبل بأداة من أدوات الاستفهام الكثيرة. وجعله ابن فارس(ت٣٩٥هـ) كالاستخبار الذي يعني طلب خبر ما ليس متوفرا عند المُستخبر[٣].

- **(مَنْ) الاستفهامية:**

ومن المواضع التي أشار إليها الشارح في معنى (مَن): ما أورده في شرح قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((**وَإِنْ أَسْلَمَتْنِي أَنَاتُكَ لِقَائِدِ الأَمَلِ وَالْمُنى فَمَنِ الْمُعِيْلُ عَثَرَاتِي مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى؟**))[٤]. قال الشارح: ((**والأصل في (مَن) أنْ يطلب به الأمر الذي يُعرض لذي العلم، فيفيد**

---

(١) الأصول في النحو :١١٤/٢.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣٤٣/١٠.

(٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس: ١٥١.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٠٨.

تشخصّه، إلاّ أنّه هنا استعمل لمجرد الاستبعاد والاستنكار، كما في قولك : مَن ذا فعل كذا ؟ أي ليس لعثراتي مقيل دونك))[1].

إذ ذكر الشارح أنَّ (مَن) الاستفهامية خرجت لغرض آخر غير الاستفهام وهو غرض الاستبعاد والاستنكار، مما يناسب المقام الذي وردت فيه؛ لأن الاستبعاد معناه عدّ الشيء بعيداً، والمتعلق به غير متوقع، وهو نمط بلاغي للاستفهام مجازاً يوضّح فيه المتكلم أنّ حدوث أمر ما يكاد يكون متخيلاً أو مستحيلاً[2].

وأمّا الاستفهام الاستنكاري، فيراد به النفي مع الانكار على المثّبِتِ كيف أثبت ما هو ظاهر النفي، وكان الأولى نفيه، أو الاستفهام عن امر تنكره وتستهجنه، وفائدته محاولة المتكلم تنبيه نفسه حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع[3]. أي: إنْ وكلتني يا إلهي إلى نفسي الجانية الأمّارة بالسوء، وأوهامي وآمالي فمن يزيل آثار زلاتي الكثيرة غيرك؟ فهو يستبعد، وينكر أن يكون غيره تعالى مقيلاً لعثراته وزلاّته.

ويتفق الباحث بأن المتمعن للخصيصة التي جاءت هنا عن طريق اسم الاستفهام (مَن) يَلحظ خروج الاستفهام عن دلالته الاصليّة إلى معنى بلاغي يفيد الاستبعاد والاستنكار بفضل طبيعة المقام وسياق الحال الذي دلّ على هذا التعبير.

ومن المعاني التي خرجت إليها(مَنْ) غير الاستفهام في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):((**مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَتَكَ**[4]**فَلا يَخافُكَ، وَمَنْ ذا يَعْلَمُ ما أَنْتَ فَلا يَهابُكَ؟**))[5].

قال الشارح: ((**كلمة (مَنْ) في الأصل وإن كانت للاستفهام الاّ أنها هنا استعملت لمجرد التحقير، كما في قولك: ((مَنْ هذا؟)) وكذا في إيراد المسند إليه باسم الإشارة الدالّ على القرب تحقير له؛ إذ القرب كما يطلق على قرب المرتبة ودناءة المحلّ، فيقال: فلان قريب المحلّ داني**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١٠.

(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس: ٢٩٩.

(٣) ينظر: دلائل الاعجاز، الجرجاني:١٢٠، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢٧٢.

(٤) في بعض النسخ: قَدْرَكَ.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٧.

المرتبة، إجراءا[1]للأمور العقليّة مجرى الأُمور المحسوسة، كذلك قد يطلق اسم الإشارة الدالّ عليه ويراد به ما يلابس القرب غالباً، وهو التحقير الرتبي . و(ذا) في الموضعين مبتدأ و(مَن) كذلك خبره قُدّم عليه؛ لاقتضائه صدر الكلام، والجملة الفعلية صفة له، لكونه نكرة والمضاف محذوف، أي: مقدار قدرتك وحقيقة ذاتك. ويحتمل أن يكون (مَنْ) للاستفهام الانكاري و(ذا) اسم موصول بمعنى الذي، والمراد أنّ كلّ مَنْ عرف قدرتك يخافك، وكلّ مَنْ علم ما أنت يهابك، فلا أحد يعرف قدرتك فلا يخافك، ويعلم ما أنت فلا يهابك؟))[2].

(مَن) استفهامية، و(ذا) اسم موصول بمعنى (الذي). وهناك احتمال أن تكون محذوفة بتقديرها مركّبة مع (مَنْ) فيصيران اسماً واحداً يدل على الاستفهام كقولنا : من ذا رأيت؟ أي: مَنْ رأيت؟ وهذا ما ذهب إليه النحاة في اعراب (مَنْ ذا) إلى القول: إمّا أن تكون كلمة واحدة، فتكون اسماً مبنياً على السكون في محل رفع أو نصب أو جر وحسب موقعه في الجملة، أو مركّبة من (مَن) الاستفهامية و(ذا) .

و(ذا) ان جاء بعدها فعل، تكون (مَن) مبتدأ، و (ذا) خبراً لها، نحو: مَن ذا ضحك؟؛ لأن أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام إذا كان في الجملة معنى لم يكن، أو تأتي (ذا) اسم إشارة، فيكون (من ذا) مبتدأ وخبرا يستغنى عن الجواب والتفصيل[3]. وبالرجوع إلى نصّ الدعاء نجد أنّ الشارح ذكر معنيين محتملين لـ(مَنْ) الاستفهامية بحسب ما يقتضيه السياق :

أحدهما: أن الاستفهام بها أفاد معنى التحقير للإشارة إلى قرب المرتبة ودناءة المحلّ وهو ما اسماه بـ(التحقير الرتبي) أي: خروج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على التحقير وصغر شأن المسؤول عنه مع معرفة المتكلم أو السائل به؛ لأنّ المحتَقَر من شأنه أن يُجهَل لعدم الاهتمام به فيسأل عنه والاحتقار فيه إظهار حقارة المسؤول عنه وإظهار اعتقاد صغره' سواء أكان البعد حسيّاً مكانياً، أم بعداً معنوياً لمن هو أعلى مرتبة من السائل، نحو: أين أنا منك؟[4]. والمعنى الآخر: الاستفهام الإنكاري وهو ما ينكر على المخاطب المستفهم عنه.

---

(١) الصواب: إجراءً.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٨-١٧٩.

(٣) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري: ١٣٢/٢، وشرح التسهيل: ١٩٧/١، وشرح الرضي على الكافية: ٢/ ٤٧٢.

(٤) ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق:١٠٠/١.

والذي يبدو _ كما يرى الباحث_ أنّ السياق الذي ورد فيه الاستفهام في هذا المقطع من الدعاء هو حمل الاستفهام على معنى الإنكار. فيكون تقدير الكلام : فلا أحد يعرف قدرتك فلا يخافك، ويعلم ما أنت فلا يهابك؟

ثم أشار الشارح إلى احتمالين في مسألة إلحاق (ذا) لاسم الاستفهام (مَنْ): الأول (ذا) اسم إشارة مبتدأ، والثاني أن تكون (ذا) أسم موصول خبر. فتكون (مَن) هنا اسم استفهام مبنياً في محل رفع مبتدأ، و(ذا) اسم موصول بمعنى (الذي)؛ لأنها سبقت باستفهام، والجملة الفعلية وقعت صفة له أزالت الإبهام عنه؛ لكونه نكرة، والمضاف إليه محذوف، أي: مَن الذي يعرف مقدار قدرتك فلا يخشاك أو يخافك، ومَن الذي يعلم كنه وجودك ودلائلك فلا يطيعك.

ويرى الباحث أنّه لايمكن أنْ تكون الجملة الفعليّة هنا صفة للاستفهام، إلا مع تقدير(ذا) اسم إشارة وهو ما حمل الشارح على جعل الجملة الفعلية صفة على التقدير الأول وهو كون (ذا) اسم إشارة؛ لأنه لو كان موصولاً لاحتاج إلى صلة فتكون الجملة الفعليّة صلة الموصول، وليست صفة لأسم الاستفهام.

- **(ما) بين الاستفهامية والموصولة**

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**مَن ذا يعرِفُ قُدرتَك**[1]**فلا يَخافُك، ومَن ذا يعلمُ ما انت فلا يَهابُك**)) [2]. قال الشارح : ((**وكلمة (ما) على الأول طالبة للحقيقة، وعلى الثاني شارحة للأسم**)) [3].

ذهب الشارح إلى أنّ (ما) تحتمل وجهين:

الأول: استفهامية فتكون لقصد الحقيقة، أي: إنّه لا أحد يعرف كنه ذاته تعالى؛ كونه نوراً محضاً لا ماهية له، فجاء الاستفهام قبلها بـ(مَن) للتحقير؛ لأنه لا أحد يمكن أن يصل إلى معرفته تعالى، فتكون (ما) استفهامية لطلب العلم بالله تعالى وقصد حقيقته، إذ ليس لذاته المتعالية وجود ذهني عندنا.

---

(١) وفي نسخة أخرى: قَدْرك.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٩.

الثاني: موصولة، تبين الاسم بعدها، فلو قلنا إن (ما) هنا جاءت شارحة للاسم وليست طالبة للحقيقة. فيكون الاستفهام الذي جاء قبلها استفهاماً انكارياَ، أي: لا أحد يعرف الله تعالى فلا يهابه، و(ما) اسم موصول بمعنى (الذي)، أي مَنْ الذي يعرف قدرك وقدرتك فلا يهابك، ومَنْ الذي تأخذه الهيبة منك سبحانك فلا يفنى فيك؟

ويرى الباحث كونها استفهامية وليست موصولة؛ لعدم وجود جملة الصلة، بل ضمير فقط. فيكون تقدير الكلام : مَنْ الذي يعلم الذي أنت فيه فلا يهابك؟

- **مسألة في (كيف):**

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**إِلهِي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِيناً إِلْتَجاَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً؟**)) [١]. قال الشارح: ((**الأصل في (كيف) أنْ يسأل به عن الحال، أي عن كيفية الشيء وصفته التي هو عليها، وهي هنا للاستفهام لا بمعنى انكار الواقع، كما في قوله تعالى:** ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾[٢]، **بل بمعنى إنكار الوقوع والتعجب منه، كما في قوله تعالى:** ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلمُشركينَ عَهدٌ عِندَ ٱللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾[٣])) [٤].

تأتى (كيف) للاستفهام ويُستفهم بها عن الحال[٥] وهو الغالب، وتستعمل للشَّرط أيضاً، ولها الصدارة في الكلام، نحو: كيف جئت؟. وتخرج (كيف) عن الاستفهام إلى معانٍ كثيرة، منها، بمعنى النفي، كقوله تعالى: ﴿كَيفَ يَكُونُ لِلمُشرِكِينَ عَهدٌ عِندَ ٱللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾[٦]. أو تأتي للتوبيخ كقوله تعالى:﴿وَكَيفَ تَكفُرُونَ وَأَنتُم تُتلَىٰ عَلَيكُم ءَايَٰتُ ٱللهِ﴾[٧]، والتعجب، والتحذير، والنهي، والتنبيه...الى غيرها من المعاني. وأشار الشارح هنا إلى خروج (كيف) عن الاستفهام الحقيقي

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.
(٢) البقرة :٢٨.
(٣) التوبة: ٧.
(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.
(٥) ينظر: الكتاب: ١٣٣/٤.
(٦) التوبة :٧.
(٧) آل عمران :١٠١.

إلى معنى الإنكار والتعجب من الأمر، أي: نفي وقوع طرد المسكين الملتجئ إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي.

وذهب النحاة في اعراب (كيف) إلى أنّها تأتي خبراً للمبتدأ نحو (كيف أنت؟)، وخبراَ للفعل الناقص، نحو (كيف كنت؟)، ومفعولاً ثانيا، نحو (كيف ظننت محمداَ). وفيما عدا ذلك تعرب حالا، نحو (كيف نمتَ) [١]. وبعضهم عدّها من الظروف [٢].

وذكر الشارح وجهاً آخر لإعرابها وهو في محل النصب على التشبيه بالحال أو الظرف فقال :((**وهي ـ اعني (كيف) ـ في محل النصب على التشبيه بالحال أو الظرف، أي: على أي حال، أو في ايّ حال وصفة تطرد مسكيناً**))[٣].

ويرى الباحث أنّ(كيف) وقعت هنا في محل النصب على التشبيه بالحال، والاستفهام بها خرج إلى معنى مجازي تضمن معنى التعجب، أي: أنني يا ربِّ أتعجب من أنّه كيف وفي أي حال يمكن أنْ تطرد المسكين الملتجئ إليك والمستجير ببابك المفتوح للداخلين! والذي ما أغلقته قط أمام الملتجئ إلى رحمتك ومغفرتك وعفوك سبحانك، وهو ما يناسب المقام هنا.

---

(١) ينظر: معاني النحو:٤/٦٣٠.

(٢) ينظر: اللمع في العربية:١٤٩.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٣٩.

مسألة في معنى (حيث):

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) :((**وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ، فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلانُكَ إلى حَيْثُ النَّصَبِ وَالحِرْمانِ**))[١]. قال الشارح: ((**و(حيث) ظرف المكان بمنزلة حين، وهو ظرف الزمان، ويجوز ان يكون مستعاراً للزمان، وهو على المشهور بين اكثرهم مبنيٌّ على الضم، اًضيف إلى الجملة كلّه[٢]في قولك: قعد زيد حيث قعد عمرو، أو إلى المفرد، كما في حيث النصب والحرمان. أمّا على الأول، فلشباهته بالظروف والغايات في حذف المضاف اليه، لأن الجملة المضاف هو اليها لمّا كانت مؤوّلة إلى المفرد كانت كأنها محذوفة. وأمّا على الثاني، فلأن اضافته إلى المفرد كانت نادرة، والنادر كالمعدوم حكماً حكموا عليه بالبناء، وأجروا عليه حكم الأغلب والأكثر، خلافاً لبعضهم، حيث ذهب إلى أنه في هذه الصورة معرب، لانتفاء ما يوجب بناءه، فعلى الأول (حيث) هنا مضموم، وعلى الثاني مجرور**))[٣].

ورد في لسان العرب: حَيثُ، وهو ظرف مبهم من الأمكنة، مضموم، وبعض العرب يفتحه، وزعموا أنْ أصلها واو (حوث) وانما قلبوا الواو ياءً طلبا للخفة [٤]، ويذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أنّ الحاء والياء والثاء ليست أصلاً؛ لأنها كلمة مبهمة، وضعت لتدلّ لكل مكان، وهي مضمومة وقيل بفتحها [٥]. وهناك أربع لغات فيها: بالضم (حيثُ)، وبالفتح (حيثَ)، و(حوثٌ)، و(حوثَ) [٦]. ولـ(حيث) أحكام خاصة عند النحاة، وهي من الظروف المكانية اتفاقا[٧] ونادرا ما تتجرد عن الظرفية[٨]، ومن امثلة ورودها ظرفية قوله تعالى: ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾[٩]، فهي هنا ظرف مكان مبنيّ على الضم في محل نصب مفعول فيه. ومن امثلة

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١٤.

(٢) الصواب(كما) وليس(كلّه) وهذا خطأ وقع فيه المحقق.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١٩-١٢٠.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤١١(حيث).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (باب الحاء والياء وما يثلثهما): ١٢٢/٢.

(٦) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي:٢٨٥/٣، وشرح المفصّل: ١١٣/٣، وهمع الهوامع:١٥٢/٢.

(٧) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام:١٤٠/١، ومعجم الإعراب والاملاء، اميل يعقوب: ٢٥٢.

(٨) ينظر: شرح التسهيل: ٢٣٢/٢.

(٩) الحجر: ٦٥.

تجردها عن الظرفية، قوله تعالى: ﴿وَأَخرِجُوهُم مِّن حَيثُ أَخرَجُوكُم﴾[1]، فتعرب هنا اسم مكان مبني على الضم في محل جر بحرف الجر، والجملة الفعلية (اخرجوكم) في محل جر مضاف اليه. وذهب بعضهم إلى جرها بغير (من)[2]، وكذلك وردت في لغة "فقعس" مجرورة بالكسرة الظاهرة فيقولون: ﴿مِّن حَيثِ لَا يَعلَمُونَ﴾[3]، فتحتمل الإعراب ولغة البناء على الكسر، وذهب السيوطي إلى وقوعها مفعولا به[4]. نحو قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[5].

و(حيث) من الظروف التي اختصت بالإضافة، فلا يتضح معناها إلا مع المضاف إليه، فتتميز عن بقية ظروف المكان بأنها تضاف للجملة؛ فلا يقع بعدها المفرد، ((وذلك لشدة ابهامها وإرادة تعيّنها بإضافتها إلى المعين، وذلك لأنك لو قلت: جلست حيث الجلوس أو حيث زيد، لم يكن في ذلك إيضاح تام لاحتماله، فإذا قلت: حيث جلس زيدٌ لم يبقَ فيه احتمال))[6]. وتلزم الإضافة فيكثر إضافتها إلى الجملة الفعلية دون الاسمية،. ومن العرب من يضيفها إلى المفرد وهو قليل أو شاذ، قال الرضي: ((والأشهر بقاؤه على البناء لشذوذ الإضافة إلى المفرد))[7].

ذهب الشارح إلى ما ذهب إليه جمهور النحويين من أنّ (حيث) ظرف مكان مبنيّ على الضمّ يأتي مضافاً سواء أُضيفت إلى الجملة أو المفرد . وقد فسّر بناءها على الضمّ في كلتا الحالتين.

فبناء (حيث) على الضم هو الأشهر والأكثر استعمالاً تشبيها بالغايات، وأمّا إعرابها لغة فقعسية[8]. ووجه هذه اللغة أنّهم أجروا (حيثُ) –وإن كانت مكاناً– مجرى ظروف الزمان في إضافتها إلى الجمل[9].

---

(١) التوبة : ٦.

(٢) ينظر: مغني اللبيب:١/١٤٠.

(٣) الأعراف: ١٨٢.

(٤) ينظر: مغني اللبيب:١/١٤٠، وهمع الهوامع:٢/١٥٢ .

(٥) الأنعام: ١٢٤.

(٦) اللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ٧٨.

(٧) شرح الرضي على الكافية:٣/١٨٣.

(٨) أي: مسموع ومروي عن فقعس وهم من فصحاء بني أسد.

(٩) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/١٨٢.

ويرى الباحث أنّ الشارح وافق ما ذهب إليه جمهور النحويين في مجيء (حيث) ظرفية للمكان بمنزلة (حين) للزمان، ولايتضح معناها إلا بإضافتها [1]وهي هنا ظرف مكان ، وتقدير الكلام : فقد طرحني إلى مكان التعب والحرمان[2].

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي:٤٨١/٢، وشرح التسهيل: ٢٣٢/٢.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري:١٣٧.

المبحث الثاني

مباحث التـوابـع

التابع هو((اللّفظ المشارك لما قبله، وهو المتبوع، في إعرابه ولو محلاً، من رفع ونصب وجر وجزم، وعامله مطلقاً، وليس ذلك اللفظ المشارك خبراً لما قبله، فاللفظ جنس، والمشارك لما قبله في ذلك فخرج ما ليس كذلك، كـ(جاء زيد راكباً) و(اشتريت رطلاً عسلاً) ومطلقاً. فخرج المفعول الثاني والحال والتمييز في نحو: أعطيتُ زيداً درهماً، ولقيتُ بكراً راكباً))[١].

والتوابع هي الأسماء التي تتبع غيرها فضلاً عن الإعراب في مسائل التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ماعدا بعض المواضع في البدل والنسق[٢]، وهي عند النحاة خمسة، وتشمل: النعت وعطف البيان والتوكيد والبدل وعطف النسق ومنهم من عدّها أربعة جمع عطف البيان مع النسق ومنهم الزجاجي وابن مالك، وقد اختلفوا في ترتيب التوابع من حيث تسلسلها وأيها الأسبق[٣]. ومن مباحث التوابع التي وردت في الشرح:

التأكيد

هو: ((تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول))[٤] وقيل: ((هو تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره))[٥]. وفائدته دفع ظن المتكلم بالسامع أنّه لم يحمل اللفظ على مدلوله؛ لغفلته أو لظنه بالمتكلم الغلط أو لظنه التجوز[٦]، أي تقرير المؤكد في النفس[٧]. وهو قسمان لفظي ومعنوي، وقيل صريح وغير صريح[٨].

---

(١) شرح كتاب الحدود في النحو: ٢٤٥.

(٢) ينظر: شرح المفصّل: ٢١٨/٢، والتعريفات: ٥١.

(٣) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: ١٤٠/١، وشرح ابن عقيل:١٩١/٣، وهمع الهوامع: ١٦٥/٥.

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٣٥٧/٢.

(٥) همع الهوامع: ١٦٤/٣.

(٦) شرح الرضي على الكافية: ٣٥٧/٢.

(٧) ينظر: المفصّل: ١٤٦.

(٨) ينظر: أوضح المسالك: ٣٢٧/٣، وشرح قطر الندى: ٢٨٩، وشرح ابن عقيل: ٢٠٦/٢، وهمع الهوامع: ١٦٤/٣.

مسألة بين البدل والتوكيد.

جاء في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**فَاجْعَلِ اللّهُمَّ صَبَاحي هذا نَازِلاً عَلَي بِضِيَاءِ الْهُدى**))[١]. قال الشارح: ((**لفظة(هذا) إشارة إلى الصباح الحاضر، فهي : إمّا بدل منه، أو تأكيد له كما في قولك: أخي هذا أمير البلد**))[٢].

فقد ذكر إنّ لفظة (هذا) إمّا أنْ تكون(بدلاً)، أي: من الصباح المشار اليه، أو تكون (تأكيداً له)، وهذا الوجه ليس بسديد؛ لإنه لم يرد في كتب النحاة مجيء اسم الإشارة من باب (التأكيد).

أو أنّ الشارح استعمل مصطلح التأكيد وأراد به (النعت)، وهو ما يوافق ما ذهب إليه النحاة في مجيء اسم الإشارة (نعتاً)، فجاء (التوكيد) مرادفاً لمصطلح النعت، فقد ذكر أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، أنّ (التوكيد) يكون بمنزلة (النعت)، فقال: ((التوكيد بمنزلة النعت، تقول :(جاءني زيد نفسه)؛ لأنك اردت أنه جاءك لا غيره، إذ قد يجوز أن يكون إذا قلت : (جاءني زيدٌ) أن يكون غير زيدٍ قد جاءك، فإذا قلت (نفسه)، فقد عُلم أنّه جاءك لا غير))[٣].

ويرجّح الباحث أنّ لفظة(هذا) جاءت (بدلاً) من (الصباح) أي على الوجه الأول الذي ذكره الشارح؛ لأن البدل يأتي شبيهاً بالتأكيد والنعت، والدليل ما ذكره النحاة، قال ابن يعيش(ت٦٤٣هـ): ((أعلم أن البدل يتجاذبه شبهان : شبه بالنعت، وشبه بالتأكيد))[٤].

العطف

وهو نوعان: عطف بيان وهو تابع جامد غير صفة يبيّن الأول، حيث يوضحه أو يخصّصه، ويكون أشهر من متبوعه[٥]، وعطف نسق وهو: ((تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه ويتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف))[٦] أي: حروف العطف[٧] وحروف العطف هي: (الواو، والفاء، وثم،

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٢.

(٢) المصدر نفسه:١٥٣.

(٣) المسائل المنثورة، أبو علي الفارسي: ٤٩.

(٤) شرح المفصّل:٢٦٧/٢.

(٥) ينظر: المفصّل: ١٦١.

(٦) شرح الرضي على الكافية: ٣٣١/٢.

(٧) شرح قطر الندى: ٣٠١، وشرح ابن عقيل: ٢٢٤/٢.

وأو، ولا، بل، ولكن، وأم، وحتى، ومنهم، ومن عدّ(إما) معها[١] ويسمى المعطوف بها عند البصريين شركة وعند الكوفيين نسقا، وهو المتداول[٢]، وقد ذكر الشارح بعض مباحث العطف ومنها:

- **مجيء عطف البيان للمدح**

جاء في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ))**[٣].

قال الشارح: **((يوجد في بعض النسخ:((اللهم يامَنْ دلع))، فيكون عطف بيان جيء به للمدح، كما تجيء الصفة لذلك، لا للإيضاح؛ فأن (الله) على الأصحّ علم للذات الواجب الوجود الخالق لكل شيء، فلا إبهام فيه ولا إشتراك، ليحتاج إلى إيضاح، واحتمال البدليّة لذلك غير جيّد، والتأكيد غير مناسب))**[٤]، حيث أشار الشارح إلى مجيء لفظ (اللهم) في بعض النسخ وهو الأنسب لسياق الدعاء، فذكر عطف البيان جاء للمدح، من دون بقية التوابع لأن السياق اللغوي يقتضي ذلك، حيث أفتتح الإمام (عليه السلام) الدعاء بالنداء بالاسم الكريم ومن ثم يتدرج ببيان الصفات المقدّسة؛ فذلك ادعى للعطف والرأفة من قبل الله تعالى على مَنْ توجّه إليه بالدعاء.

- **عطف الصفات**

وقد ذكر الشارح عطف الصفة على الصفة عند شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): **((صَلِّ اللّهُمَّ عَلَى الدَّليلِ اِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الْأَلْيَلِ))**[٥]، **((وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الْأَطْوَلِ))**[٦]. قال الشارح في تعليقه على (والماسك) : **((عطف على (الدليل)، وكذا ما يأتي من الجملتين معطوفتان عليه من باب عطف الصفات بعضها على بعض؛ لإتّحادها في الموصوف وتغايرها في المفهوم))**[٧].

حيث نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) عطف بـ(الواو) صفة على صفة اخرى، وهي(الماسك، الناصع والثابت) المعطوفة على (الدليل)، فجمع نسق الدعاء صفات الثناء على النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله).

---

(١) ينظر: المقتضب، المبرّد: ١/١٠-١٢، والمفصّل: ٤٠٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/٣٠ ، والمقتضب: ٢/١٧ ، والفصول المفيدة في الواو المزيدة، العلائي: ١٢٩، وهمع الهوامع: ٣/١٨٥.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤.

(٤) المصدر نفسه:١٤.

(٥) المصدر نفسه:٦٧.

(٦) المصدر نفسه:٧٢.

(٧) المصدر نفسه:٧٢.

- **العطف على الضمير المخفوض :**

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((صَلِّ اللّهُمَّ عَلى الدَّلِيلِ إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الأَلْيَلِ، وَالماسِكِ مِنْ أَسْبابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ، والنّاصِعِ الحَسَبِ فِي ذِرْوَةِ الكاهِلِ الأَعْبَلِ، وَالثّابِتِ القَدَمِ عَلى زَحالِيفِها فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ وَعَلى آلِهِ الأَخْيارِ المُصْطَفِينَ الأَبرارِ))[1].

قال الشارح:((**وإذا قد ثبت جواز الفصل بينه وبين آله (صلى الله عليه وآله) بإعادة الخافض وهو(على) في غير صورة العطف على الضمير المخفوض، فجوازه في هذه الصورة أولى؛ لمنع جمهور البصريين عن العطف على الضمير المخفوض من دون إعادة الخافض وإيجابهم إعادته فيه. نعم، ذهب الكوفيّون ويونس(ت١٨٢هـ) والأخفش(ت٢١٠هـ) إلى عدم وجوب الخافض في ذلك، واختاره الشلوبين(ت٦١٥هـ)، وصححه ابن مالك(ت٦٧٢هـ) وأبو حيّان(ت٧٤٥هـ)، وجرى عليه ابن هشام(ت٧٦١هـ) في شرح الشذور والتوضيح[2]؛ لثبوت ذلك في فصيح الكلام، كقراءة حمزة[3]:﴿وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[4] بخفض الأرحام عطفاً على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب (مافيها غيرُهُ وفرَسِهِ) بخفض الفرس عطفاً على الهاء المخفوضة بإضافة غير إليها،**

وقول الشاعر: فاذهب فما بكَ والأيام من عجب[5].....بخفض الأيام عطفاً على الكاف المخفوضة بالباء))[6].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٨١.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الأخفش:٢/٢٤٣، واوضح المسالك:٣/٣٩٢، وشرح شذور الذهب:٤٦٥.

(٣) حمزةُ بنُ حَبيب الزيات (٨٠-١٥٦هـ)، إمام القرّاء في الكوفة وأحد القرّاء السبعة المعروفين، واعترض البعض من العلماء ورفض القبول بقراءة حمزة ؛ لما فيها من المدّ المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلّف، ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي:١٠/٢٩٠، و معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والاعصار، شمس الدين الذهبي:١/١١٥.

(٤) النساء :١.

(٥) لم ينسب هذا البيت الشعري لقائله .

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٨٣-٨٤.

اختلف نحاة البصرة والكوفة في مسألة العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار، حيث أجاز الكوفيون العطف على الضمير المجرور، نحو: (مررتُ بك وزيد)، في حين قال البصريون بعدم الجواز[١].

واستدل الكوفيون على جواز العطف بما ورد في القرآن الكريم وكلام العرب. كقوله تعالى :﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾[٢]، بالعطف على(الهاء) وليس على (سبيل)؛ لأنه استلزم الفصل بأجنبي بين الجزأين. وممن وافقهم من النحاة : يونس والأخفش وقطرب والشلوبين وابن مالك[٣] .

وأمّا البصريون فقد ذهبوا إلى عدم جواز العطف على الضمير المجرور ويوجبون إعادة الجار وعدّوه من القبح . قال سيبويه : ((ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور، وذلك كقولك: (مررتُ بك وزيد)...))[٤].

فيقبح ان تقول :(مررتُ بك وزيد)، بل يجب إعادة الجار على ضمير الجر المعطوف عليه، فتقول:(مررتُ بك وبزيد)[٥]. وقد وافقهم من النحاة الزمخشري(ت٥٣٨هـ) وابن الخباز(ت٦٣٩هـ) وابن عصفور(ت٦٩٩هـ) وابن هشام وابن عقيل(ت١٣٦٧هـ)[٦]. ولهم في ذلك حجتان: الأولى، كون ضمير الجر شبيهاً بالتنوين، ويعقبه مباشرة فلا يعطف عليه كما لايعطف على التنوين[٧]. حيث أشار الرضي لهذا الوجه بقوله: ((المجرور لاينفصل من جارّه سواء كان ضميراً أو ظاهراً، فَكَرِه العطف عليه، إذ يكون كالعطف على بعض حروف الكلمة، فمن ثم لم

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف:٤٦٣/٢، وشرح ابن عقيل:٢٣٩/٢.

(٢) البقرة:٢١٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن، الاخفش:٢٤٣/٢، وشرح الرضي على الكافية:٣٣٦/٢، واوضح المسالك: ٣٩٢/٣ .

(٤) الكتاب: ٣٨١/٢.

(٥) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب:٤٥٦/١، وشرح الرضي على االكافية:٣٣٤/٢، وهمع الهوامع:١٨٩/٣.

(٦) ينظر: شرح المفصّل:٣/ ٨١، والكشّاف، الزمخشري:٢١٥/٤، وشرح جمل الزجاجي: ٢٠٢/١، وشرح ابن عقيل: ٢٣٩/٣.

(٧) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك: ٢٣٢، وشرح الرضي على الكافية: ١/ ٥٦٢.

يجز، إذا عطفت المضمر على المجرور إلاّ إعادة الجار، نحو : (مررتُ بزيد وبك) و(المال بين زيد وبينك)، وليس للمجرور ضمير منفصل))[١].

والحجة الأخرى، كون المعطوف والمعطوف عليه يصلح كل واحد منهما محل الثاني، وضمير الجر لايصلح أن يحلّ محل ما يعطف عليه، فامتنع العطف عليه إلاّ مع إعادة الجار؛ لأن المجرور ليس له اسم منفصل، فيقع معطوفا عليه أحياناً ويتأخر فيقع معطوفاً أحياناً أخرى، فلمّا خالف الضمير المجرور بقية الأسماء في ذلك لم يجز أن يُعطف عليه[٢].

وقد ردّ البصريون على ما استدّل به نحاة الكوفة من آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٣]. حيث عطفوه على (سبيل الله) ولم يجوّزوا عطفه على الضمير (الهاء) من قوله تعالى:(به)، فردّوا على ذلك بِجرّ (المسجد) بالعطف على(الهاء)، لا بالعطف على (سبيل)؛ لاستلزامهِ العطف على المصدر قبل تمام صلته؛ لأن المعطوف على جزء الصلة داخل في الصلة[٤]، أي: وصدّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام . وكذلك ردّوا على قراءة حمزة الزيات، وعدّوها ضعيفة في القياس وقليلة في الاستعمال وترك الأخذ بها أحسن[٥].

ورَدَّ الشارح في خصوص قوله (وعلى ألـه) على مَنْ يوجب العطف على الضمير المجرور بلا إعادة للجار في (صلى الله عليه وآله) بقوله: ((**قال فخر المحققين ولد العلاّمة**[٦] **طيّب الله ثراهما في جواب مَن اصحابنا وفيهم من ينسب إلى أهل العلم ، إذا ذُكر بحضورهم سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وقيل صلى الله عليه وعلى آله بـ(على)، ينكرون ذلك غاية الإنكار، ويقولون : لايفصل بين النبيّ وآله بـ(على) مع أنّ النحاة ذكروا أنّ العطف على المخفوض بغير إعادة الخافض ضعيف. فهل ورد في هذا أمر مخصوص يخالف ماعليه النحاة أم لقول أصحابنا وجه ؟ لا وجه لهذا القول، بل أقول ما قاله النحاة، ولولا اتباع النقل**

---

(١) شرح الرضي على الكافية:٢/٣٣٤.

(٢) ينظر: الاصول في النحو، ابن السرّاج: ٢/٤٥، وشرح المفصّل: ٢/٢٨٢.

(٣) البقرة : ٢١٧.

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٢/٣٥٦.

(٥) ينظر: معاني القرآن، الاخفش:٢/٢٤٣، وشرح المفصّل: ٢/٢٧٧،

(٦) هو محمّد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي، الشهير بفخر المحقّقين (٧٧١– ٦٨٢ هـ) من فقهاء الإمامية في القرن الثّامن للهجرة، أبوه العلامة الحلي، له مؤلفات في الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام.

لما جاز إلاّ بإعادة الخافض، على أنّه ورد في كثير من الأدعية عنهم عليهم السلام (صلى الله على محمد وعلى آله)[1]))[2].

نرى مما ذكره الشارح في هذه المسألة تأكيده على أنّ البصريين يمنعون العطف على الضمير المجرور (وعلى آله) بدون إعادة الجار، وعلى مذهب الكوفيين(وآله الأخيار)، أي: لايوجبون ذلك، ويجوز كذلك (وعلى آله) ، لثبوته في كلام العرب الفصيح، وجواز (صلى الله عليه وعلى آله) أولى .

ويرجّح الباحث في هذه المسألة جواز (صلى الله عليه وآله) وذلك لكثرة مجيء عبارة (وآله) في أكثر الأدعية الواردة عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) معطوفاً على الضمير المجرور.

(١) أجوبة المسائل المهنائية، العلاّمة الحلي : ١٧٢.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٣.

المبحث الثالث

الأفــعال

اولاً: الأفعال المبنيّة

ذهب النحاة إلى أنّ المبني من الأفعال إثنان: أحدهما، ما أُتفق على أنه مبنيّ وهو الفعل الماضي، ويكون مبنيّاً على الفتح، نحو (ضَرَبَ وانطلقَ)، مالم يتصل به واو الجماعة أو ضمير رفع متحرك، فيبنى على السكون وجوباً بسبب حركة مابعده من الضمائر نحو: (ضربْنَ وضربْتُ) .

والثاني، ما اختلف في بنائه وهو فعل الأمر، أمعرب هو أم مبني؟ فذهب البصريون إلى أنه مبني على السكون؛ لأن البناء هو الأصل في الأفعال، وذهب الكوفيون إلى كونه معرباً مقتطعاً من الفعل المضارع المجزوم، فقاسوا عليه فعل الأمر. فذهبوا إلى أنّ فعل الأمر إذا كان بغير اللام معرب مجزوم بلام الامر المضمرة، كما في فعل الأمر (أضرب)[١].

وأمّا الفعل المضارع فهو معرب باتفاق النحاة، وسُمّي بالمضارع؛ لمضارعته الاسم، أي: مشابهته له[٢]، ومن مسائل هذا المبحث التي وردت في الشرح :

(كان) التامّة :

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**فَاصْفَحِ اللّهُمَّ عمّا كانَ مِنْ زَلَلي وَخَطائِي**))[٣].قال الشارح : ((**وكان تامّة**))[٤].

كان وأخواتها من الأفعال الناسخة التي تدخل على المبتدأ والخبر، فتنسخ بدخولها الحكم الثابت له، فترفع الأول اسماً لها، وتنصب الثاني خبراً لها[٥]، وتعُد (كان) أم الأفعال لهذا الباب؛ وذلك لسعة تصرفها . وتأتي على عدّة أنواع منها : الناقصة، وهي التي تفتقر إلى الخبر،

---

(١) ينظر: اللمع في العربية: ٨٨، وشرح ابن عقيل: ١/ ٣٨.

(٢) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل:٦/٢، وشرح الرضي على الكافية:١/ ٤٠.

(٣) مفتاح الفلاح مصباح النجاح: ١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٦٣/١، وشرح قطر الندى: ١٢٧، والنحو الوافي :٥٤٣/١.

ولاتُستغني عنه ولاتدل على الحدث، بل تفيد الزمن مجرداً من معنى الحدث، وتدل دلالة خالصة على الزمن الماضي[١]، كقوله تعالى:﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾[٢].

ومن أنواعها أيضاً (كان) التامة، والتي تكتفي برفع فاعلها فقط، دون الحاجة إلى منصوبها، فهي لاتحتاج إلى الخبر وتكون بمعنى ثبت أو حدث، أو حصل، أو وجد، أو حضر، أو وقع[٣]. وتأتي للدلالة على الحدث والزمان، قال ابن يعيش(ت٦٤٣هـ) : ((وقيل لها تامة لدلالتها على الحدث، نحو قولك :(كان الأمر)، بمعنى حدث ووقع، ويقال: (كانت الكائنة)،أي حدثت الحادثة، ومنه قولهم : (المقدور كائن)، المراد ما يقضيه الله وبقدره كائن، أي حادث وواقع لا رادّ له.

ومنه قوله تعالى:﴿ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].أي أحدث فيحدث...وتسمى هذه التامة لدلالتها على الحدث واستغنائها بمرفوعها، فهي في عداد الأفعال اللازمة))[٥]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرةٍ﴾[٦]، فقد جاءت (كان) هنا فعلاً تامّاً اكتفى بفاعله (ذو)، أي: إن وجد ذو عسرة.

ومما عرض له الشارح في هذا الموضوع نرى أنّها جاءت هنا تامّة بمعنى (وقع)[٧]، والضمير مستتر، ولا دليل على وجود خبر محذوف، فيتعيّن أن تكون (كان) هنا تامّة أي: فاصفح عمّا وقع من زللي وخطائي .

وقد ورد في بعض النسخ ((عمّا كان أجرمته))، فتكون (كان) هنا ناقصة؛ لأنها تدل على الزمن وتحتاج في الدلالة على الحدث إلى خبر ليتم معناها.

---

(١) ينظر: شرح المفصّل، الزمخشري:٤/٣٤٤، وشرح التسهيل:١/٣٤٥.

(٢) مريم : ٥.

(٣) ينظر: الازهية: ١٨٣، وشرح جمل الزجاجي: ١/٣٩٧، وهمع الهوامع:١/٣٦٧.

(٤) البقرة : ١١٧.

(٥) شرح المفصّل: ٤/٣٤٥.

(٦) البقرة : ٢٨٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ١/٤٦، والأصول في النحو:١/٩١.

والجدل هنا –كما يرى الباحث– كونها تُشير للزمن فقط، أو كونها تشير للزمن والحدث في ذاتها، وإشارتها لكليهما إنّما يكون حين تستغني عن الخبر أو في موضع لاتحتاج لتقدير خبر، كما هو الحال في نصِّ الدعاء .

ثانياً: الأفعال المعربة

قصر النحاة الإعراب في الأفعال على الفعل المضارع؛ لأن الإعراب يستلزم تغيير حركة أواخر الكلم، تبعاً لتغير العوامل الداخلة عليه(١). وقد حصل ذلك في الأفعال على مستوى الفعل المضارع بشكل خاص؛ لمشابهته الاسم المتمكن الأمكن.

وأشار النحاة إلى أن المضارع إنما سمّي بذلك لمضارعته الأسماء ودخول عليه زائدة من الزوائد الأربع نحو : (كدتُ أفعل)، كأنك قلت : (كدتُ فاعلاً) ثم وضعت (أفعل) في موضع فاعل، قال ابن هشام الأنصاري : ((والمضارع ... إنما سمي مضارعاً لمشابهته الاسم، ولهذا أعرب))(٢).

وذكر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في تعريفه للفعل المضارع بأنه: ((ما يعتقب في صدره الهمزة والنون والتاء والياء، وذلك قولك للمخاطب أو الغائبة تفعل، وللغائب يفعل، وللمتكلم أفعل، وله إذا كان معه غيره واحدا أو جماعة نفعل، وتسمّى الزوائد الأربع))(٣)،

ومصطلح (المضارع) بصري، ويقابله في الاصطلاح الكوفي (المستقبل)(٤)، ونُقل عن السيرافي قوله : ((وقسّم الكوفيون الأفعال إلى ثلاثة اقسام، ماضٍ ومستقبل، وهو ما في أوله الزوائد الأربع، نحو : يقوم وأقوم وتقوم ونقوم، والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه وهو الحال))(٥). والفرق بين المصطلحين هو العنصر الزمني عند الكوفيين، وذهب البصريون إلى الشبه اللفظي بينه وبين الاسم.

---

(١) ينظر: الكتاب: ١٤/١، والمقتضب: ١/٢ .

(٢) أوضح المسالك :٢٧/١.

(٣) المفصّل: ٢٤٧.

(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو:٨٧.

(٥) الإيضاح في علل النحو: ٨٦، هامش :١.

ويأتي المضارع على وجوه إعرابية هي: الرفع والنصب والجزم، وهذه الوجوه لا تدل على معانٍ، كما هو الحال في إعراب الاسم؛ لأن الإعراب في الفعل غير أصيل، بل من مختصات الاسم(١). ويأتي للدلالة على معان كثيرة، منها الدلالة على الحال والاستقبال، كقوله تعالى:﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾(٢). فهو يصلح للحال والاستقبال، فإذا دخل عليه اللام نحو: إن زيداً ليضربُ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَم﴾ (٣) خلص للحال، فإذا دخل عليه السين أو سوف خلِص للاستقبال(٤). ومن المباحث التي تتعلق بالأفعال المعربة التي وردت في الشرح:

- **جزم الفعل المضارع لنكتة:**

يجزم الفعل المضارع إذا سبقه أداة من أدوات الجزم (٥)، ومنها (إن)، وتستعمل لربط فعل الشرط بجوابه، ويشترط فيما بعدها أنْ يقع شيء لغيره، وحقها أن يقع بعدها مضارع يدل على الاستقبال والمشكوك في وجوده مستقبلاً، كقولك : إنْ تكرمني أكرمك، أو الشيء المعلوم المبهم وقته، كقولك: إنْ مات زيدٌ فافعل كذا. أي ان الموت واقع لامحالة وزمنه غير محدد بوقت(٦). وهذا هو الأصل فيها، وتستعمل في مقام الجزم لأسباب ونكات(٧)، ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إلهي إنْ لَمْ تَبْتَدِئني الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي إلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ؟**))(٨). قال الشارح: ((**و(إنْ) للشرط في الاستقبال. وقد نصَّ أرباب البيان أنّ الأصل فيها أن لاتجزم بشيء من طرفي الشرط، لكنّها قد تستعمل في مقام الجزم لنكتة. قال صاحب التبيان(٩):((قد تُستعمل (إن) في الجزم: إمّا للإحتياط، كما إذا سُئلَ العبدُ عن سيّده هل هو في الدار؟ وهو يعلم أنّه فيها، فيقول: إن كان أخْبرك، فيحتاط بالتجاهل خوفاً من**

---

(١) ينظر: المفصّل:٢٤٥.

(٢) طه: ١٣٥.

(٣) النمل: ٧٤.

(٤) ينظر: معاني النحو:٣/٣٢٣.

(٥) ينظر: همع الهوامع:٢/٢٨١ .

(٦) ينظر: شرح المفصل: ٤/٩، وشرح التصريح على التوضيح:، الأزهري ٢/٣٩٨.

٧) ينظر : ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي : ٢ / ٥٥٧ ، وحاشية الصبان، شرح الأشموني: ٤ / ١٦ .

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٤-١٠٥.

(٩) شرف الدين الطيبي(ت٧٤٣هـ) في كتابه التبيان في البيان،(أطروحة دكتوراه بجامعة الأزهر)، عبد الستار حسين مبروك:٣٤(من النص المحقق).

السيّد. وإمّا لتقرير وقوع الجزاء وتحقّقه، نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره إن كنت سلطاناً أنتقمتُ منكَ.)) وعبارة الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها: إمّا الإحتياط، وإمّا تقرير وقوع الجزاء وتحققه))[١].

وافق الشارح فيما ذهب إليه النحاة في مجيء الفعل المضارع للأستقبال المسبوق بـ(إنْ) الشرطية، فنتيجة لذلك خلصّت الفعل بعدها إلى المستقبل المحض[٢]. ثم ذكر ماذهب إليه أرباب البيان من أنها لاتجزم بشيء من فعل الشرط وجوابه، لكنها تستعمل في مقام الجزم لنكتة، سمّاه الشارح وصاحب التبيان (إحتياطاً). ثم يخلص إلى القول بأن(إنْ) الواردة في عبارة الدعاء قد وقعت في مقام الجزم لنكتة، إما الإحتياط، وإمّا تقرير وقوع الجزاء وتحققه.

ولم يوضّح الشارح معنى (الإحتياط) ، لكنه وضّح معنى تقرير وقوع الجزاء وتحققه، فقال: **((حيث علّق انكار مَنْ يسلُك به إليه تعالى في واضح الطريق بعدم ابتداء الرحمة منه بحسن التوفيق، فإنّه جازم بذلك، وهو أمر محقق عنده، كيف لا؟ والهداية امر من لديه، وجميع أسبابه يعود إليه؟... فكأنّه قال: لاتخل بيننا وبين أنفسنا بمنعك التوفيق واللطف عنّا، فنعجز عن سلوك طريق معرفتك وسبيل طاعتك))**[٣]. فأشار الشارح إلى أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل (إن) في مقام الجزم لتقرير وقوع الجزاء وتحقّقه؛ لأنّه المناسب للسياق.

- **النصب بالفعل المضارع المضمر:**

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : ((**وَ تَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلى سَيِّدِها وَ مَوْلاها**))[٤]. قال الشارح:((**يقال : تَبَّ يتبُّ تباً، فهو منصوب بفعل مضمر متروك الاظهار، أي: تبّت نفسي تباً لجرأتها بالإقدام على معصية سيّدها والاحجام عن طاعته))**[٥].

ذهب النحاة إلى أن المصدر قد ينوب عن فعل محذوف((إذا وقع المصدر بدلاً من فعله))[٦]، ومن أنواعه التي يكون عليها، المصدر الذي يقع موقع الدعاء، كقولنا تباً للواشي، فتباً مفعول

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٠٥.

(٢) ينظر: مغني اللبيب:٢٦/١، والأصول في النحو:١٨/٢، ومعاني النحو:٣٩١/٤، والنحو الوافي:٢٨٢/٤.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٥.

(٤) المصدر نفسه:١٢٨.

(٥) المصدر نفسه :١٢٨.

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٧٣/٢، وجامع الدروس العربية:٣٨/٣.

مطلق لفعل محذوف تقديره : تَبَّ، أي: قطعَ . ولا تستعمل مضافة إلاّ في قبيح الكلام، فإذا أضيفت وجب نصبها، وإن لم تُضف جاز فيها النصب، والرفع على الابتداء[1].

ذهب الشارح إلى أن المصدر (تباً) نصب بفعل متروك إظهاره واستغني عنه بذكر المصدر، فلو ظهر الفعل صار المصدر تكراراً للفعل، والتقدير: تبّت نفسي تباً، فهو من باب الدعاء على النفس بالهلاك والخسران نتيجة الإقدام على معصية سيّدها.

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٢٧٨/١.

المبحث الرابع
الحروف

الحرف في اللغة: الطرف والجانب ((وحرف كل شيء طرفه و شفيره وحده ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدّد))[١]. وفي الاصطلاح: ((كلّ كلمة بُنيَتْ أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تُسمّى حرفاً، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل : حتى ، وهل، وبل، ولعلّ))[٢]. وعند سيبويه ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل مثل سوف، ولام الإضافة وغير هذا، قال سيبويه: ((فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاءَ لِمعنى ليس باسم ولا فعل))[٣]. وهو مصطلح بصري يقابله عند الكوفيين مصطلح الأداة[٤]وجمعها أدوات ويعنون بها ما يعنيه البصريون من حروف المعاني[٥]. وهناك من أطلق مصطلح (الأداة) على الحرف، والتي تعني بأنها لفظ يأتي لمعنى مفرد ليس باسم ولا فعل، ولايمكن أن يُفهم وحده من دون أن يُعرّف باسم أو كلمة، كما تقدّم عن سيبويه. يقول السيوطي(ت٩١١هـ) :((وأعني بالأدوات: الحروف وما شاكلها في الأسماء والأفعال والحروف))[٦]. وهو ما عناه ابن هشام (ت٧٦١هـ) في المغني في تفسير المفردات، اذ قال: ((واعني بالأدوات، الحروف وما تضمن معناها من الأسماء والظروف، فإنها المحتاجة إلى ذلك))[٧].

أمّا المحدثون فقد أطلقوا الحرف على ألفاظ الأبواب التي تشمل الحروف فقط، مثل : أبواب حروف الجر، وحروف العطف، والحروف الناصبة للفعل المضارع، وأما (الأداة) فهي أعم وأشمل[٨]. ومن مباحث الحروف التي وردت في الشرح:

---

(١) لسان العرب، مادة (حرف):٣ /١٢٨، وينظر: تاج العروس، الزبيدي:٦ / ٦٨.

(٢) كتاب العين: ١/٣٠٥.

(٣) الكتاب: ١/١٢.

(٤) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، عوض حمد القوزي:١٧٤، والمدارس النحوية، ابراهيم السامرائي:١٢٠.

(٥) ينظر: مفاتيح العلوم، الخوارزمي: ٢٩، والمصطلح النحوي نشأته وتطوره: ١٧٤، ومدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي: ٢٠٧.

(٦) الإتقان في علوم القرآن: ١/٩٠.

(٧) مغني اللبيب:١/١٧.

(٨) ينظر: معاني الحروف الثنائية والثلاثية، رزاق عبد الأمير مهدي، (أطروحة دكتوراه) :٢٦.

أل :

اختلف النحاة في أصل الأداة (أل)، أهي حرف واحد مركب من الألف واللام ؟ أم اللام حرف التعريف، والألف همزة وصل زيدت عليه؟[١]وهذا الاختلاف يرجع إلى مسألة شكليّة تخص المصطلح، ولكل فريق حججه في ذلك، لذا (فإن هذا الترديد لا طائل وراءه خصوصاً بعد أن اشتهر الرأي القائل بأنهما معاً)[٢]. وتقسم الأداة (أل) على أنواع بحسب الاستعمال[٣]، ومن مواضع (ال) التي وردت في الشرح:

الموضع الأول: (أل الجنسية)[٤]: وتأتي للدلالة على معنى الجنس المحض من أجناس الأشياء. ولايراد بها جنساً معيّناً برمّته من أفراد الجنس، وتعريفها يكون هنا لفظياً لايفيد التعيين، وإن كان اللفظ معرفة، وتكون على ثلاثة أنواع : احدها: للمبالغة في الخبر نحو: زيد الرجل، أي: الكامل الرجولة، وثانيها: لتعريف الماهية، وهو أن يقتصر جنس المعنى على الخبر به حقيقة نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[٥] وثالثها أن يقصد بها الحقيقة باعتبار كلية ذلك المعنى وهي الاستغراقية[٦]، نحو قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا**﴾[٧].أي : كل فرد، ومن ذلك ما ذكره الشارح في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَأْتَقَنَ صُنْعَ الفَلَكِ الدَّوّارِ فِي مَقادِيرِ تَبَرُّجِهِ**))[٨]. قال الشارح :((**والمراد بالفلك جنسه، أو الألف واللام فيه للاستغراق فيشمل الأفلاك الكلية والجزئية بأسرها**))[٩].

---

(١) ينظر: معاني الحروف، الرماني:٤١، وشرح ابن عقيل: ١٥٨/١.

(٢) النحو الوافي: ٤٢٢/١.

(٣) ينظر: مغني اللبيب:٤٩/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٥٠/١، وشرح ابن عقيل: ١/ ١٧٨.

(٥) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٨٨/٤-٨٩.

(٧) النساء : ٢٨.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :٣٠.

(٩) المصدر نفسه: ٣١.

فأشار إلى مجيء (أل) لاستغراق الجنس حقيقة، أي: صُنعَ كل فلك دوّار، وأيضاً في إفادة العموم والشمول، سواء أكان المحلى بأل جنساً مفرداً كما في (الفلك)، أم جمعاً، كما في (الأفلاك)، وهو ماذهب إليه كثير من النحاة[١].

الموضع الثاني : قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) :((**وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ، فَقَدْ وَكَّلَنِي خِذْلانُكَ إلى حَيْثُ النَّصَبِ وَالحِرْمان**))[٢]. قال الشارح: ((**والشيطان وهو عدوك....والألف واللام فيه للجنس، فتدخل فيه جنوده، ولو جعل للعهد جاز، ويدخل فيه جنده تبعا**))[٣]. فقد ذكر هنا جواز مجيء (أل) على وجهين[٤]: الأول(أل الجنسية)، أي: إذا أُريد بها محاربته ليس للشيطان بعينه، وإنّما يراد به الجنس، أي: كل الشياطين. وامّا الوجه الآخر فهو(أل العهدية) : وتدخل على النكرات فتشير إلى معهود بعينه بان يذكر شيء فتعود لذكره كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾[٥] وهذا يسمى العهد الذكري، أو يكون بينك وبين مخاطبك عهد في قاض مثلا فتقول جاء القاضي ويسمى العهد الذهني[٦]، فإن جعلنا الألف واللام للعهد في سياق الدعاء فهو أيضاً جائز، فيكون مصحوبها معهوداً وهو محاربة الشيطان نفسه، لإنّه كبير أتباعه، والأول هو الأقرب.

أَم :

ذهبَ النحاة أن الكلام بـ(أم) لايكون إلا استفهاما، وعدّوها من حروف العطف[٧]، وتأتي على ضربين متصلة ومنقطعة[٨]. وقد ذكر الشارح (أم) بنوعيها المتصلة والمنقطعة عند شرحه لفقرات الدعاء في موضعين :

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب:١/٣٥٠، وشرح قطر الندى:١١٢، والمقتضب:٤/٢٨٢

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١١٦.

(٤) ينظر: مغني اللبيب:١/٥١، والنحو الوافي: ١/٤٢٣.

(٥) سورة النور: ٣٥.

(٦) ينظر: شرح شذور الذهب: ١٩٥، وشرح قطر الندى: ١١٢؛ البرهان في علوم القرآن: ٤/٨٨.

(٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ١٦٩، واللمع:٧١، والمقتضب: ٣/ ٢٨٦.

(٨) ينظر: المقتضب: ٣/٢٨٨.

الأول : متصلة: لطلب تعيين أحد الأمرين، وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**اِلهي أَتراني أَتَيْتُكَ[1] مِنْ حَيْثُ الآمالِ، أَمْ عَلِقْتُ بِأَطْرافِ حِبالِكَ حينَ باعَدَتْني ذُنُوبي عَنْ دارِ الْوِصالِ؟**))[2]. قال الشارح : ((**وكلمة(أم) متصلة وتكون لطلب تعيين أحد الأمرين، وعلامتها أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام، كما في قولك : (أدبس في الأناء أم عسل؟)، ويجوز ان يليها المفرد والجملة بخلاف المنقطعة، أي: أخبرني أي الفعلين كان واقعاً**))[3]. وصف الشارح (أم) بأنها متصلة على تقدير (أي)، تتقدمها الهمزة يُراد بها وبـ(أم) التعيين، والتقدير: أخبرني يا الهي أي منهم كان واقعاً . ونجده موافقا لما ذهب إليه النحاة في حمل معنى (أم) على (أي)، ومعادلتها لهمزة الاستفهام، بخلاف المنقطعة التي لاتعطف على المفرد، ولاتقع بعد همزة ليست للتسوية ولا لطلب التعيين[4].

ويرى الباحث أنّها متصلة سبقتها همزة التسوية أفادت التقرير طلباً للعطوفة والرحمة، فيكون تقدير الكلام: أخبرني يا إلهي عن حالي فما أتيتُ من مكان إلاّ من مكان الآمال، وما تعلّقتُ باطراف حبال رحمتك حيناً لمّا أبعدتني ذنوبي وخطاياي عن وصلك والاستئناس بجوارك[5].

الثاني : منقطعة، قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**إِلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكيناً الْتَجَأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً، أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِداً قَصَدَ إِلى جَنابِكَ ساعِياً، أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآنَ وَرَدَ إِلى حِياضِكَ شارِباً؟**))[6]. قال الشارح : ((**كلمة (أم) متّصلة لطلب التصوّر وتعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم، وعلامتها أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام وقرينة لها، كما في قولك (أدبسٌ في الأناء أم عسل ؟) ويجوز أن تليها الجملة والمفرد. ومنقطعة لطلب التصديق، ولا**

---

(١) وفي بعض النسخ (إلاّ)، كما أشار الشارح بقوله:(ويوجد في بعض النسخ لفظة (إلاّ) بعد قوله (اتيتك)..)١٢١. وفي بعض النسخ :((ما أتيتك إلاّ من حيث الآمال))، صفحة١٢١ من الشرح.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٠.

(٤) ينظر: الكتاب: ١٦٩/٣ .

(٥) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٥٧.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح : ١٣٨-١٤٢.

تليها الاّ الجملة، وهي كـ(بل) في الإضراب عن الأول، ومثل الهمزة للشك في الثاني . والواقع قبلها : إمّا خبر، كقولك:(إنّ القطيعة التي أراها لإبل أم شاة ؟) فإنك لمّا عِلمتَ أنها ليست بإبل أعرضتَ عن هذا الإخبار، ثم شككتَ في أنها شاة أو شيء آخر، فاستفهمت عنها بقولك (أم شاة) أي: بل هي شاة. وإمّا استفهام، كقولك:(أزيد عندك أم عمرو؟) أي: بل عمرو . وحين تقصد الإضراب عن الاستفهام الأول بالاستفهام الثاني، وما نحن بصدد بيانه من هذا الباب؛ لأنّ كلمة(أم) فيه منقطعة لانتفاء همزة الاستفهام، والجملة الواقعة قبلها استفهاميّة، فتكون للإضراب عن سؤال إلى آخر؛ وذلك أنّه لمّا عَنَّ له (عليه السلام) أنّه تعالى لايطرد الهاربين إليه، قصد الإضراب عنه إلى الاستفهام الثاني، ثمّ لمّا ظهر له أنّه عَزّ اسمه لايخيّب المسترشدين القاصدين إلى جنابه، أضربَ عنه ثانياً فاستفهَم ثالثاً، ثم لمّا علم أنّه جلَّ جلاله لايردّ الشاربين الواردين إلى حياضه، أنكر ذلك بقوله: كَلاَّ وَحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ الْمُحُولِ))[1]

ذكر الشارح هنا الفرق بين (أم) المتصلة والمنقطعة وحكمهما، وأشار إلى ان (أم) المتصلة تأتي لطلب التصوّر، فالتصوّر من الناحية البلاغية، هو التردد في تبيين أحد الشيئين، أوهو ((إدراك الماهية من غير ان يحكم عليها بنفي أو إثبات))[2]. وبيّن أنّ من علاماتها، معادلتها لهمزة الاستفهام وأنْ تكون قرينة لها، وجواز أن يأتي بعدها جملة أو مفرد[3]. وذكر أنّ (أم) المنقطعة تأتي لطلب التصديق الذي يعني: إدراكاً لنسبة تُستفهم عن حصول الشيء من عدمه، فيمتنع ذكر المعادل. فإن جاءت (أم) بعد همزة التصديق تكون منقطعة وتقديرها (بل)[4]. ثم فصّل القول فيها بأن يأتي بعدها جملة. وهي تفيد الإضراب عن الأول اذا قُدّرت بـ(بل) والواقع قبلها إمّا خبرٌ، أو استفهام يُقصد به الاضراب، والمعيار في (أم) أنها بعد الأخبار وبعد الاستفهام بغير الهمزة مستأنفة، وتكون مع الهمزة مستأنفة أيضا أحيانا، فإذا أردت معنى أيهما عدلتها بالهمزة، وتدخل عليها ما كان للتسوية أيضا هذا ما قرره المبرد: ((تكون منقطعة، مما قبلها، خبراً كان أو استفهاماً، وذلك قولك فيما كان خبراً : إنّ هذا لزيد أم عمرو يا فتى. وذلك أنّك نظرت إلى شخص فتوهمته زيداً، فقلت على ما سبق إليك، ثم أدركت الظن أنه عمرو، فانصرفت عن الأول

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٣.

(٢) التعريفات:٣٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ١٦٩، وشرح الرضي على الكافية: ٩٨٢/٣، ومغني اللبيب:٤١/١.

(٤) ينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ١٩٤، والبلاغة (المعاني، البيان، البديع)، عمر بن علوي: ٩٩.

على معنى (بل)..))[1]. فنرى أنّ الشارح وجّه معنى (أم) إلى (بل) لما يقتضيه السياق في استعمالها بهذا المعنى الذي قدره الشارح. وكلامه يتفق مع ماذهب إليه النحاة في هذه المسألة .

الباء

(الباء) من الحروف الملازمة للجر[2]، ومُختصة بالاسم أو ما يقومُ مقامَه. وقد قسَّمها النحاة على قسمين : زائدة وغير زائدة، وأشاروا إلى أنَّ غير الزائدة تفيد الإلصاق والاختلاط فما اتسع من الكلام فهذا اصلها، وهو ما اختاره سيبويه ومن تبعه من النحاة[3]. قال سيبويه : ((وباء الجرِّ إنّما هي للإلزاق، والاختلاط، وذلك قولك: خرجتُ بزيدٍ ودخلتُ به، وضربتُهُ بالسّوط، ألزقتَ ضربك إيّاه بالسّوط، فما اتّسع من هذا في الكلام فهذا أصلهُ))[4]. وذكر ابن هشام أنّ سيبويه قد اقتصر عليه ولم يذكر غير هذا المعنى[5].

وقد توسّع النحاة في معاني الباء غير الزائدة، فذكروا لها ثلاثة عشر معنى[6]، وأوصلها ابن هشام إلى أربعة عشر معنى[7]. منها : الإلصاق، وهو معناها الذي اقتصرت عليه، ويكون إمّا حقيقياً كقولك : أمسكت بزيد . إذا قبضت على شيء من بدنه أو ثوبه ونحوه. أو مجازياً، كقولك: مررت بزيد، أي: بمكان يقرب منه. ومن معانيها: المصاحبة، نحو قوله تعالى:﴿ **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا**﴾[8]، أي: مع سلام، أو مسلّماً عليك[9]. ومن معانيها التي ذكرها الشارح :

١-**الاستعانة:** وهي التي تدخل على آلة الفعل[10]، أي الواسطة التي بها حصل الفعل، نحو قولك: كتبتُ بالقلم، قطعت بالسكين، فتسمى الباء هذه بباء الاستعانة. وقد عرفها السيوطي بقوله:((هي الداخلة على آلة الفعل كباء البسملة))[11].

---

(١) المقتضب: ٢٨٨/٣.

(٢) ينظر: الجنى الداني، المرادي: ٣٦.

(٣) ينظر: الكتاب:٢١٧/٢، والمقتضب: ١٧٥/١- ١٤٢/٤، وشرح المفصل:٤٧٣/٤.

(٤) الكتاب: ٢١٧/٢.

(٥) ينظر: مغني اللبيب:١٠٦/١.

(٦) ينظر: معاني الحروف، الرماني:٤-٥، والأزهية في علم الحروف:٢٨٤، والجنى الداني: ٣-٤٦.

(٧) ينظر: مغني اللبيب: ١١٩/١.

(٨) هود : ٤٨.

(٩) ينظر: شرح التسهيل: ١٥٠/٣، وشرح المفصّل: ٣٨١/١.

(١٠) ينظر: شرح المفصّل: ٤٧٤/٤، والجنى الداني: ٣٨، وشرح ابن عقيل: ٢٢/٣.

(١١) الإتقان في علوم القرآن:٣٣٩.

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) :((**وَافْتَحِ اللّهُمَّ لَنا مَصاريعَ الصَّباحِ بِمَفاتيحِ الرَّحْمَةِ وَ الْفَلاحِ**))[١].

قال الشارح :((**والباء فيها للآليّة، كما في ضربت بالسوط وكتبتُ بالقلم**))[٢].

ذكر الشارح هنا أن (الباء) تكون للاستعانة وسمّاها (الآلية)، والاستعانة إمّا حقيقية، أو مجازيّة، فالحقيقية لاتكون إلا بآلة حقيقية، نحو: استعنت بزيدٍ. والمجازيّة تكون بغيرها، نحو: توسلت بجاهك. وحاصل المعنى: نستعين بك اللّهم في ان تفتح لنا أبواب الصباح المغلقة علينا التي في الدنيا وفي الآخرة بمفاتيح رحمتك.

ويرى الباحث أنّ الاستعانة هنا جاءت لتفيد معنى الإلصاق المجازي، أي: افتح اللهم لنا أبواب الصباح المغلقة علينا في أمور الدنيا والآخرة بمفاتيح رحمتك للفلاح والفوز والنجاة[٣]، حيث شبّه أجزاء الصباح بالمنزل المقفول، وأثبت له المصاريع والمفاتيح، فاستُعير (الفتح) للدخول في الصباح فأدخل الباء في هذا المعنى وهو ما يناسب عبارة الافتتاح هنا.

٢-**السببية:** من معاني الباء السببية وهي التي تدخل على سبب الفعل نحو ﴿ **فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ**﴾[٤]، ويعبر عن هذا المعنى بالتعليل أيضا[٥]. وقال الرضي الاستراباذي(٦٨٦هـ) السببية فرع الاستعانة[٦]، وهي التي تكون بمعنى اللام[٧] .

وقد ذكر الشارح الباء السببية عند شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ**))[٨]، إذ قال : ((**...والباء سببية**))[٩]. أي: طوّل ومدَّ ضياء الشمس بسبب نور تلهبه.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٨٧.

(٣) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري:١٢٠.

(٤) العنكبوت: ٤٠.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: ٣١٠/١، والإتقان في علوم القرآن: ٤٦٢/١، وهمع الهوامع: ١٣٣/٢.

(٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٨١/٤، وهمع الهوامع: ٤١٧/٢.

(٧) ينظر: حروف المعاني، الزجّاجي: ٨٧.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٧.

(٩) المصدر نفسه: ٣٨.

٣- تعدد المعاني المحتملة للباء:

أ – قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):((**وَهذِهِ أَعْباء ذُنُوبِي دَرَأْتُها بِرَحْمَتِكَ**))[١]. قال الشارح: ((**والباء: إمّا سببيّة، أو آليّة، أو استعطافيّة**))[٢]. ذكر الشارح هنا بعض المعاني الوظيفية المحتملة للباء، وهي:

ـ السببية : أي: دفعت ودرأت عن نفسي حمل ذنوبي بسبب سعة رحمته تعالى ، فهنا جاءت الباء بمعنى السببية .

ـ الآلية: وتسمى باء الاستعانة. فيكون تقدير الكلام : استعنت بعفوك في دفع أعباء ذنوبي.

ـ الاستعطافية [٣]، وهي الباء التي تدخل على جملة الاستعطاف، فتدخل على المُقسَم به، وجواب القسم طلب أو إنشاء. كقولك: بالله الاَ ترحمني. فالمعنى العام للاستعطاف هو للعطف والشفقة. فيكون المعنى : اغفر لي ذنوبي واعباءها بكونك ارحم الراحمين، توقعاً لحصول المغفرة؛ لأنه تعالى رحيم وسعت رحمته كلّ شيء. ويرجّح الباحث أن (الباء) هنا آلية؛ لأن العبد دائماً يستعين برحمة ربّه ولايستغني عنها طرفة عين، فيكون تقدير الكلام: دفعت ذنوبي وحملها عن نفسي مستعينا بعفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء[٤].

ب– قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : ((**يامَنْ دَلَعَ لسان الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ**))[٥]. قال الشارح: ((**والباء فيه إمّا بيانيّة، أو آلية، أو سببية**))[٦].

ذكر الشارح هنا أنّ (الباء) تحتمل معانٍ عدّة:

ـ أن تكون الباء بيانية: فيكون مدخولها لبيان مبهم قبلها. ولم يذكر النحاة هذا المعنى للباء في مصادر النحو على حدٍّ اطلاع الباحث. لكنها وردت في بعض مصادر الفقه منها كتاب (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري(ت١٢٨١هـ)[٧]، و(ارجوزة الفقه) لملاّ هادي السبزواري(ت١٢٨٩هـ)[٨]. فجملة (نطق تبلّجه) تُبيّن وتوضّح جملة (دلع لسان الصباح).

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٠.

(٣) ينظر: معاني النحو:٤/٥٤٠.

(٤) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٧١.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤.

(٦) المصدر نفسه: ٢١.

(٧) ينظر: كتاب المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري:٥/٢٤٩.

(٨) ينظر: شرح نبراس الهدى في أحكام الفقه واسرارها، ملاّ هادي السبزواري:١٨٥.

ـ أو تكون الباء (آليّة): فيكون المعنى : يا مَن أظهر ضوء الصباح مستعيناً بإشراق نوره تعالى وتبلّجه .

ـ أو تكون سببية، أي: اخرج لسان الصباح بسبب النور المرتفع عند الأفق قبل طلوع الشمس وتبلّجها[١].

والذي نستشفّه من خلال التعرض لسياق الباء ضمن فقرات الدعاء – كما يرى الباحث–نجد أنها تفيد الملابسة وهو معنى قريب من المصاحبة التي من علاماتها : أن يحسن في موضعها (مع) ، أو أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال، كما في قوله تعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[٢]أي: مع الحق أو محقاً[٣]. فيكون تقدير الكلام: اخرج لسان الصباح ملتبساً ومصحوبًا مع إشراق نوره تعالى، فتكون الباء للملابسة .

على

(على) من حروف الجر العاملة، وقد تعددت معانيها عند النحاة، إلاّ أنها أُختصّت بثمانية معانٍ أشهرها[٤]: الإستعلاء : وهو أكثر المعاني شيوعاً لاشتراكها بهذا المعنى على الفعلية والاسمية والحرفية .

قال سيبويه:((فأمّا على فاستعلاء الشي، تقول : هذا على ظهر الجبل، وهو على رأسه))[٥]. وقد أجمع النحاة على أن الاستعلاء قد يكون حقيقة ومجازاً[٦]، فمثال الأول قوله تعالى : ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٧]، ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[٨].

---

(١) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري:١٥.

(٢) النساء: ١٧٠.

(٣) ينظر: شرح المفصّل :٣٨١/١.

(٤) ينظر: مغني اللبيب:١٥٢/١، والجنى الداني: ٤٧٦، النحو الوافي: ٥٠٩/٢ .

(٥) الكتاب:٢٣٠/٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه:٢٣٠/٤، ومغني اللبيب: ١٥٣/١، وشرح ابن عقيل:٢٣/٣.

(٧) المؤمنون : ٢٢.

(٨) آل عمران : ٩٧.

وقد توسّع النحاة في الاستعمال المجازي لـ(على) وأُطلقوا عليها تسميات كثيرة تبعا لاختلاف التراكيب الداخلة فيها[١]. ومن معانيها التي وردت في الشرح: المصاحبة بمعنى (مع): كقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[٢]، أي: مع ظلمهم.

جاء في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلى زَحاليفِها[٣]فِي الزَّمَنِ الأَولِ))[٤]. قال الشارح :((**وحمل كلمة (على) على معنى (مع) يعطي من المبالغة ما لايعطيه حملها على معناها، يعرفه العاقل إذا تأمله**))[٥].

ذكر الشارح هذا المعنى في شرحه لنصّ الدعاء حيث أشار إلى نكتة وهي المبالغة في المعنى. بأن حمل (على) على المصاحبة بمعنى (مع) يكون أكثر مبالغة ! فهو يرجّح (المعيّة) بحسب السياق اللغوي الذي يوضّح الدلالة، فإن حملنا عبارة الدعاء على معنى (مع) أعطت من المبالغة في المعنى أكثر مما يعطيه حملها على معناها المشهور وهو (الإستعلاء)، فعلى الأول يكون المعنى: ثبات قدمه (صلى الله عليه وآله) مع زحاليفها ومنزلقاتها في الازل.

وامّا حمل الكلام على معنى (على) يكون المعنى : ثبات قدمه على المزالق التي كانت في بداية دعوته (صلى الله عليه وآله).

عَنْ

وتأتي على معان كثيرة، منها: المجاوزة : وهو أصل استعمالها كما ذكر النحاة[٦]. ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَبَعُدَ عَنْ ملاحَظَةِ الْعُيُونِ))[٧]. قال الشارح: ((**وكلمة (عَنْ) للمجاوزة، وهي مُتعلّقة بمحذوفٍ، أي: بعُدَ بُعداً مجاوزاً عن ملاحظةِ العيون**))[٨].

---

(١) ينظر: همع الهوامع:٢/٥٥.

(٢) الرعد : ٦.

(٣) زحاليف: من الفعل (زحلف)، والزُّحْلُوفَةُ آثار تَزَلُّج الصِّبيان من فوق التَّلِّ إلى أَسْفَله، أو مكان منحدر مملس. ينظر: لسان العرب، مادة (زحف): ٩/١٣١، والقاموس المحيط:٣/١٤٧.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٧٧.

(٥) المصدر نفسه: ٧٧.

(٦) ينظر: اللمع في العربية:٦٠، ومغني اللبيب:١/١٥٨.

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٥٥.

(٨) المصدر نفسه: ٥٥.

ذكر الشارح أنّ(عن) هنا أفادت المجاوزة وتعلقت بمحذوف. وذهب النحاة إلى أنّ حرف الجر دائما يحتاج لمتعلق به ليتم معناه في الجملة؛ لإن المتعلّق لايخرج عن كونه : أمّا فعل، أو مصدر، أو اسم الفعل، أو المشتق الذي يعمل عمل الفعل، فيحذف هذا المتعلق وجوبا، أو جوازا إن كان هناك دليل يدل عليه[١] . وقد حذف المتعلق الذي هو المصدر(بعدا) جوازا لوجود ما يدل عليه وجعل الجار والمجرور متعلّقاً بمحذوف. أي: بعد بُعداً تجاوز إدراك الأبصار له جلَّ وعلا.

ويرى الباحث أنْ لاحاجة إلى هذا التقدير؛ لبيان معنى المجاوزة. إذ يمكن أن يكون متعلّقاً بالفعل المذكور وهو(بَعُدَ) الذي يتضمن معنى (البُعد) ويكون معنى (المجاوزة) في ذات الحرف ولايجب تقدير مصدر حتى يتّضح المعنى، وهذا من الإسفاف في التقدير.

كلاّ:

(كلا) عند سيبويه والمبرد وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر[٢]، ولا معنى له غيره. وقد ذكر الشارح (كلاّ) عند شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**كَلاّ وَحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ الْمُحُولِ**))[٣].

قال الشارح: ((**حاشاك وسبحانك وأُنزّهك عن أن أصفك بهذه الصفات، أو أنسبك إلى تلك السمات، فإنها صفات واجب تنزيهك عنها. و(كلا) ردع في الكلام وتنبيه وزجر، ومعناه : إنتهِ لاتقل أنه تعالى متّصف بها ومنسوب إليها، فهو ردّ على مَنْ وهم إتّصافه تعالى بها، كما سبق إليه الإيماء، إلا أنّه (عليه السلام) لمّا أضرب عن الأوّليَن خَصَّ الإنكار بالثالث، ولذا قال: وحياضك مترعة مملوّة**))[٤].

نلاحظ هنا أن الشارح أحتملَ قول سيبويه وأكثر البصريين بإنّ معناها (الردع والزجر) وهو الغالب في معناها، فجاء معناها بحسب ما يقتضيه السياق.

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ٨، والنحو الوافي: ٤٤١/٢ .

(٢) ينظر: الكتاب: ٢٣٥/٤، والأصول في النحو: ١٧٩/٣، وحروف المعاني: ١١، والمفصل:٤٤٧.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٣-١٤٤.

مِنْ:

وهي حرف جر مبنيّ على السكون يجر الظاهر والمضمر، ويأتي زائداً وغير زائد، ولغير الزائد معانٍ كثيرة[١]. فقد ذكر الهروي (ت٤٨١هـ) أن لها أربعة مواضع، لابتداء الغاية، وهو الأصل، وتكون للتبعيض، ولبيان الجنس، وتكون زائدة[٢]. وهي عند ابن هشام تأتي على خمسة عشر وجهاً[٣]، ورد منها في الشرح مايأتي:

١ – **ابتداء الغاية** : وقد اتفق النحاة أنها تفيد ابتداء الغاية في المكان، وهو الغالب عليها، وخصّ سيبويه ابتداء الغاية بالمكان والأشخاص فقط :((... وذلك قولك مِنْ مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبت كتابا:(من فلان إلى فلان)، فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها))[٤]. ومنه قوله تعالى:﴿**سبحان الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[٥]. واختلف في ابتداء الغاية في الزمان، فاستعملها الكوفيون والأخفش والمبرّد[٦] لهذا المعنى، بدليل قوله تعالى:﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أولِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ**﴾[٧].

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين علي(عليه السلام) : ((**إلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِيناً الْتَجَأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً**))[٨]. قال الشارح في تعليقه على (الْتَجَأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً) :((**إذ المراد أنّه فرّ من عقاب الذنوب، وهو أثر الغضب إلى كنف حمايته، وهو الرحمة، فتأمّل. فكلمة(مِنْ) ابتدائيّة، والمضاف محذوف، أي: هرب من عذابها أو خوفها إليك، وهذا التقدير متحتّم، إذ لامعنى للهرب من ذات الذنوب. فإن قلتَ : هلاّ حملتَ (مِنْ) على معنى التعليل، ليكون المعنى هرب إليك من أجل الذنوب. قلتُ : يُعيّن كونها ابتدائيّة مقابلتها بـ(إلى) . قال الرضي : وتُعرف**

---

(١) ينظر: الجنى الداني: ٣٠٨، ومغني اللبيب:٣٥٣/١، والنحو الوافي:٢/ ٤٥٨.

(٢) ينظر: الأزهية:٢٢٦.

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ٣٥٣/١، وجامع الدروس العربية: ١٧١/٣

(٤) الكتاب:٢٢٤/٤.

(٥) الاسراء : ١.

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ٣٥٣/١.

(٧) التوبة : ١٠٨.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.

(مِنْ) الابتدائيّة بأن تحسن في مقابلتها (الى)، نحو: لمْ آتكَ مِنْ سوءِ أدبكَ، كأنّها ابتدائيّة؛ لأنّ ترك الأتيان حصل مِنْ سوء الادب))[1].

فقد فسّر الشارح هنا مجيء (مِنْ) بمعنى ابتداء الغاية بمقابلتها بـ(إلى)، وهو ما ذكره النحاة بأنها لابتداء الغاية وهو الغالب عليها، وأن سائر معانيها راجعة إليه[2]. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ففسّر الشارح معناها بحسب دلالة السياق، وهو الهرب من عقاب الذنوب وليس من الذنوب نفسها:

٢- **التبعيض**، وتكون بمعنى (بعض)، وهو كثير باتفاق أغلب النحاة وعلامتها إمكان سدّ (بعض) مسدّها[3]. كقولك :أخذتُ من المال، وأكلتُ من الرغيف، وقد ناسب المبرّد بين هذا المعنى و معنى الابتداء بقوله:((...فإذا أردت البعض قلتَ: أخذتُ من ماله، فإنما رجعت بها إلى ابتداء الغاية))[4]. حيث أنكر مجيئها للتبعيض وتابعه ابن السرّاج والجرجاني والزمخشري، فذكروا بأنه راجع لابتداء الغاية، خلافاً لسيبويه[5]. وذكر الشارح هذا المعنى في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : **((وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الْاَطْوَلِ))**[6].

قال الشارح : ((...**وكلمة (مِنْ) تبعيضيّة**))[7]. ذهب الشارح إلى أن (مِن) جاءت هنا تبعيضيّة، وبحسب ما يقتضيه سياق الدعاء، وهو وصف صفات إمتاز بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنها تمسّكه بسبب من الأسباب التي توصله إلى الله تعالى، وذلك السبب أو الحبل هو أشرف الأسباب وأعلاها، سواء أكان هذا الحبل المقصود به، القرآن الكريم الذي هو بعض أسباب الله تعالى، وحقيقة العروة الوثقى التي لا انفصام لها. فهو حبل ممدود من السماء إلى

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٠.
(٢) ينظر: مغني اللبيب:١/٣٥٣.
(٣) ينظر: الجنى الداني : ٣٠٩، و مغني اللبيب:١/٣٥٣.
(٤) المقتضب:١/١٨٢.
(٥) ينظر: همع الهوامع: ٢/٣٧٧، والأصول في النحو:١/٣٦٤، والجمل، الجرجاني: ٢٥.
(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٧٢.
(٧) المصدر نفسه: ٧٢.

الأرض، وهو حبل الله المتين، وتمسكه (صلى الله عليه وآله) بأطول حبال الشرف؛ لاستخلاص أمّته بالتمسّك به[1]، أو الدين الأسلامي القويم، فالنتيجة واحدة. فتكون (مِن) تبعيضيّة.

٣- البيانيّة: وتأتي لبيان جنس الشيء المبهم قبلها، وكثيرا ماتقع بعد (ما) و(مهما) لفرط ابهامها[2]، وعلامتها أنْ يصحّ الإخبار بما بعدها عمّا قبلها. وقيل : هي أن يصح وضع الذي موضعها ووقوعها صفة لما قبلها[3]، من ذلك قوله تعالى : ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ**﴾[4]، أي: الرجس هي الأوثان .

وكذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**فَبِئْسَ المَطِيَّةُ الَّتِي أَمْتَطَأَت نَفسي مِنْ هَوَاهَا**))[5]. قال الشارح:((**مِنْ هواها: بيان للمَطيّة المخصوصة بالذمّ، فهو المخصوص به حقيقة، لأنّه لمّا قال: فبئس المطيّة وأجمل، فكأنّه سُئل عنها، وقيل ما هي ؟ فقال : هي هوى نفسي الذي امتطأته**))[6].

فجاءت(مِنْ) هنا بيان للمَطيّة وهي(النفس)، وكثيراً ما يحدث التباس بين معنيين من معاني الباء، أي: للتبعيض والبيان، ولكن سياق الكلام والقرائن توضّح المعنى المقصود. وهذا ما انتبه إليه الشارح، وحاصل المعنى: اتخذتْ نفسي هواها مَطيّة لها تذهب حيث ماشاء الهوى، فعجباً لهذه النفس الجموح الأمّارة بالسوء لما زيّنته لها الظنون الباطلة والأماني العاطلة الكاذبة))[7].

٤- التعليل وبيان الجنس

وهذان المعنيان ذكرهما الشارح في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**فأَصْفَحِ اللّهُمَّ عَمّا كُنْتُ اَجْرَمْتُهُ مِنْ زَلّي وَ خَطائي**))[8]. قال الشارح : ((... **ولفظة (مِنْ) تعليليّة، أي: عن الذنوب التي وقعت وصدرت منّي لأجل زللي وخطائي . ويحتمل أن تكون مبهمة مفيدة للعموم مفسّرة**

(١) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري:١٠١، وشرح دعاء الصباح، الخويلدي: ٣٩.

(٢) ينظر: الجنى الداني: ٣١٠، ومغني اللبيب:٣٥٤/١، وجامع الدروس العربية: ١٧٢/٣.

(٣) ينظر: الجنى الداني: ٣٠٩، ومغني اللبيب: ٣٥٤/١، والبرهان في علوم القران: ٤١٧/٤

(٤) الحج :٣٠.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٤.

(٦) المصدر نفسه: ١٢٥.

(٧) شرح دعاء الصباح، الخويلدي: ٥٨.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣١.

بمدخول من، فلفظة (مِنْ) بيانيّة))[1]. أشار الشارح هنا إلى أن (مِنْ) في عبارة الدعاء تحتمل وجهين: احدهما : (تعليلية)، وتسمى السببيّة، فتدخل على اسم يكون سبباً وعلّة في إيجاد شيء آخر[2]. كقوله تعالى :﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[3]، أي: كلّما أرادوا أن يخرجوا منها بسبب غم أعيدوا فيها .

وتقدير الكلام في نصّ الدعاء: فاصفح يارب عن ذنوبي وعظيم جرمي بسبب معاصييّ وزلاّتي. وثانيهما : (بيانيّة)، جاءت لبيان الجنس[4]؛ لأن (ما) هي الذنوب والمعاصي، والتقدير: فاصفح اللهم عن ذنوبي وجرمي من زلاّتي وخطائي، فكأنه قال: ذنوبي هي انزلاقي في المعاصي وزلاّتي وأخطائي . ويرى الباحث أن كِلا الوجهين اللذيَن ذكرهما الشارح محتملان، وكونها بيانيّة وجه جيّد.

الواو:

تكون (الواو) عاملة وغير عاملة، والعاملة وهي واو القسم لا تكونُ إلاّ في الأسماء، وأمّا في الأفعال فتُقدّر بعامل بعدها[5]. ولها معانٍ كثيرة، فقد ذكر ابن هشام أنها تأتي على أحد عشر معنىً[6]، وذكر المالقي (ت٧٤١هـ) تسعة عشر استعمالاً، منها: العطف، والابتداء، وللحال بمنزلة (إذ)، والقَسَم، وبمعنى (مع)، وبمعنى (أو)، وبمعنى (ربَّ)، وتكون زائدة[7].

ومن معانيها التي وردت بحسب احتمالات الشارح: ما ورد في قول صاحب الدعاء(عليه السلام):((**سبحانكَ اللّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ**))[8]. قال الشارح :((**والواو إمّا حاليّة، والتقدير: وأنا متلبّس بحمدك على التوفيق، لتنزيهك والتأهيل لعبادتك، كأنّه لمّا اسند التسبيح إلى نفسه أوهَمَ ذلك فرحاً وسروراً، فعقّب بهذه الجملة الحاليّة ليزول على قياس ما قالوا في﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**[9]. **أو اعتراضيّة، ومدخولها جملة مقدّرة، والحمد قائم مقامها، والتقدير : أُسبّحك**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٢.

(٢) ينظر: النحو الوافي: ٤٦٣/٢.

(٣) الحج :٢٢.

(٤) ينظر: النحو الوافي: ٤٦١/٢.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ١٥٣.

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ٣٩٥/١.

(٧) ينظر: رصف المباني:٤٠٩، وحروف المعاني، الزجاجي:٣٦، والأزهية:٢٣١، والجنى الداني:١٧٤.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٥ .

(٩) الفاتحة: ٥.

سبحاناً وبنعمتك التي توجب عليّ حمدك أُسبّحك، وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملّكتنيها. أو زائدة، والجار بمجروره في محلّ النصب على الحاليّة، والتقدير: متلبّسا بحمدك. أو عاطفة، تعطف الجملة الاسميّة أو الفعليّة المقدّرة على الفعليّة المضمرة في سبحانك ...والتقدير: أُسبّحك سبحاناً وأسبّحك مستعيناً بتوفيقك إيّاي على حمدك))[1].

فقد احتمل الشارح معانٍ عدّة للواو هي:

١- **الواو الحاليّة** : سُميّت بـ(واو الحال)؛ لاقترانها بالجملة الواقعة حالاً سواء أكانت هذه الجملة فعلية أم اسمية، نحو : جئتك وزيد قائم . وضابط هذه الواو أن تحلّ محلّها (إذ) عند حذفها، فيُقال: جئتك إذ زيد قائم . ولو وجد في الجملة ضمير يربطها بصاحبها فيجوز حذفها اكتفاءً بذلك الضمير فتقول في : جئتك وأبوك قائم، جئتك أبوك قائم[2].

وأمّا إن كانت جملة الحال تشتمل على ضمير يعود على صاحب الحال و مصدّرة بفعل مضارع منفي، جاز أن تأتي بواو وأن لا تأتي بها، نحو: جاء زيد ولم يسلّم. وأمّا الفعل الماضي فلا يجوز أن يقع حالا إلاّ إذا جيءَ معه بـ(قد)، فيجوز إتيان واو الحال أو عدم إتيانها في الجملة؛ لأن (قد) تقرّبه من الحال . كقولك : قد خطبَ الخطيب وما لحن[3]. فيكون تقدير الكلام في نصّ الدعاء: أُسبّحك تسبيحاً وأنا مشغول بحمدك على التوفيق لتنزيهك والتأهيل لعبادتك.

٢- **الواو الأعتراضيّة** : وهي الواو التي تكون مقترنة بالجمل المعترضة فتتعلّق بما قبلها وما بعدها، وهذا التعلق ليس تعلّقاً على سبيل الجمع والتشريك كواو العاطفة، ولا على معنى الحاليّة كواو الحال. فالجملة المعترضة هي التي تقع بين شيئين متطالبين، كالتي تقع بين المبتدأ وخبره، أو بين ما أصله المبتدأ، أو ما أصله الخبر، أو بين الفعل ومعموله، أو بين الموصوف وصفته، أو بين المعطوف والمعطوف عليه، أو بين الشرط وجوابه، أو بين القسم والمقسم عليه، أو بين جملتين مستقلّتين بينهما علاقة سببية، أو تفسير، أو بيان[4]. وأول من أشار إلى هذه الواو الاعتراضيّة – على حدّ اطّلاع الباحث–هو الاستراباذي(ت٦٨٦هـ) بقوله :((واعلم أن الواو التي تدخل على (لاسيما) في بعض المواضع كقوله :

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧٦.

(٢) ينظر: معاني الحروف: ٦١، والأزهية: ٢٤٢.

(٣) ينظر: شرح المفصّل:٢٧٨/٢، والمقرّب:١٦٠، والواوات والياءات في النحو والصرف، فتحية حسين عطار، رسالة ماجستير:٥١.

(٤) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة: ٦٦.

ألا رُبَّ يوم لك منهنّ صالح ولاسيما يومٍ بدارة جُلجُل[1]

اعتراضيّة ...إذ هي مع ما بعدها بتقدير جملة مستقلّة،... ويجوز مجيء الواو قبل (لاسيما) إذا جعلته بمعنى المصدر وعدم مجيئها، إلاّ إنّ مجيئها أكثر وهي اعتراضيّة))[2].

فالواو في قول الإمام (عليه السلام) تعلّقت بما قبلها من جملة مقدّرة وبما بعدها من كلام، والتقدير كما ذكره الشارح: أسبّحكَ سبحاناً وبنعمتك التي توجب عليّ حمدك أُسبّحك، وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملّكتنيها.

٣- الواو الزائدة : وهو ما ذهب إليه الكوفيون، والأخفش، وابن مالك. والبصريون يخرجونها إلى معنى العطف، والجواب محذوف وتقديره أبلغ من ذكره أو حذف للعلم به وكذلك توخياً للايجاز والاختصار[3]. وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، واتصافه بها أمر ثابت ولازم[4]، كقوله تعالى: ﴿ **وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتابٌ مَعْلُومٌ**﴾[5]. فإن حملنا الواو في نصّ الدعاء على أنّها زائدة ، يكون تقدير مابعدها(بحمدك) في محل نصب حال، وتقدير الكلام : أسبّحك تسبيحاً متلبّساً بحمدك.

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٦.

(٢) شرح الكافية: ٢/١٣٦-١٣٧.

(٣) ينظر: رصف المباني: ٤٢٥، والجنى الداني: ١٦٤، والإنصاف في مسائل الخلاف:٣٦٦.

(٤) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ٢٣٢-٢٣٨.

(٥) الحجر: ٤.

٤-الواو العاطفة : ذهبَ النحاة إلى ان هذه (الواو) تُعدّ أم باب العطف، لا تفيد إلاّ التشريك ومطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولاتدل على أيهما كان أولاً، فهي لاتفيد ترتيبا ولا تعقيباً[١]. قال ابن جني: ((فمعنى واو : الاجتماع، وتقول قام زيد وعمرو، أي: أجتمع لهما القيام، ولاتدري كيف ترتّب حالهما فيه))[٢]. وكذلك قوله تعالى:﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣].

وهناك من النحاة ذهب إلى أنها تفيد الترتيب، وهذا المذهب ينسب إلى نحاة الكوفة، منهم الكسائي (ت١٨٩هـ) والفرّاء (ت٢٠٧هـ) وثعلب (ت٢٩١هـ) وابن درستويه(ت٣٤٧هـ)، ونسب البصريون هذا الرأي إلى قطرب(ت٢٠٦هـ)[٤].

ولو حملنا الواو في نصّ الدعاء على معناها الأصل وهو العطف، فإنّها تعطف الجملة الاسميّة أو الفعليّة على الجملة الفعليّة المضمرة في (سبحانك)، وتقدير الكلام: أنزّهك، وأحمدك مستعيناً بتوفيقك إياي على حمدك.

ويرى الباحث انّ (الواو) هنا تحتمل وجهين يمكن ترجيحهما، الأول : زائدة، وزيادتها هي للتوكيد، إذ لا زائد في القرآن الكريم ولا في كل كلام فصيح، إنّما جاء كمصطلح نحوي لدى النحاة. فيكون تقدير الكلام : اسبّحك متلبّساً بحمدك. والاحتمال الآخر: أن تكون عاطفة بمعنى (مع) وهو معناها الأصل، فيكون معنى الكلام: سبّحتكَ مع حمدك، وهو الاقرب .

---

(١) ينظر: المقتضب:١٤٨/١، والجنى الداني:١٥٣، ومغني اللبيب:٣٩١/١، والنحو الوافي: ٥٥٧/٣، و جامع الدروس العربية: ٢٤٥/٣.

(٢) اللمع في العربية: ٧٠.

(٣) آل عمران: ٤٣.

(٤) ينظر: مغني اللبيب:٣٩٢، وشرح الرضي على الكافية:٣٤٣/٢.

الفصل الثاني

العلاقات الدلالية

من بين الوسائل أو الطرائق التي أمدّت اللغة العربية بكمّ هائل من المفردات والمعاني مايسمّى بالظواهر الدلالية أو اللغويّة والتي تشمل (الترادف، والمشترك اللفظيّ، والتضادّ، والتقابل الدلالي)، إضافة إلى الاستعمال المجازيّ للألفاظ، وكذلك انتقال دلالة الكلمة أو اللفظة، فيعرض لها التعميم أو التخصيص، أو الانتقال، فقد تسمو دلالتها، وقد تنحط، وهذا التغيير يسمّى لدى علماء اللغة بـ(تغيير المعنى)، أو(التطور الدلالي)[١].

فنجد في الكتب التي بحثت في تلك الظواهر اللغوية أنّ مؤلفيها قد أطلقوا على المفردات الدالة على معنى واحد اسم (المترادف)، وعلى اللفظ الواحد الدال على المعاني المختلفة اسم (المشترك اللفظي)، وأطلقوا على المعاني المتضادة من هذه الألفاظ اسم (الاضداد). وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذه الحقيقة التي تميزت بها العربية بقوله : ((والحقيقة أنّه لم تُغن لغة بمثل ما غُنيت به اللغة العربية من تعدد المفردات الدالة على معنى واحد من ناحية أو تعدد معاني اللفظ الواحد إلى درجة التضاد بينها في بعض الأحيان من ناحية أخرى))[٢].

وكان العلاّمة المازندراني من الشرّاح الذين التفتوا إلى هذه العلاقات الدلاليّة، فجاء شرحه حافلا بها مما ينمّ عن سعته وثقافته العالية في هذا المجال .

فمن هنا تضمنت الدراسة عدة جوانب لغوية ذكرها الشارح، فجاءت على وفق المباحث الآتية:

---

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر): ٢٤٣، ودور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ١٥٢.

(٢) فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب:٣٠٩.

المبحث الأول

التـــــرادف

الترادف لغة :

ورد الترادف في المعجمات اللغوية بمعنى التتابع، قال ابن فارس : ((الراء والدال والفاء أصل واحد مطَّرد، يدل على إتباع الشيء . فالترادف: التتابع، والرديف الذي يرادفك . وسمّيت العجيزة ردفاً من ذلك. ويقال: نزل بهم أمرٌ فَرَدَفَ لهم أعظم منه، أي تبع الأول ما كان أعظم منه))[١].

وذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ : ((الرِّدفُ: ما تبع الشيءَ، وكل شيء تبعَ شيئاً، فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيءٍ فهو الترادف، والجمع الرُّدافى))[٢].

الترادف في الاصطلاح :

هو:((توالي الألفاظ المفردة الدَّالّة على شيءٍ واحد باعتبارٍ واحد))[٣]، وعّرفه أبو البقاء الكفويّ (ت١٠٤٩هـ) بأنه : ((الاتحاد في المفهوم، لا الاتحاد في الذات، كالإنسان والبشر . وحق المترادفيَن صحة حلول كل منهما محل الآخر.... يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لايفيد وحده شيئاً، بل بشرط كونه مقيّداً بتقدم الأول عليه،...مثل: ﴿بَثِّي وَحُزنِيٓ ﴾[٤]، ﴿سِرَّهُم وَنَجوَىٰهُم﴾[٥].... والمترادفان قد يكونان مفردين كالليث والأسد، وقد يكونان مركبين كجلوس الليث وقعود الأسد، وقد يكون أحدهما مفرداً والآخر مركباً، كالمرّ، والحلو الحامض))[٦].

فالترادف هو دلالة الألفاظ المختلفة والمتعددة على معنى واحد، وهذه الألفاظ المترادفة متحدة في المعنى، وقابليتها للتبادل فيما بينها في أي سياق ترد فيه[٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة:٥٠٣/٢ (ردف).

(٢) لسان العرب: ١٨٩/٥ (ردف).

(٣) التعريفات: ٥٨.

(٤) يوسف : ٨٦.

(٥) التوبة : ٧٨.

(٦) الكليات، الكفوي: ٣١٥.

(٧) ينظر: فصول في فقه اللغة: ٣٠٩.

وبالرجوع إلى ما أورده الشارح في شرحه لفقرات الدعاء، نجده من القائلين بوقوع الترادف، فقد صرّح بذلك وذكر المصطلح باسمه ـ كما سيأتي ـ ذاكراً ألفاظا وعبارات وردت في فقرات الدعاء تدل على ذلك، منها :

١–الضياء والنور

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ**))[١]. صرّح الشارح هنا بمصطلح الترادف في لفظتي(الضوء والنور)، فقال:((**والضوء والنور مترادفان لغة. وقيل: هو أقوى من النور، فهو فرط الإنارة، وقد تُسمّى تلك الكيفيّة إن كانت من ذات الشيء ضوءاً، وإن كانت مستفادة من غيرها نوراً**))[٢]. وقد أقرّت أكثر المعجمات اللغوية هذا الترادف، منها ما ورد في معجم تاج العروس:((الضَّوْءُ هُوَ النُّورُ، ويُضَمُّ وهما مُتَرَادِفَانِ عِنْد أَئمة اللُّغَة))[٣]. وأكّد بعض اللغويين من الذين يذهبون إلى عدم وجود ترادف تام بين الألفاظ على مسألة الفروق اللغويّة أنّ(الضوء) هو ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيضُّ بذلك، والشاهد أنهم يقولون: ضياء النهار، ولايقولون: نور النهار إلا أن يعنوا الشمس ويُفرّق بينهما((بأن الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفادا من غيره))[٤].

ويرى الباحث أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل في هذه الفقرة كلمتين مترادفتين وهما(النور والضياء) وقد فرق الشارح بينهما بأن الضوء ما كان من ذات الشيء المضيء، واما النور فهو ما كان مستفادا من غيره، فيكون التقدير: أطال ومزج ضياء الشمس القائم بجرمها بنور مودع في باطن ذلك الضياء منه تعالى الذي هو نور كلّ نور.

٢– الصفح والعفو

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**فَاصْفَحِ اللّهُمَّ عَمّا كانَ مِنْ زَلَلي وَخَطائي**))[٥]. قال الشارح: ((**والصفح : العفو والتجاوز، وأصله من الإعراض بصفحة الوجه، كأنّه يعرض بوجهه**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧.

(٣) تاج العروس:٣١٨/١ (ض و أ).

(٤) معجم الفروق اللغويّة، لأبي هلال العسكري:٣١١.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣١.

عن ذنبه، ومنه الصفوح في صفة الله تعالى، وهو العفو عن ذنوب العباد والمُعرِض عن عقوبتهم تكرّماً. وقيل: الصفح هو أن تُعرض عن الشيء وتولّيه بصفحة وجهك، وتبقي له أثراً مّا، والعفو: أن تعفو فلاتبقي له أثراً. وقيل: العفو أن لاتؤاخذ، والصفح الإعراض وعدم التثريب والأعتراض، فهو من حيث شموله لعدم تذكّر الخيانة كان أبلغ، ولعلّه لذلك آثره (عليه السلام)، والعفو أبلغ من وجه آخر، وهو المحو بالكليّة، من عفى الرسم إذا ذهب أثره))[1].

ذكر الشارح هذا الترادف في لفظتي(الصفح) و(العفو) وأنهما يستعملان لدلالة معروفة تُشير إلى الترك والإعراض وهو ما ذكره أصحاب المعجمات: ((صفح (كمنع: أعرض وترك) ، يصفح صفحاً. يقال: ضربت عن فلان صفحاً، إذا أعرضت عنه وتركته... والصفوح: الكريم؛ لأنه يصفح عمن جنى عليه. وأمّا الصفوح من صفات الله تعالى فمعناه (العفو) عن ذنوب العباد، معرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة تكرما))[2]. والعفو ((عفو الله عز وجلّ عن خلقه. وأيضاً: (الصفح) عن الجاني وترك عقوبة المستحق، وقد عفا عنه، وعفا له ذنبه، وعن ذنبه، تركه ولم يعاقبه))[3].

ويرى الباحث أن الشارح قارب بين الصفح والعفو، لذلك آثر الإمام(عليه السلام) الصفح؛ لإنّه لايشمل ذكر الذنب أو الخيانة، والعفو أبلغ من وجه آخر، وهذا الترجيح يرجع إلى مناسبته لسياق الدعاء. والمعنى : أسألك اللّهم ان تصفح عن جرمي وعظيم ذنبي وزلاّتي.

وكذلك ورد الترادف في هذا المقطع من الدعاء في لفظتي (الزلل) و(الخطأ) وفرّق بينهما الشارح بقوله: **((والزلل: الخطأ والذنب فالعطف تفسيري وأصله من زلّت القدم، إذا زلفت ولم تثبت،...والخطأ مهموزاً بفتحتين ضدّ العَمَد، وهو أن تفعل شيئاً من غير أن تقصد فعله، ومنه((رفع عن اُمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[4]. وقيل: إنّه العدول عن الصواب، بأن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهو المأخوذ به، أو يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع له خلاف ما يريد، أو يريد ما لايحسن فعله، ويتّفق منه خلافه، فهو مخطئ إرادة مصيب فعلاً، فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله، وقد يُطلق على المعصية وإن كان فاعلها متعمّداً من حيث أنّها ضدّ الصواب، والخطأ الذنب والأثم، يُقال: خطئ في دينه خطأً، إذا أثِمَ فيه))**[5].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣٢.

(٢) تاج العروس: ٥٤٠/٦ (صفح).

(٣) المصدر نفسه: ٦٧/٣٩ (عفو).

(٤) عوالي الآلئ، لأبن أبي جمهور الأحسائي: ٤٠٨/١.

(٥) مصباح الفلاح ومفتاح النجاح:١٣٢-١٣٣.

وترادف لفظة (الزلل) لفظ (الخطأ)، وهذا ما أجمع عليه أرباب المعجمات اللغوية ((الزلل وهو الخطأ والذنب. ومقامٌ زل: يزل فيه، ومقامة زل كذلك. وزخلوقة زل أي زلق))[١].

وجاءت لفظة الخطأ في قول الإمام مرادفة للفظة(الزلل) وجمع بينهما، وذكرها أصحاب المعجمات بقولهم: ((الخطأ هو أن يقصد الشئ فيصيب غيره ولا يطلق إلا في القبيح... والخاطئ في الدين لا يكون إلا عاصياً؛ لإنه قد زلّ عنه لقصده غيره))[٢]. فقدّم الزلل على الخطأ باعتبار الأول الانزلاق في الخطيئة والمعاصي والثاني مجانبة الصواب في القول والفعل.

٣- الهرب والفرار

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام):((**إلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِيناً الْتَجَأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً**))[٣]. قال الشارح: ((**والهرب الفرار وهما مترادفان، وفِرار العبد إلى الله تعالى على مراتب ، فأولها الفِرار من أثر غضبه إلى أثر رحمته، كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرّع إليه:** ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾[٤]**الآية، فكأنّهم لم يروا إلاّ الله تعالى وأفعاله، ففروا من بعضهاإلى بعض. الثانية: أن يفرّ العبد عن مشاهدة الأفعال، ويترّقى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال، وهي الصفات، فيفرّ من بعضها إلى بعض... الثالثة: أن يترّقى عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات، فيفرّ منها إليه، كقوله تعالى:** ﴿ لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[٥]**...إذ المراد: أنّه فرّ من عقاب الذوب، وهو اثر الغضب إلى كنف حمايته، وهو أثر الرحمة، فتأمّل**))[٦].

وهذا الترادف ذكرته أكثر المعجمات اللغوية بهذا المعنى، وهو الفرار، قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) : ((والهرب: مَعْرُوف هرب الرجل يهرب هربا وَهُوَ الْفِرَار بِعَيْنِه))[٧]. فالهروب إليه تعالى منه وإليه ويكون على مراتب، وذكر الشارح جملة من هذه المراتب، ومنها الهرب من

---

(١) لسان العرب:٦/٧٢ (زلل).

(٢) معجم الفروق اللغوية: ٢٢١.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) التوبة:١١٨.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٩.

(٧) جمهرة اللغة، ابن دريد: ٣٣٢ (ب ر هـ).

تبعات الذنوب. فجاءت لفظة الهرب في سياق الدعاء للدلالة على الفرار أو الهروب من آثار عقاب الذنوب وما تتركه من أثر للغضب، إلى آثار رحمته تبارك وتعالى.

٤– الخوف والهيبة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((**مَنْ ذا يَعْرِفُ قُدْرَتَكَ فَلا يَخافُكَ، وَمَنْ ذا يَعْلَمُ ما أَنْتَ فَلا يَهابُكَ**))[١].

من ألفاظ الترادف التي وردت في هذا المقطع من الدعاء لفظة (الخوف) ومرادفها الخشية، قال الشارح : ((**والخوف والخشية وان كانا مترادفين في اللغة، الاّ أنهم فرقّوا بينهما بأن الخوف تألّم النفس من العقاب المتوقع بسبب إرتكاب المنهيّات، والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق، وإن كان مقولاً بالتشكيك. والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته، وهذه الحالة عزيزة المنال لاتحصل إلا لِمَنْ اطّلع بجلال الكبرياء، وذاق لذّة القرب، ولذا قال عزّ مَنْ قائل** ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]))[٣].

نلاحظ هنا أنّ لفظتي (الخوف) و(الخشية) مختلفتان في اللفظ لكن المعنى واحد فهما مترادفان، قال ابن فارس : ((فالخشية الخوف،... ويقال هذا المكان أخشى من ذلك، أي: أشدُّ خوفاً))[٤].

ويبدو من كلام الشارح أن هناك فرقاً دلاليّاً واضحاً بين اللفظتين، ويؤيد كلام الشارح في التفريق بينهما ما ورد عند اهل اللغة أن الخوف مِن الله هو تألم في النفس من العقاب المتوقع نتيجة عمل الموبقات وارتكاب السيئات والتقصير في العبادات والطاعات، ويحصل الخوف عند أكثر الخلق وعلى مراتب متفاوتة. وامّا الخشية فهي حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق والخوف من الحجب عنه، وهي حالة لاتحصل إلاّ للقليل والخاصّة من عباده[٥].

ويرى الباحث من خلال السياق في نصِّ الدعاء أنّ الإمام (عليه السلام) وظّف في المقطع الأول من الدعاء لفظة (الخوف) في مقام عرفان قدرة الله تعالى، وآثر استعمال

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٧٧.

(٢) فاطر:٢٨.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٨٤/٢ (خشى).

(٥) ينظر: الفروق اللغوية:٢١٨، والمفردات في غريب القرآن: ١٦٢.

لفظ(الهيبة) في المقطع الثاني للعلم بذاته المقدّسة تبارك اسمه؛ لأنّ الخوف لأهل البدايات من السالكين إلى الله تعالى، والهيبة للمنتهين إليه جلّ علاه.

ومما لم يتعرّض له الشارح أيضاً من الفاظ مترادفة في هذا المقطع من الدعاء(يعرف) و(يعلم)، وقد فسّرت بعض المعجمات العلم بالمعرفة، مما يوحي بترادفهما؛ لأن((العلم يقال لإدراك الكلي أو المركّب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، ولهذا يقال: عرفتُ الله دون علمته))[١]، والفرق بينهما أنّ المعرفة أخصُّ من العلم؛ لأن المعرفة إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره وهو أخصّ من العلم؛ لذلك يقال: فلانٌ يعرف الله، ولايقال : يعلم الله؛ لأنّ معرفة البشر لله هي بتدبّر آثاره دون إدراك ذاته، ويُقال الله أعلم كذا، ولايُقال: يعرف كذا، لأنّ المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المُتَوصَّل به بتفكّر، أمّا العلم فهو إدراك الشيء بحقيقته[٢] فأستعمل الإمام(عليه السلام) لفظ (يعرف) في مقام الخوف لأهل البدايات من السالكين إليه، و(يعلم) في مقام المنتهين إليه.

٥ – الظمآن والعطشان

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآناً وَرَدَ إِلى حِياضِكَ شارِباً ؟**))[٣]، إذ قال: ((**والظمأ: شدّة العطش ...والظمآن كالعطشان وزناً ومعنىً**))[٤].

ذكر الشارح أن معنى (الظمأ) في قول الإمام (عليه السلام) هو: شدّة العطش، ثمّ أشار إلى أنّ مرادف (الظمآن): العطشان، وهذا مارآه أصحاب المعجمات اللغوية، منها:((ظمأ: ظَمِيءَ، كفرِح، يَظْمَأُ ظَمْأً، بِفَتْح فَسُكُون ، وظَمَأً محرّكة ...(عَطِشَ)، أو هو، أي: الظمأ: أشدُّ العطش))[٥].

ويرى الباحث، أنّ الإمام(عليه السلام) آثر إستعمال (الظمأ) على (العطش) للدلالة على شدّة الحاجة إلى الماء بالنسبة الى الشارب وهو بحال العطش الشديد، فهو تعبير عن الحاجة الى غفران الذنب بالنسبة الى العبد المذنب. بمعنى آخر أنّ العبد إذا لم يُغفر له فإنّه سيُهلك تماماً، كما أن الظمآن لو لم يسمح له بشرب الماء فإنّه سيُهلك.

---

(١) الكليّات: ٦١١.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٣٣١ (عرف) – ٣٤٣ (علم)

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٢.

(٥) تاج العروس: ٣٣٢/١-٣٣٣(ض م أ).

٦- **الدجى والغسق**

وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَأَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَياجِي الْغَسَقِ**))[١].

قال الشارح: ((**والدجى : ظلمة الليل.**

وكأنّ النجوم بين الدجى سنن لاح بينهنَّ إبتداع[٢]

يقال: دجى الليل، إذا تمّت ظلمته، وألبس كلّ شيء. ومنه ليلٌ داج. والغَسَق محركة: الظُلمة أوّل الليل﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[٣]**أي: الليل إذا دخل ... وقيل: غسَق الليل منتصفه لا ظلمة أوله...**))[٤].

فالدُّجى والغسق مترادفان وهو ما جاء في بعض المعجمات؛ وذلك لأنّ((الدُّجى: سواد الليل مع غيم، وأن لا ترى نجماً ولا قمراً، وقيل: هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة))[٥]، وامّا الغَسَق محرّكة: ((ظلمة أول الليل... ومثله: دجا الليل، وأدجى، أي: إنصَبّ واشتدت ظلمته))[٦]. فذهب الشارح الى وقوع الترادف بينهما، فكِلا اللفظين يدلان على معنى واحد وهو سواد الليل وظلمته، لكن الشارح فرّق بينهما في أن الدجى يدّل على أول ظلمة الليل، والغسق منتصفه، وذكر أنّ الإمام (عليه السلام) قد خصّ منتصفه بالذكر: ((**لكونه أشدّ ظلاماً ببُعد الشمس من الأفق الغربي، ووصولها إلى دائرة نصف النهار تحت الأرض ، فأهل هذه الأقاليم وقتئذ يكونون في وسط مخروط ظلّها فوق الأرض في أشدّ الظلام، والمراد أنّه تعالى بكرمه جعل اللأهوية المظلمة منوّرة ، لا الظلمات نفسها، فانّها لاتتّصف بالنور**))[٧].

ويرى الباحث أنّ الإمام (عليه السلام) جمع بين الدجى والغسق وجانس بينهما للتعبير عن شدة ظلمة الليل؛ وليعرف الناس بأن الله تعالى بقدرته الإبداعية وبكرمه وتفضّله هي التي أنارت ظلمات الليل وما تتصف به من الأهوية والأجسام المظلمة.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٢.

(٢) البيت للقاضي التنوخي(ت٣٨٤هـ) علي بن محمد بن داود بن إبراهيم التنوخي الإنطاكي.

(٣) الفلق: ٣.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٣.

(٥) لسان العرب:٢٩٦/٤(دجا).

(٦) تاج العروس:٢٤٩/٢٦-٢٥٠(غ س ق).

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٣.

٧ – مارسَ وعالجَ

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمارِسَ فيما ابْتَدَأْتَ بِهِ لُغُوباً وَلا عِلاجاً**))[١]، إذ قال:((**ومارسه : عالجه وزاوله**))[٢].

ويؤيّد كلام الشارح ما ذكره ابن فارس مِن أنّ (مارسَ) يعني (عالج)، فقال: (((مرس): الميم والراء والسين أصل صحيح، يدل على مضامة شيء لشيء بشدة وقوة. منه المرس: الحبل، سمي لتمرس قواه بعضها ببعض، والجمع أمراس ومرس الحبل يمرس مرسًا: وقع بين الخطاف والبكرة، فأنت تعالجه أن تخرجه))[٣]. وعَالَجَ الشيء: علاجاً ومُعَالَجَةً، أي: زاوَلَه ومَارَسَه[٤].

وحاصل المعنى كما ذكره الشارح: ((**والمراد: أنّه صدرت منه تعالى تلك الأفاعيل العظيمة، وظهرت منه هذه الآثار العجيبة الغريبة، المتحيّرة فيها أذهان الأذكياء، من غير أن يزاولها ويعالجها بالأعضاء، كما توهّمه الكفرة الفجرة، المجسّمة والمشبّهة ومَنْ يحذو حذوهم، ومن دون أنْ يتحمّل فيها نصباً ولاتعباً، كما هو شأن القوى الماديّة الجسمانيّة**))[٥]. حيث عرض الإمام (عليه‌السلام) في هذه الكلمات إلى عظيم قدرة الله تعالى وبدائع صنعته، ومن غير أنْ يمسّه فيما مارسه وزاوله نصب ولاتعب، فكيف يمسّه ذلك؟ والنصب والإعياء من صفات الجسم، والله أجلّ وأرفع من التجسّم ولوازم التجسّم وعوارضه[٦].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه:١٩١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣١٠/٥(مرس).

(٤) ينظر: تاج العروس:١٠٨/٦(علج).

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٩٢.

(٦) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري: ٣٢٩.

المبحث الثاني

المشترك اللفظي

عرّف علماء اللغة (المشترك اللفظي) تعريفات عدة، فقد عبّر عنه سيبويه بقوله: ((اتفاق اللفظين والمعنى مختلف))[١]، ولعلَّ ما ذكره سيبويه يُعدّ أول إشارة لهذه الظاهرة اللغوية، ثم تتابع ورودها لدى أغلب الذين جاءوا من بعده، ووردت لدى المبرّد في باب سمّاه:((باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة))[٢]، وورد المصطلح لدى ابن خالويه(ت٣٧٠هـ)[٣]وابن فارس[٤]وغيرهم من علماء اللغة .

فقد عرّفه ابن فارس بقوله : ((وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السّحاب))[٥]، وحدّهُ اهل الأصول بأنه: ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند اهل تلك اللغة))[٦].

واختلفت آراء العلماء ومواقفهم بين منكِر، ومقِرّ ومعتدل، ويُعدُّ سيبويه من المقرين بوجود ظاهرة المُشترك اللَّفظي، وكذلك منَ المُقرين بوجودهِ: الخليلُ بن أحمد (ت١٧٥هـ) ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) وابوعُبيد القاسم بنُ سلام (ت٢٢٤هـ)، والمُبرِّد (ت٢٨٥هـ)[٧]، ووضعوا في هذه الظاهرةِ مؤلفات متخصصة كـ(الوجوه والنظائر) لهارون بن موسى (ت: ١٧٠هـ)، ولأبي علِي الدامغاني (ت٤٧٨هـ)[٨].

وللسِّياق أثر في تحديد المعنى المراد، وهذا ما أكدّه د. رمضان عبد التَّواب بقوله:((إنَّ المُشترك لا وجودَ لهُ إلاَّ في المعجماتِ، وأمَّا في نصوصِ اللغةِ واستعمالاتها فلا يوجد إلا معنىً واحد، فالسِّياق هو الذي يُحدد المعنى المُراد للكلمة المفردة، لا يمكن أن تحتمل الكلمة داخل السِّياق أكثر من معنى))[٩].

---

(١) الكتاب: ٢٤/١، وينظر: التعريفات: ٢٣٥.

(٢) تأويل مشكل القران، ابن قتيبة: ٤٣٩.

(٣) ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القران، ابن خالويه: ٢١.

(٤) ينظر: الصاحبي: ١٧١.

(٥) المصدر نفسه:٦٦.

(٦) المزهر: ٣٦٩/١.

(٧) ينظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة(بحث)، د.أحمد الجنابي:٣٩٢-٣٩٤.

(٨) ينظر: علم الدلالة (عمر): ١٤٧.

(٩) ينظر: فصول في فقه اللغة: ٣٣٤.

ويرى (أولمان) أنَّ للسِّياق الدور الكبير في تحديد المعنى، فقال:((كثير من كلماتنا له أكثر من معنى، غير أن المألوف هو استعمال معنى واحد فقط، من هذه المعاني في السِّياق المعين))[١] وهذا ما أكدهُ د. صبحي الصالح[٢]، وكذلك (جون لاينز)[٣]. فالاعتماد على السِّياق أدى إلى أنْ يعيش الكثير من كلمات المشترك عدة قرون في اللغة الواحدة، من غير أن يؤدي ذلك إلى الغموض في المعنى أو سوء فهم، أو صعوبة[٤].

وأخيراً يمكن القول إنَّ علماء اللغة القدماء والمحدثين لم ينكروا الاشتراك اللفظي إنكاراً تاماً، بل جعلوا له عللاً وأسباباً فضلاً عن أثر السِّياق في تحديد المعنى. وهذا ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى، مثل الصَّلاة والزَّكاة، والحَجّ والانتقال من الحقيقةِ إلى المجازِ[٥].

وقد ذكر الشارح في مواضع متفرّقة عند شرحه لفقرات الدعاء نماذج من المشترك اللفظي، منها :

١ – الذات

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِهِ بِذاتِهِ**))[٦].

من المعاني المشتركة والمتعددة لهذه اللفظة التي ذكرها الشارح واحتمل لها أكثر من تفسير : **((الذات يُطلق في الاصطلاح على عين الشيء، جوهراً كان أم عرضاً. وامّا في اللغة، فيُطلق على حقيقة الشيء، وقد يُستعمل بمعنى صاحب، ويجمع على (الذوات)، وتثنيته(ذواتا)، كما في التنزيل: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[٧]. وقد يُراد بذات الشيء: مهيّته، باعتبار وجودها الخارجي، إذ المعدوم لا ذات له ولاحقيقة، فلا يُقال: ذات العنقاء ولا حقيقتها، بل مهيّتها، وقد يُقال على الحقيقة، وعلى الهوية الخارجية، وهذا هو المراد هنا. وقد يُراد بذات الله تعالى مايضاف إليه سبحانه من الأوامر والنواهي والحدود والأحكام... وقد يُطلق الذات على ما يقابل الوصف، ويُستعمل استعمال النفس والشيء، ولذا لايجوز تذكيره وتأنيثه، ومنه قوله تعالى:﴿وَأَصْلِحُوا**

---

(١) دور الكلمة في اللغة: ٥٤.

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٣٥٨.

(٣) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ٢٢٨.

(٤) ينظر: علم الدلالة (عمر): ٨٧.

(٥) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٦٨–١٧٠، والتطور الدلالي، عودة خليل: ٥٩.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٩.

(٧) الرحمن: ٤٨.

ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]. قال صاحب الكشاف: ((الأحوال الملابسة للبين قيل لها ذات البين، كقولهم: أسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب))[2]وقوله تعالى ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3]، وهي مضمراتها))[4].

(ذات) للمؤنث وأصلها (ذو) كما ذكر أصحاب المعجمات، وقد وردت بعض من هذه المعاني –التي ذكرها الشارح – في كثير من المعجمات اللغوية، قال ابن فارس : ((ذو: يدل على المُلك. تقول: هو ذو الثوب. وقد يكون في غير الملك أيضا، بل يكون صفة من صفات نحو قولك: (هو ذو كلام) و(ذو عارضة). فمن المُلك قوله جل ثناؤه : ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾[5]، وأمّا (ذات) فيكون في المؤنث كـ(ذا). وتكون لها معان أخر... ومن هذا قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[6]، أي: الحال بينكم... وتكون للبُنْية تقول : هو في ذاته صالح، أي: في بنيته وخلقته))[7].

وذكر الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) :((يقال في المؤنث (ذات) وفي التثنية ذواتا وفي الجمع ذوات... وقد استعار أصحاب المعاني الذات فجعلوها عبارة عن عَيْن الشيء جوهرا كان أو عَرَضا واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر بالألف واللام وأجروها مجرى النفس والخاصّة فقالوا ذاتُهُ ونفسُهُ وخاصّتهُ، وليس ذلك من كلام العرب))[8].

نلاحظ هنا أستعمال لفظ (الذات) ومعانيها المحتملة وترجيح الشارح بما يناسب السياق ويناسب منقولات اللغة في القران والشعر والحديث فمن المعاني المشتركة للفظة(ذات) التي ذكرها الشارح ولم يقتصر عليها: هي حقيقة الشيء وخاصّته، كقوله تعالى: ﴿أنه عَلِيمٌ بِذَاتِ

---

(١) الأنفال: ١.
(٢) تفسير الكشّاف:٤٠٢/٩.
(٣) آل عمران: ١١٩.
(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٩-٤٠.
(٥) البروج : ١٥.
(٦) الأنفال : ١.
(٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ١٢٥/١.
(٨) المفردات في غريب القرآن:١٨٢(ذو).

﴿الصُّدُورِ﴾[1]، أي: بحقيقة القلوب من المضمرات، وبمعنى مُلك وصاحب' يقال : قلّت ذاتُ يده، أي ما ملكت يده[2]، وبذلك لم يخالف الشارح اللغويين في المعاني التي ذكرها.

وحاصل المعنى كما ذكره الشارح :((**فمعنى دلالة ذاته على ذاته أنّه ظاهر بذاته لايحتاج إلى دليل يدلُّ عليه، بخلاف غيره، فأنّه خفيّ بذاته، وإنّما يظهر به، فهو دليل عليه لا ذاته... ويحتمل أن يكون المراد: أنّه تعالى دلَّ بآثار ذاته وبما خلقه في الآفاق والأنفس على معرفة ذاته، أو صفات ذاته، أو وجود ذاته الذي هو عين ذاته**))[3].

ويرى الباحث أن المراد بـ(ذاته) أستعملها الإمام (عليه السلام) مجازاً للدلالة على حقيقته تبارك وتعالى، أي: أنّه تعالى هو المصدر لمعرفة ذاته وجوهره وهو الذي ارشد المخلوق الى معرفته.

٢- الخير

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَعَلى آلِهِ الأَخْيارِ الْمُصْطَفِيْنَ الأَبْرار**))[4].

ورد المشترك اللفظي في لفظة (الاخيار) ومفردها الخيّر بالتشديد، والخير يشمل جميع الأعمال الصالحة كما ذكر الشارح: ((**والاخيار جمع خيّر بالتشديد ككيّس واكياس، أو جمع خَيْر بالتخفيف كعين وأعيان، وهما بمعنى واحد، أي: كثير الخير، وقيل المخفّف في الجمال والمِيْسَم**[5]**، والمشدّد في الدين والصلاح، والأول هو الأشهر .... والخير قيل : هو شيء من أعمال القلب نورانيّ زائد على الايمان وغيره من الصفات المرضية، ... وقيل: هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض، وهو: إمّا خير مطلق كوجود العقل؛ لأنه خير محض لا يشوبه شرّ ونقص، وإمّا خير مقيّد كوجود كلّ من الصفات المرضيّة. وقيل: هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل عاقل ... وقيل: هو ما يتشوّقه كل أحد بلا مثنوية، وهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لأجله. والحق أنّ الخير كلّي يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة**))[6].

---

(١) الملك : ١٣.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٣/٥(ذا وذوات).

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٤١-٤٢.

(٤) المصدر نفسه:٨١.

(٥) الميسَمُ: الجَمالُ. يقال: امرأة ذات ميسَمٍ إذا كان عليها أثر الجمال. ينظر: الصحاح:٢٠٥١/٥(وسم).

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٤ – ٨٥.

الخير في اللغة ((الخاء، والياء، والراء أصله العطف والميل، ثمّ يُحمل عليه. فالخير: خلاف الشرّ،؛ لأن كل واحدٍ يميل إليه ويَعطِف على صاحبه... ثمّ يُصَرّف الكلام فيقال: رجلٌ خيّرٌ وامرأة خيّرة في جمالها ومِيسَمِها))[١].

وقال الراغب الأصفهاني: ((الخير: مايُرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء، والفضل، والشيء النافع))[٢].

فالخير مشترك لفظي، وقد ذكرت المعجمات اللغوية هذه المعاني التي ذكرها الشارح أو ما يقاربها، فبعد ذكره كلّ الوجوه التي يحملها لفظ (الخير) عادَ ليذكر الوجه العام الذي يجمع كل هذه الوجوه وهو: أن الخير كلّي تندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، فرجّحه وذلك بحسب المقام الذي يقتضيه القول بكرامة أهل البيت (عليهم السلام).

ويرى الباحث أن (الخير) هو عنوان عام يندرج ضمنه كل فعل إيجابي كالصدق والكرم والأمانة والأخلاص...وهو من الصفات المتفاوتة الدرجات من شخص إلى آخر، فعبّر الإمام (عليه السلام) عن آل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) انّهم مصطفون دون سواهم، وأنّهم خير أمة أخرجت للناس و(خيرتهم) أعلى الدرجات.

٣- الحبل

ذكر الشارح هذا اللفظ في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**إلهي أَتَراني ما أَتَيْتُكَ إلاّ مِنْ حَيْثُ الآمالِ اَمْ عَلِقْتُ بِأَطْرافِ حِبالِكَ إلاّ حينَ باعَدَتْني ذُنُوبي عَنْ دارِ الْوِصالِ**))[٣]. إذ قال: ((**والحبل: الرباط، والرَسن، والعهد، والذمّة، والجمع حبال. قوله تعالى:** ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[٤]. **وإنّما أسند التعلّق بأطراف الحبال دون نفسها، إظهاراً للعجز والقصور، والمراد بها هنا: التوبة والإنابة والندامة على ما مضى، ونيّة ترك المنهيّات وفعل المأمورات فيما يأتي من زمان التكليف، فإنها أسباب إذا علّق الذنب بأطرافها، توصله إلى دار الوصال، وتقرّبه إلى مَنْ هو منتهى الآمال**))[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة:٢/٢٣٢(خير)، وينظر: لسان العرب: ٤/٢٥٧(خير) .

(٢) المفردات في غريب القرآن:١٦٠.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢٠.

(٤) طه: ٦٦.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢١.

ولم يُخالف الشارح اللغويين في هذا المعنى، فقد أشاروا إلى أنّ من معاني: ((الحبل: الرسن، والجميع الحِبال. والحَبل: العهد والأمان والحَبل: التواصل. وقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا﴾[١]))[٢]. ومن معاني هذا اللفظ التي ذكرها الشارح هي: التوبة والإنابة والندامة.

ويرى الباحث، أن المراد من (الحبل) في قول الإمام(عليه السلام): الأسباب التي توصل إلى رحمة الله تعالى، ومنها التوبة والإنابة والندامة، وهي أسباب إذا تشبّث بها العبد المذنب وتعلّق بأطرافها توصله إلى دار الوصال والأُنس به تعالى والفوز في محلّ الزلفة لديه.

٤- قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَتَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلى سَيِّدِها وَمَوْلاها**))[٣] . فمن نماذج المشترك اللفظي التي وردت في الشرح لهذا المقطع من الدعاء:

(التبّ) ومن معانيها: النقص والخسار والقطع والهلاك، قال الشارح : ((**التبّ : النقص والخسار والقطع والهلاك** ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٤]، **يقال: تبَّ يتبُّ تبّاً**))[٥].

ولم يخالف الشارح اللغويين في هذه المعاني، فقد أشاروا إلى أنّ معنى (التبّ): من التّباب وهو الخسران، والتَّبُّ: الخَسَارُ[٦]، ومنها ما ذكره صاحب الصحاح: ((التَبابُ: الخُسْرانُ والهَلاك. تقول منه: تَبَّ تَباباً، وتَبَّتْ يداهُ، وتقول: تَبّاً لفلان... أي: أَلْزَمهُ الله هلاكاً وخُسراناً. وتَبَّبوهُمْ تَتْبيباً، أي: أَهْلَكوهُمْ))[٧].

والمراد هنا: خسراناً وهلاكاً لنفسي، وتعساً شنيعاً لجسورها ولجرأتها بالإقدام على معصية سيّدها وربّها الكريم[٨].

واللفظ الآخر **(المولى)**: وأصل(المولى) من الفعل(ولّى)، والمصدر(الموالاة) من (ولاية)، والولاء مصدر (المولى)[٩]، وهي من الألفاظ التي لها دلالات متعددة يقتضيها السياق الذي ترد فيه، فهي من المشترك اللفظي، ومن معانيها ماهو متضاد. وذلك للاختلاف الذي يكتنفها في

---

(١) آل عمران:١٠٣.

(٢) تهذيب اللغة:٧٨/٥(حبل)، وينظر: لسان العرب:٢٨/٣(حبل).

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢٨.

(٤) المسد : ١.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٨.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٤١/١ (تب)، وتاج العروس: ٥٥/٢ (ت ب ب).

(٧) الصحاح: ٩٠/١(تبب).

(٨) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري:١٨٨.

(٩) ينظر: كتاب العين: ٤/ ٤٠٠(ولى) .

معانيها[١]. وذكر الشارح من معانيها المشتركة، فقال: ((**والمولى: اسم يقع على جماعة كثيرة، والمراد به هنا: إمّا الربّ، أو المالِك، أو المنعِم، أو المُعتِق بالكسر، أو السيّد، فالعطف تفسيري**))[٢]. وهذه المعاني ذكرتها أغلب المعجمات العربية، فـ(الولي) يُطلق على وليّ النِعم، المتكفّل لأمور المعيشة، والموالي يُقال لبني العمّ، ومنها التولية: وهو الأقبال على الشيء.

نلاحظ هنا أن معاني (المولى) كثيرة، لكن الشارح إختار خمسة منها فقط، كونها تلائم سياق الدعاء، والمراد هنا: السيّد الحقيقي والمولى جل شأنه، فهو مالك الوجود وكمالاته وآثاره، والمنعم على عباده.

٥- الرحمة

وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام):((بِرَحمَتِكَ يا أَرحَمَ الرّاحِمين))[٣].

قال الشارح: ((**والرحمة: النِعمَة** ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٤] **أي: نعمة عليهم. ويُقال للقرآن رحمة، وللغيث رحمة ، أي: نعمة. ويُقال لرقيق القلب مِن الخَلق: رحيم؛ لكثرة وجود الرحمة منه بسبب الرقّة، وأقلّها الدعاء للمرحوم والتوجّع له.**

وإطلاق الراحِم عليه تعالى وعلى غيره، إنّما هو من باب الأشتراك اللفظي، إذ لا شِركة بينه وبين غيره في المعنى أصلاً، فإنّ رحمته تعالى تُناسب ذاته المقدّسة، ورحمة غيره رِقّة انعطاف تقتضي الشفقة واللطف بالخَلق، وليست في حقّه تعالى بمعنى الرِقّة، بل معناها إيجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه))[٥].

الرحمة كما ورد في اللغة: ((الراء والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة. يُقال من ذلك: رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رقّ له وتعطّف عليه))[٦]. وقال الراغب الأصفهاني: ((والرحمة : رِقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة نحو: رَحِمَ الله فلاناً. وإذا وُصِفَ به الباري فليس المراد به إلا الإحسان المجرّد دون الرّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرّحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رِقّة وتَعَطّف))[٧].

---

(١) ينظر: البحث الدلالي في المعجمات الفقهية، دلدار غفور حمد: ٢٦١.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢٩.

(٣) المصدر نفسه:٢١١.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢١٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة:٤٩٨/٢(رحم).

(٧) المفردات في غريب القرآن: ١٩١، وينظر: لسان العرب:١٧٣/٥(رحم).

وقف الشارح عند لفظة (الرحمة)، وذكر أنها تأتي على وجوه، وهو ما ذكره أهل اللغة من قبل، ومنها : النعمة، والقرآن، والغيث، ورقة القلب[١]، وقد ورد مصطلح (المشترك اللفظي) عندما فرّق بين إطلاق هذه اللفظة على الخالق جلّ وعلا، وبين غيره، فهي من باب الاشتراك اللفظي، إذ لاشركة بينه تعالى وبين غيره في المعنى . فهو جلّ وعلا أرحم الراحمين، وخير الراحمين، فمن كمال رحمته تعالى أنها وسعت كل شيء في هذا الكون العجيب.

٦- السيّد

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ**))[٢]. ورد المشترك اللفظي في هذا المقطع من الدعاء في لفظة (السيّد) ومن معانيها المشتركة الرب، والشريف المسنّ وعظيم القوم ورئيسهم، والمالك، قال الشارح : ((**والسيّد عند بعض أهل اللغة: المُسنّ من المعز...وقد يُقال لملك القوم وعظيمهم: سيّد، وسادَ فلان قومه: يسودهم سُؤدداً بالضم، وسيادة: إذا صار رئيسهم. قال الزجاج:((السيّد الذي يفوق في الخير قومه))**[٣]. **وقال بعض أهل اللغة: السيّد المالِك، أو من في حكمه الذي يجب طاعته، ولذا يُقال: سيّد الغلام، ولايُقال: سيّد الثوب...السيّد هو الملك الواجب الإطاعة، وقد يطلق السيّد على الربّ، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، والمتحمّل اذى قومه، والمقدم، والزوج))**[٤]، وقد ذكر أهل اللغة كثيراً من المعاني التي تضمنتها هذه اللفظة ومنها ما أورده الشارح من معانٍ.

جاء في لسان العرب : ((السيّد يُطلق على الرّبِّ والمالِك والشَّريف والفاضِل والكَريم والحَليم ومُحْتَمِل أَذى قومهِ والزَّوج والرّئيس والمُقدَّم، وأَصله مِنْ سادَ يَسُودُ فهو سَيْود، فقُلِبَت واو ياءً لأجل الياء السَّاكنة قبلها ثُمّ أُدغمت ...السَّيِّدُ المَلكُ وَالسَّيِّدُ الرّئِيسُ وَالسَّيِّدُ السخيُّ وسيِّدُ الْعَبْد موْلاهُ، والأنثى مِنْ كُلِّ ذلك بالهاء. وَسَيِّدُ المرأَة: زَوْجُها. وفي التَّنْزيل: ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ**﴾[٥]،.. والسَّيِّدُ: الَّذي يَفُوقُ في الْخَيْر...وسادَ قومَه يَسُودُهم سيادَةً وسُؤْدَداً وسَيْدُودَةً، فَهُوَ

(١) ينظر: تصحيح الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري:٢٢٦.
(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢١٣-٢١٦.
(٣) معاني القرآن وإعرابه:٤٠٦.
(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢١٥.
(٥) يوسف : ٢٥.

سيِّدٌ))[1]. والمراد هنا الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) فهو سيّد ولد آدم(عليه السلام) وافضلهم على الإطلاق .

٧- الطهارة

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَصَلّى اللهُ عَلى خَيرِ خَلْقِهِ سَيّدنَا مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهِرِينَ**))[2].

إذ قال: ((**والطهارة: النقاء من الدنَس والنجس، والطاهر : النقيّ منها. وفي اصطلاح أرباب العرفان: الطاهر: من عصمه الله عن المخالفات، وهو ينقسم: إلى طاهر الظاهر: وهو مَنْ عصمَه الله عن المعاصي، وإلى طاهر الباطن: وهو مَنْ عصَمَه الله عن الوسواس والهواجس، وطاهر السرّ: وهو مَنْ لايزيغ عن الله طرفة عين. وطاهر السرّ والعلانيّة: وهو مَنْ قام بتوفيقه حقوق الحقّ والخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبين**))[3].

والطهارة كما ورد في اللغة : ((الطاء والهاء والراء أصل واحد صحيح، يدلّ على نقاء وزوال دَنَس))[4]. قال الراغب الأصفهاني: ((يُقال : طَهُرت المرأة طُهْراً وطهارة، وطَهَرَت، والفتحُ أقيس؛ لأنها خلاف طَمِثت؛ ولأنه يُقال: طاهرة وطاهر...والطهارة ضربان: طهارة جسم ، وطهارة نفس... يُقال: طهّرتُهُ فطَهُرَ وتَطهّر وأطّهّر، فهو طاهرٌ ومُتَطّهِّر))[5].

فما ذكره الشارح في تفسيره لمعنى الطهارة موافق لما ذكره أصحاب المعجمات. فالمراد به هنا، كما ورد في كلام الشارح: أنّها تعمّ جميع هذه الأقسام والنعوت لأهل البيت(عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[6].

---

(١) لسان العرب ٤٢٢/٦-٤٢٤ (سود).

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢١٣-٢١٦.

(٣) المصدر نفسه:٢١٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٤٢٨/٣(طهر).

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٣٠٧.

(٦) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :٢١٦.

المبحث الثالث

الأضداد

الأضداد في اللغةً: جمع (ضد)، أي: النقيض وما يقابله، ويقال: لاضدّ له ولاضديد له، أي: لانظير له ولاكُفء له [١]. واصطلاحاً: ((لفظ يطلق على المعنى ونقيضه، وذلك كالجون للأسود والأبيض، والجلل للعظيم والهين من الامور))[٢]، أو هو ((اللفظ الواحد المستعمل في معنيين متضادّين))[٣].

وقد اختلف علماء اللغة في وقوع هذه الظاهرة في اللغة العربية؛ لأن الأضداد كانت – وما زالت– موضعاً للجدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من أنكرها إنكاراً تامّاً، وعملوا على تأويل أمثلتها تأويلاً يخرجها من هذا الباب، ومن أشهر هؤلاء ابن درستويه(ت٣٤٧هـ)، فقد أنكر الأضداد وكتب في ذلك تأليفا خاصا سمّاه(إبطال الأضداد) أشار إليه السيوطي في المزهر[٤]. ولكن ابن درستويه على الرغم من إنكاره الأضداد إلاّ أنّه اعترف بوقوع النادر منها في اللغة إذ يقول: ((انما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز للفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لَمَا كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا))[٥].

أمّا القسم الآخر فأقرّ بإمكان وقوعها وعدّ وضعها في مألوف القوانين اللغوية وذلك؛ لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية[٦]، ومنهم على سبيل التمثيل الأصمعي(ت٢١٦هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(ت٣٢٧هـ) وغيرهم ، في حين هناك مجموعة من العلماء خصصوا فصولا في كتبهم ومصنفاتهم للأضداد كما فعل ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) الذي عقد لهذه الظاهرة بابا

---

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ٦٧٣(ضدد).

(٢) المزهر:٣٨٧/١

(٣) ينظر: علم الدلالة(عمر): ١٩١.

(٤) ينظر: المزهر: ٣٩٦/١.

(٥) المزهر: ٣٩٥/١، وينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١٤٩.

(٦) ينظر: الأضداد، لابن الأنباري: ١، وينظر: علم الدلالة(عمر): ١٩٥.

في كتابه(ادب الكاتب) سمّاه (باب تسمية المتضادّين باسم واحد)، فقال: ((و(السُّدْفَة)، الظُلمة، و(السُّدْفَة) الضوء، وبعضهم يجعل السُّدْفَة اختلاط الضوء والظلمة))[١].

ويرى معظم اللغويين إن الدفاع عن ظاهرة التضاد في اللغة العربية كان الغرض منها الدفاع عمّا ورد منها في القرآن الكريم، وقد صرّح بذلك أبو حاتم السجستاني(ت٢٤٨هـ) في مقدمة كتابه في الأضداد إذ قال: ((حملنا على تأليفه إنا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا ، فأوضحنا ما حضر منه إذا كان يجي في القرآن(الظن) يقينا وشكا و(الرجاء) خوفا وأبو طمعا وهو مشهور في كلام العرب))[٢].

أمّا المحدثون فيتفق أغلبهم على أن التضادّ نوع من الاشتراك، فضيّقوا من علاقة التضاد بين الألفاظ، فاخرجوا بذلك كثيرا من الألفاظ المتضادّة التي احصاها القدماء، فجعلوها على أنها من باب المجاز أو الاشتراك أو التغيير الدلالي[٣]، في حين ذهب بعضهم إلى ضرورة الاقتصار على أحد المعنيين للفظة وترك المعنى الآخر، لكن الأغلب من المحدثين يقرّون بوجود هذه الظاهرة في العربية، فهي ظاهرة عامّة في بقية اللغات ومنها الجزرية؛ لأنها تمنح اللغة الاتساع في التصرف في الكلام واكثر إغناءً لمعاني الألفاظ [٤].

ويرى الباحث من خلال استقراء النصوص اللغوية التي اهتمّت بهذه الظاهرة، انّ وجود الأضداد في العربية ضرورة تعكس لنا المراحل التي مرّت بها هذه اللغة منذ نشوئها إلى مرحلة متقدمة منها، ولا يمكن بأي حال انكار وجود تلك الألفاظ والنصوص اللغوية التي تدل على وجود هذه الظاهرة. وقد توقّف الشارح في شرحه لفقرات الدعاء على طائفة من الأضداد، مفسّرا إياها ومصّرحاً بها وموضّحاً معانيها، ومنها:

الظـنّ

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**يا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَواطِرِ الظُّنُونِ**))[٥].

قال الشارح : ((**والظنون كالفنون جمع ظنّ، فقد يراد به اعتقاد راجح غير جازم، وقد يُطلق:**

---

(١) أدب الكاتب، ابن قتيبة: ١٥٦.

(٢) ثلاثة كتب في الأضداد، أوغست هفتر :٧٢، وعلم الدلالة (عمر): ١٩٩.

(٣) ينظر: فصول في فقه اللغة: ٣٣٩، وفي اللهجات العربية: ٢٠٤-٢١٥، ودراسات في فقه اللغة: ٢١٢.

(٤) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك: ١٩٩.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٥٢.

على ما يقابل اليقين، كما قال الشيخ في منطق الإشارات[١]. وعلى اليقين نفسه، كما روي عن الرضا عليه السلام في حديث المأمون، أنّه قال: ((معنى ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[٢]، أستيقن أن لن نقدر عليه))[٣]. وقد يقال : إنه من الأضداد، فيُطلق على الراجح والمرجوح معاً، وعلى الثاني حمل﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا﴾[٤]و﴿ إِنّ الظّنّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٥] و﴿إِنّ بَعْضَ الظّنِّ إِثْمٌ﴾[٦]وهو بهذا المعنى يرادف الوهم. وهذا هو المناسب للمقام؛ لأن العقول وإن كانت في إدراك ماسوى الله كاملة بالغة كنه الأشياء وحقائق الأمور على ماهي عليه في نفس الأمر، إلا أنها فيما يتعلّق بذات الله وصفاته تعالى، كالظنون والأوهام حيث أنّها لاتبلغ كنه الأمور وحقيقتها، بل يحكم[٧]أحكاماً غير مطابقة للواقع))[٨].

يُذكر لـ(الظن) معنيان يُجمع الأضداديون على ضديتهما، فقد ذكر الأصمعي في أضداده أنَّ ((الظنّ اليقين، والظنّ الشّكّ))[٩]، وقد تابع الأصمعي عددٌ من اللغويين في إعطاء معنيين متضادين لـ(ظن)[١٠].

ويبدو أن الذي دعا إلى تأكيد ضديّة(الظنُّ) هو تفسير ما جاء في القرآن الكريم منها على كلا المعنيين (المتضادين)، فقد أورد أبو حاتم السجستاني(ت٢٤٨هـ) ما نصّه: ((الظنُّ في القرآن شكٌ والظنُّ يقين، فالشكُّ قوله:﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[١١]وقوله تعالى:

---

(١) ينظر: المنطق، محمد رضا المظفر:١٨.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) عيون أخبار الرضا(عليه السلام)، الشيخ الصدوق: ٢٤٨/١.

(٤) الجاثية: ٣٢.

(٥) النجم : ٢٨.

(٦) الحجرات:١٢.

(٧) الظاهر: تحكم.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٥٥.

(٩) ثلاثة كتب في الأضداد:٣٤.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٨، وتأويل مشكل القرآن: ١٨٧.

(١١) الجاثية: ٣٢.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾(1)، أي: توهموا ذلك، ومن اليقين: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾(2)))(3).

فما ذكره الشارح في دلالة هذه اللفظة على الراجح والمرجوح لم يكن بدعاً مما ذكرته مصادر اللغة في كونها من الأضداد، وقد صرّح الشارح هنا بمصطلح الأضداد، في ذكره معاني هذه اللفظة، فصرّح بالمعنى المناسب للمقام وهو (الوهم) مبيّناً السبب.

ويرى الباحث بالنسبة إلى لفظ (الظنّ) ومن خلال الرجوع إلى السياق أنّه يكون دالاً على المعنيين(الشك)، و(اليقين)، أي: يامَنْ كان قريباً من الظنون التي تخطر بالقلوب؛ لأن الخطرات تعني ما يخطر ويمر على ذهن الانسان من معاني ولكن دون أن يكتسب هذا الخطور الذهني ثباتاً للمعنى بل يظل حائماً حوله فإذا أراد العبد أن يفكر في الله تعالى يظّل حائماً على خطرات الذهن؛ لأن التفكير المحدود وهو تفكير الانسان لا يمكن أن يتجاوز ما لا حدود له، فلا يمكنه إدراك واجب الوجود وهو الله تعالى؛ لأن عظمته لا حدود لها ورحمته تعالى لا حدود لها وعلمه تعالى لا حدود له. لكن هذا لايمنعه وفي حدود قابلياته أن يصل إلى درجة اليقين المعرفي بالله تعالى، وذلك من خلال فطرته على التوحيد اولاً، ومن خلال استدلاله العقلي ثانياً، وبالنتيجة فالله تعالى قريب من الشك، ومن اليقين معاً(4).

القنوع

فسّر الشارح هذا اللفظ الوارد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَأَدِّبِ اللهمَّ نَزَقَ الخُرقِ مِنّي بِأَزِمَّةِ القُنُوعِ**))(5)، بقوله : ((**والقنوع بالضم السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضدّ**))(6).

فقد صرّح الشارح هنا بمصطلح الضدّ في هذه اللفظة؛ لدلالتها على السؤال والرضا بالقسم معا، وهو ما أقرّت به طائفة من كتب الأضداد أيضاً منها : ((القانع: الراضي، والقانع السائل، قنع قناعة وقنعا وقُنعاناً، أي: رضي . وقنع قُنوعاً، أي: سأل))(7).

---

(1) الحشر: ٢.

(2) البقرة: ٤٦.

(3) ثلاثة كتب في الأضداد: ٧٦-٧٧.

(4) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٣٢.

(5) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٩٦.

(6) المصدر نفسه: ١٠١.

(7) كتاب الأضداد، قطرب: ٩٥.

والمراد هنا بالقنوع هنا، كما ذهب الشارح اليه: هو التذلل والخضوع، أي: أعطني لين العريكة باستعمال الرفق والخضوع ، وهو ما يناسب السياق، فشبّه (عليه السلام) النفس الأمّارة بالسوء وما فيها من قوى النزق والطيش والشؤم وحاجتها إلى التأديب والسكون وترك الشهوات بالناقة المحتاجة إلى التأديب بالأزمّة التي تجعل في أنفها لِتُقاد به وتخضع لصاحبها[١].

المولى

ورد هذا اللفظ في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**إِنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلاي**))[٢]. وقد ذكرها الشارح بقوله : ((**والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة: الربّ، والمالك، والسيّد، والمنعِم، والمُعتِق، والناصر، والمحبّ، والتابع، والجارّ، وابن العمّ، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمُعتَق، والمنعَم عليه، والأولى بالتصرّف، ومنه ((مَنْ كنت مولاه، فعليٌ مولاه))**[٣]،**أي: مَنْ كنتُ أولى منه بنفسه))**[٤].

ومن معانيها المتضادّة التي وردت في أغلب المعجمات العربية، الولي ويطلق على ولي النعم المتكفّل لأمور المعيشة، والموالي يُقال لبني العمّ، ومنها التولية وهو الأقبال على الشيء .

جاء في تاج العروس : ((والمَوْلَى: لَهُ مَواضِعُ فِي كَلامِ العَرَبِ، ...فمِن ذلكَ: المَوْلَى: (المالِكُ) مِن وَلِيَه وِلايَةً إذا ملكَهُ. ويُطْلَقُ على (العَبْدِ)، والأنْثَى بالهاءِ. وأيضا (المُعْتِقُ)، كمُحْسِنٍ، وَهُوَ مَوْلَى النِّعْمةِ أَنْعَم على عَبْدٍ بعتْقِه... و أيضا: الصَّاحِبُ. وأيضا: (القَرِيبُ كابن العَمِّ ونَحْوِهِ)... أيضاً (الرَّبُّ)، جلَّ وعَلا ! لتَوَلِّيه أُمُورَ العالَمِ بتَدْبيرِه وقُدْرَتِه))[٥].

وأكثر كتب اللغة ثبّتت هذه اللفظة بأنها من الأضداد؛ لأنها تأتي في بعض التراكيب بمعنيين متضادّين كـ(السيّد والعبد)، منها ما ورد في كتاب الأضداد للأنباري: ((والمولى من الأضداد، فالمولى المنعِم المُعتِق، والمولى: المنعَم عليه المعتَق))[٦].

---

(١) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٣) مناقب أهل البيت، ابن المغازلي:٦٨.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣٤.

(٥) تاج العروس ٢٤٣/٤٠ (ولي)، وينظر: الصحاح: ١٢٧٠ (ولى).

(٦) الأضداد، الأنباري: ٤٦، وينظر: كتاب الأضداد، قطرب: ٩٧، وثلاثة كتب في الأضداد: ١٨٠، والمعجم المفصّل في الأضداد، انطونيوس بطرس: ٢٩٩.

فقد جاء في المعاني المتضادة التي ذكرها الشارح:(السيّد والعبد)، و(المُعتِق والمُعتَق)، و(المنعم والمُنعَم عليه)، وهي ألفاظ متضادة . والمراد هنا: إنك إلهي ناصري ومنعم عليّ ومتولي امري.

من هذا كله يتضح لنا أنّ الشارح لم يكن مخالفا لما ذكره اللغويون في مصطلح الأضداد، وما ذكره من معان للتضاد صرّحت به معجمات اللغة وكتب الأضداد.

المبحث الرابع

التقابل الدّلالي

التَّقابُل في اللُّغةِ: المواجهة، والمُقابلة والتَّقابُل واحد، وهو قبالك وقبالتك، أي: تِجاهُك[١]. وفي الاصطِلاح عُرفَ بأنَّهُ:(وجود لفظتين تَحملُ إحداهُمَا عَكسَ المَعنَى الَّذِي تَحملهُ الأخرى، مثل: الخَير والشرّ، والنُّور والظُّلمة والحُب والكَراهية، والصَغير والكَبير، وفوقَ وتَحتَ، ويَأخذ ويَعطي، ويَضحَك ويَبكي)[٢].

وقد اعتنى علماء اللغة القدامى بهذه الظاهرة، ومنهم سيبويه ، إذْ قال:((إعلم أنَّ من كلامِهم اختلافُ اللفظتين، لإختلافِ المعنيين))[٣]. ومن الذين عنوا بظاهرة التَّقابُل الدَّلالي ابن الانباري في كتابهِ الاضداد، إذْ قال: ((وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين، أحدهما أنْ يقع اللفظان المختلفان على المعنيين، كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، ...، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به))[٤]. وكذلك ابن فارس[٥]، وأبو هلال العَسكري(٣٩٥هـ)[٦]، والثعَالبي[٧].

وكانت الغاية من إيراد هذه الألفاظ المُتقابلة في مصنفاتِهم أنْ يكفوا الباحث مؤونة البحث عن الألفاظ المتقابلة، ولتوضيح المعنى وتحديده.

إلاَّ أنَّ هناكَ مجموعة من المصطلحات التي تداخلت مع مُصطلح التَّقابُل وهي: (المُطابقةُ، أو الطِّباقُ، والمُقابلةُ، والضدُّ، والنَقيضُ، والعَكسُ، والخِلاف)[٨]. فنجد أنَّ مصطلحي المُطابقة أو الطِّباق، والمُقابلة وردت في مصنفات البلاغيِّين، وهذا يدل على عنايةِ اللُّغويِّن القُدامى ولاسيَّما البلاغيون، بهذه الظاهرة، فقد عقدوا لها فصولاً متكاملة في مصنفاتِهم، وعُرِّفَ التَّقابُل عندهم بمعنى المُقابلة، أو الطِّباق[٩].

---

(١) ينظر: لسان العرب:١٣/٥٥٥(قبل).

(٢) ظاهرة التقابل في علم الدلالة، أحمد الجنابي (بحث): ١٥.

(٣) الكتاب: ١/٢٤.

(٤) الاضداد، الانباري: ٦.

(٥) متخير الألفاظ، ابن فارس: ١٨٩-٢٠٠.

(٦) التلخيص، أبو هلال العسكري: ١/٨٧.

(٧) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي: ٣٥١ – ٣٥٤.

(٨) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب: ٢/٢٥٤.

(٩) ينظر: البديع، ابن المعتز: ٤٨-٤٩، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٢/١٥.

فالتقابل الدلالي يتفق مع الأضداد بوجود علاقة التضاد بين الألفاظ، لكنه يختلف عنه بأن ظاهرة الأضداد تتناول لفظاً واحداً يحمل معنيين متضادّين، في حين تدرس ظاهرة التقابل الدلالي تقابل ألفاظ مع ألفاظ أخرى على سبيل التناقض أو التخالف أو التضاد، كمقابلة الحق للباطل، والعز للذل، والليل للنهار.

وعلى الرغم من انَّ القدماء لم يعرفوا مصطلح التقابل بمفهومه الحديث، إلا أنّهم دلّوا على التقابل بهذه المصطلحات المذكورة آنفاً وقد اعتمدها المحدثون اساساً في دراساتهم الدلالية في هذا المجال، فاتجهوا فيها اتجاها آخر؛ وذلك بوضعهم مصطلحات حديثة ومتعددة للتقابل تندرج تحتها ما أطلقوا عليه التقابل بالتضادّ، والتناقض، والتخالف، وهي: التقابل الحاد، والمتدرّج، والعكسي، بالإضافة إلى أنواع أخرى(١).

وقد اتخذ الشارح هذا الأسلوب وسيلة لتفسيره معاني ألفاظ الدعاء وتبيانها بشكل دقيق، وذلك بإيراده المعنى المقابل؛ لإظهار المعنى المراد، وقد اصطلح عليه بمصطلحات عرفت لدى القدماء بدلالتها على التقابل، وهي: (ضدّ)، أو (نقيض)، أو (خلاف)، أو(مقابل). ومن أنواع التقابل التي وردت في الشرح :

١ – **التقابل الحادّ** : ويسمى (غير المتدرّج)، وهو التقابل الذي يجمع بين متضادّين، مثل : (ميّت، حي) و(متزوج، اعزب) و(ذكر، انثى)، ويكون غير قابل للتعدّد ولايمكن وصف أمثال هذه الألفاظ المتضادّة بأوصاف التدرّج، مثل(جدا) أو (اقل) أو (اكثر) أو(الى حد ما) . وهذا النوع يقرب من مصطلح (النقيض) عند المناطقة(٢)، الذين يرون بأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان . فقولنا: فلان غير متزوج، يعني أنه أعزب، ومن أمثلته:

الأمن ضد الخوف

ذكر الشارح هذا التقابل في شرحه لقول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : **((يا مَنْ أُرقدَني فِي مِهادِ أَمْنِهِ وَ أَمانه))**(٣)، إذ قال : **((والأمن ضدّ الخوف، واطمئنان القلب وسكون البدن من عدم**

(١) ينظر: علم الدلالة (عمر):١٠٢ –١٠٤.

(٢) ينظر: المنطق، محمد رضا المظفر:٤٧.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٠.

القلق والاضطراب الحاصل من مصادمة المكروه))[1]، وقد اشارت المعجمات اللغوية إلى هذا التقابل، منها ما ذكره الجوهري في الصحاح:((أمن: الأَمانُ والأَمانَةُ بمعنى. وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنْتُ غيري، من الامن والامان. والايمان: التصديق. والله تعالى المُؤْمِنُ، لأنه آمَنَ عبادَه من أن يظلمهم...والأَمْنُ: ضدُّ الخوف))[2]. فأصل (الأمن) من مادة (أمِنَ)، وتدّل في اللغة على الأمان وهو اطمئنان القلب وسكون البدن، وقيل عدم توّقع مكروه في المستقبل، والله تعالى هو المؤمِن أعطى عباده الأمان من ان يظلمهم، وهو ضد الخوف.

وأمّا الخوف : من خاف يخاف خوفاً، جاء في القاموس المحيط : ((الخَوْفُ: الفَزَعُ. وطَرِيقٌ مَخُوْفٌ: يَخافُه الناسُ، ومُخِيفٌ: يُخِيْفُ الناسَ، وخائفٌ: ذو خَوْفٍ. وخَوَّفْتُه: جَعَلْت فيه الخَوْفَ، وصَيَّرْتَه بحالٍ يَخَافُه الناسُ. والخِيْفَةُ: الخَوْفُ، وجَمْعُه خِيفٌ))[3].

فقابل الشارح في كلام الإمام (عليه السلام) بين الأمن والخوف، ويندرج هذا التقابل تحت مصطلح التقابل الحاد؛ لأن الأمن مِن الأمان، وهو: الاطمئنان، وأمّا الامن فيعني الوثوق والركون، ويقابل ذلك الخوف. فاذا جمعنا بين الأمن والأمان حينئذ تظل النتيجة هي أنه تعالى هو الذي أمِنَ عباده من حيث عدم نزول الخوف والشدة عليهم وهم آمنون من جانب آخر من حيث ركونهم إلى جهة يثقون بها. أي : السماء التي تتكفل بحمايتهم. والمراد هنا: أمانه تعالى هو حفظه وحراسته لعباده من الآفات والعاهات والبليّات التي لاتقتضي حكمته الإلهية إصابتها لهم[4].

الخرق ضدّ الرفق

وهي من المتقابلات التي تجمع بين متضادّين وردت في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَأَدِّبِ اللهمّ نَزَقَ الخُرقِ مِنّي بأزِمَّةِ القُنُوعِ**))[5]، وذكرها الشارح بقوله : ((**والخُرق ضدّ الرِّفْق....والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق، وأن لايُحسن الرجل العمل والتصرّف في الأمور**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٦١.

(٢) الصحاح: ٥٦ (أمن)، وينظر: مجمل اللغة، ابن فارس:١٠٢.

(٣) القاموس المحيط: ٥١٢(خوف).

(٤) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٢.

(٥) المصدر نفسه: ٩٦.

وهذا من جملة معانيه، كما صرّح به علماء اللغة. وعن النبي (عليه وآله السلام): ((لو كان الخُرِقُ خَلقاً يُرى، ماكان شيء ممّا خَلَقَ الله أقبح منه))[١]وفي القاموس، الخرق: الفقر[٢]))[٣].

وقد ذكرت المعجمات اللغوية جملة من المعاني لـ(الخرق)، ومنها ما ذكره الشارح. جاء في معجم العين : ((الخَرَقُ...خَرُقَ يخرقُ فهو أخرق، إذا حمق. وخَرقَ بالشيء: جهله ولم يحسن عمله))[٤].

وأمّا (الرفق)، فهو كما جاء في مقاييس اللغة : ((رَفَقَ: الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أصل وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةٍ وَمُقَارَبَةٍ بِلَا عُنْفٍ... هَذَا هُوَ الأصل ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ يَدْعُو إلى رَاحَةٍ وَمُوَافَقَةٍ))[٥]، ومنه ما ذكره صاحب الجمهرة: ((الرِّفْق، ضد الخُرْق، رَفَقَ يرفُق رِفْقاً فَهُوَ رَفِيق بِكَذَا وَكَذَا. وَفُلَان رَفِيق بفلان ورافِق بِهِ، وَهُوَ اللطف وحُسْن الصَّنِيع إِلَيْهِ. وأرفقَه يُرفقه إرفاقاً، إِذا أوصل إليه رِفْقاً))[٦]. والخرق والرفق من الفاظ التقابل الدلالي الحاد، فإذا قلنا: أنّ فلان ليس أخرق. فهي تعني بالضرورة أنّه يُحسِن التصرّف وليس جاهلاً.

وذكر الشارح معنى آخر للخرق من بين المعاني االكثيرة بما يناسب السياق، وهو(الفقر)، وفسّر معنى عبارة الدعاء : **((وامنع اللّهم أو سكّن نفسي واضطرابها لأجل الفقر وعدم الصبر بأزمّة القنوع. ولمّا كان الخرق – أي: الفقر– منشأ نزق النفس وقلقها اضافه إليه، والإضافة ممّا يكفيه أدنى ملابسة، كما في كوكب الخرقاء. أو المراد: أزِلْ وأذهِبْ شدّة الخرق مني بأزمّة القنوع، وأعطني لين العريكة باستعمال الرفق والخضوع))[٧].**

فنجد أنّ الإمام(عليه السلام) قد وظّف هذا التقابل بما يلائم سياق الدعاء بأوضح صورة وجمال الأسلوب، فالنزق هو الطيش والخفة التي تُصيب الإنسان نتيجة (الخرق) الذي هو الجهل والحمق فجاءتا بصيغة المضاف والمضاف إليه فأصبحتا كالكلمة الواحدة. وشبّه (عليه السلام) نزق الخرق، أي: الطيش الناشيء من غلظة الطبيعة بحيوان يحتاج إلى أن يؤدب بالأزِمّة. فالعبد

---

(١) الكافي، الكليني:٣/٧٨٠(باب الخُرْق).
(٢) القاموس المحيط: ٤٥٨(خرق).
(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٠٠.
(٤) كتاب العين: ٤٠٢/١ (خرق).
(٥) مقاييس اللغة:٤١٨/٢(رفق).
(٦) جمهرة اللغة:٧٨٤/٢(رفق).
(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٠٣.

يحتاج إلى أكثر من زِمام كي يُقيّد نفسه الأمّارة بالسوء ويسيطر على شهواته، ومصدر هذه الأزِمّة هو القنوع والرضا والتسليم بما قَسَمَ الله تعالى، وهو مايصل بالعبد إلى حالة العقلانيّة، وإدراك الأشياء على حقيقتها بعيدًا عن الجهل والحمق[١].

الرشد خلاف الغيّ

ورد هذا التقابل لدى الشارح في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِداً قَصَدَ إلى جَنَابِكَ سَاعِياً**))[٢]، إذ قال : ((**والرُشْدَّ بالضمّ والسكون وبفتحتين، والرَشَاد: الهدى والاستقامة. وقال الواحدي(ت٤٦٨هـ): ((الرشد: إصابة الخير))**[٣]**، وهو خلاف الغيّ، ومنه إرشاد الضالّ، أي: هدايته الطريق وتعريفه.**

وقال الراغب : ((الرَشَدُ: عناية إلهيّة تُعين الإنسان عند توجّهه في اُموره، فتقوّيه على ما فيه صلاحه، وتفتّر عمّا فيه فساده، وأكثر مايكون ذلك في الباطل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[٤]))[٥]. **فالمسترشِد مَن يطلبُ الرشد والهداية، ساعياً وجاهداً، فهدايته على الله تعالى واجب؛ لقوله :**﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦]))[٧].

وهما من المتقابلات بالضد، فقد ذكر الشارح أنّ (الرشد) خلاف (الغيّ)، ثم تحدث عن معناه زيادة في التوضيح .

وقد شارك الشارح كثير من اللغويين في تفسير (الرشد) بأنه خلاف (الغيّ)، منها ما جاء في كلام أصحاب المعجمات أنّ (الرُشْدَّ) مصدر من الفعل (رَشَدَ)، والرَشادُ: خلاف الغَيّ[٨] . ومنه ما ورد في لسان العرب: ((رَشَد كنَصَرَ) يَرْشُد، وَهُوَ الأَشهر، والافصح،... ورَشِدَ يَرْشَد:

---

(١) ينظر: أضواء على دعاء الصباح: ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه:١٤١.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري :٣٦٩/١.

(٤) الأنبياء: ٥١.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ١٩٦.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤١.

(٨) ينظر: الصحاح: ٤٤٤ (رشد).

(اهْتَدَى) وأَصابَ وَجْهَ الْأَمر والطَّريق، فَهُوَ رَشيدٌ وراشدٌ...الرُّشْد يسْتَعْمل فِي كُلّ مَا يُحْمَد، والغَيّ فِي كلّ مَا يُذَمّ))[1].

وأمّا (الغيّ) : فهو مصدر من الفعل غَوَى، ويعني الضّلال والخيّبة، ((والغَوَايَةُ: الانهماكُ في الغَيِّ ويقال: أغواه إذا أضلّه . وغَوِيَ الفصيلُ يَغْوَى غَوىً إذا لم يُصِبْ رِيّاً من اللَّبَنِ حتى كاد يَهْلك))[2].

فالرشد في المفهوم الإسلامي : الاهتداء إلى طريق الحقّ والاستقامة عليه، مع قوّة وصلابة، وأيضاً هو الصلاح وإصابة الصواب[3]، ومنه (الرشيد) من صفات الله تعالى، يُراد بها: الهادي إلى سواء الصراط. وأنّ (الغيّ) خلافه: وهو الجهل الناتج عن سوء العقيدة[4].

من هنا يمكن إدراج التقابل بين (الرشد، والغيّ) تحت التقابل غير المتدرّج؛ لأن الإنسان إمّا أن يكون راشداً مستقيماً، وإمّا أن يكون ضالاً غاوياً، فالأوّل تكون عاقبته حميدة ، والآخر ما يضادّها. والمراد بالرشاد هنا: أنّه (عليه السلام) يطلب منه تعالى الرشاد والهداية لطرق الحق واليقين في مراتب الأولياء والمتقين فكيف يخيب الله من ضل عن الطريق المستقيم لجهله فقصد ربه ليرشده الى الطريق الواضح ويهديه الى الصراط المستقيم؟![5].

الذلّ ضدّ العِزّ

ذكر الشارح هذا التقابل في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ، وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ**))[6]، إذ قال: ((**في الدنيا أو الآخرة، أو الأعمّ، بالنصر والأدبار والتوفيق والخذلان، يُقال: أعزّه الله، أي: جعله عزيزاً منيعاً، لايُغلَب ولايُقهَر، وأعزّه أيضاً: أكرمه وأحبّه...وإعزازه تعالى من يشاء: عبارة عن جعله إيّاهُ مُعظّماً موقَّراً، بحيث تميلُ القلوب إلى تعظيمه وتوقيرَه ومحبّته، واجتناب إذلاله وإهانته والاستخفاف به ظاهراً وباطناً. والذُلّ بالضمّ ضدّ العِزّ، ويُعبّر عنه بالمهانة والضعة والحقارة**))[7].

---

(١) لسان العرب: ٢١٩/٥ (رشد).

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩/١٠ (غوي)، وينظر: المحيط في اللغة: ١٤٩/٥ (باب اللفيف، ما أوله الغين).

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيّومي: ٢٢١

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٦٩.

(٥) ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤١.

(٦) المصدر نفسه:١٦١.

(٧) المصدر نفسه: ١٦٢.

العزُّ والذُّلّ من الألفاظ التي يكثر استعمالها في الدلالة على معان مختلفة يحددها السياق الذي تردُ فيه ، قال أبن فارس : ((فالذُّلّ: ضدّ العِزّ. وهذه مُقابَلة في التَّضادّ صحِيحة، تدلُّ على الحكمة التي خُصَّتْ بها العرب دون سائر الأمم؛ لِأنّ العِزَّ من العَزَازِ، وهي الأرضُ الصُّلْبَة الشَّديدة. والذُّلُّ خلاف الصُّعُوب))[1]. فالذُلّ كما ورد في معاجم اللغة، ((الذِّلُّ: مصدر الذّلُول، ذلّ يَذِلُّ ذِلاًّ؛ وهو المُنْقَادُ لك من الدَّوَابّ. وذِلُّ الطَّريق: ما وُطِىء منه...والذُّلُّ والذِّلَّةُ: مصدر الذَّلِيْلِ، ذَلَّ يَذِلُّ. والذُّلاّنُ: الذَّلِيْلُ. والقوم ذِلَّةٌ وأذِلَّةٌ وأذِلاَّء. ورَجُلٌ ذَلُوْلِيٌّ: حَسَنُ الخُلقِ دَمِيْثٌ، وجَمْعُه ذَلُوْلِيُّونَ))[2]. وأمّا (العِزّ) فهو ((ضدُّ الذُّلِّ تَقُولُ مِنْهُ: (عَزَّ) (يَعِزُّ) عِزًّا بِكَسْرِ الْعَيْن فيهما و(عَزَازَةً) بالفَتْح، فهو (عَزِيزٌ) أَيْ: قَوِيٌّ بعد ذِلَّةٍ. وَ (أَعَزَّهُ) اللَّهُ))[3].

وذكر الشارح أنّ لفظ(العزّ) استعمله الإمام (عليه السلام) هنا في سياق التعبير عن العزّة والقوة، فالعزّة في الدنيا وفي الآخرة بالنصر والتوفيق ، والذلّة بالخذلان والمهانة والضعة والحقارة .

ويرى الباحث أن التقابل هنا من النوع الحاد؛ لكونه (عليه السلام) جمع بين متضادّين، هما الذلّ والعِزّ. فان من يعزه الله لابد أن يكون محبوباً له تعالى، فيمنحه هذه العزة وهذه المحبوبية لدى الناس، إذ لامعنى لأن يُعِزّ الله من كان ذليلاً في نفسه حقيراً بين الناس. وأمّا من يُذلّه الله فهو مبغوض له سبحانه لامحالة لذلك البسه ثوب الذل والصغار.

العسر ضدّ اليسر

ووذلك في قول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): ((**يا خَيْرَ مَنْ دُعِي لِكَشْفِ الضُرِّ ، وَ الْمَأْمُولِ لِكُلِّ عُسْرٍ وَ يُسْرٍ**))[4]، إذ قال: **((والعسر ضدّ اليسر، وهو الضيق والشدّة والصعوبة، فاليسر هو السعة والرخاء والسهولة))**[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣٤٥/٢ (ذل).

(٢) المحيط في اللغة: ٥٧/١٠(ذلل).

(٣) الصحاح: ٨٨٥(عزز).

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح ٢٠٦،

(٥) المصدر نفسه: ٢٠٦.

ويؤيّد هذه المعاني ما جاء في معاجم اللغة، منها ما ورد في لسان العرب: ((العسْر والعُسُر: ضِدُّ اليُسْر، وَهُوَ الضَّيِّقُ والشدَّة وَالصُّعُوبَةُ))[١].

وأمّا اليسر: ((الياءُ والسِّين والرَّاءُ: أَصْلان يدُلُّ أَحدهما عَلَى انْفِتَاحِ شيءٍ وخِفَّتِهِ...والْيُسْرُ: ضدُّ الْعُسْرِ وَيُقال رَجُلٌ يَسْرٌ وَيَسَرٌ، أَيْ حَسنُ الأنقِيَادِ. والْيَسَارُ: الْغِنَى. وَتَيَسَّرَ الشَّيْءُ واسْتَيْسَرَ))[٢].

من هذا يتضح أنّ السياق في هذا المقطع من الدعاء قد بُني على التقابل الحاد وفق التناسق الحاصل بين طرفي المعادلة، فالمراد من التقابل في هذا الموضع من الدعاء ان يرجع العبد إلى ربّه في كل حوائجه، جليلة كانت أو حقيرة، ويلتجئ إليه في كل الأحوال في حال الضيق والعسر، وفي حال اليسر والرخاء .

وقدّم الإمام (عليه السلام) لفظ العسر وكشف الضرّ على اليسر؛ لبيان قدرته تعالى وعظمته، أو لأن دفع العسر والمضرّة أولى من جلب المنفعة. وكما قال الشارح في تفسيره لهذين اللفظيَن: ((**صعب وسهل، أو جليل وحقير؛ لأنه ينبغي للعاقل أن يرجع في كلّ حوائجه إلى ربّه وينزلها به، جليلة كانت أو حقيرة، ولايأنف من رفع المحقرّات إليه، فإنّه غاية التوكّل عليه**))[٣]، فجاء التقابل هنا ليفيد هذا المعنى وتحققه وسياق الدعاء اللفظي خير دليل على ذلك.

الكرم ضدّ اللؤم

ورد ذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) :((**يا كَرِيمُ يا كَرِيمُ يا كَرِيمُ**))[٤]. قال الشارح : **((والكرم يُطلق على ضدّ اللؤم، ويطلق على الجود، وهو المراد هنا))**[٥].

فقد فسّر الشارح لفظ (الكرم) بانّه (ضدّ اللؤم)، والمراد به هنا: الجود. وقد شارك الشارح بعض اللغويين في تفسير هذين اللفظين بالضد، فالكرم في اللغة من الفعل (كَرمَ)، ومنه كَرُم

---

(١) لسان العرب:٩/٢٠١ (عسر)، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر: ١٤٩٧(عسر).
(٢) معجم مقاييس اللغة: ٦/١٥٥(يسر).
(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢٠٦.
(٤) المصدر نفسه:٢٠٩.
(٥) المصدر نفسه: ٢١٠.

الرجل، فهو كريم ((الكرمُ: ضُدّ اللؤم...والكريمُ الصّفوحُ. وكَرُمَ السحابُ، إذا جاء بالغيث))[١].

والكريم من اسماء الله تعالى : ((الكريم: هو الجواد المعطي الذي لاينفدُ عطاؤه، وهو الكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل))[٢].

أمَا اللؤم : فأصله من الفعل (لؤمَ) واللئيم : الشّحيح المُهينُ النّفس[٣] . جاء في معجم العين :((لأم: اللَّئِيمُ: مصدرُه اللُّؤْم واللَّآمةُ، والفِعْلُ: لؤم يلؤم... واللَّأْمُ من كلّ شَيءٍ: الشّديدُ))[٤]. فمن خلال المعنى اللغوي لكل منهما يجري التقابل بينهما فلذلك ما ذكره الإمام (عليه السلام) من تكرار لفظة (الكريم) بعنوان الكرم وإظهاراً للجود الألهي الذي لابخل في ساحته ولامنع من جهته.

وقد أورد الشارح كثيراً من المعاني المتعلّقة بلفظة (الكرم)، ومنها الجود وهو ما اختاره الشارح ليناسب الجود والكرم الإلهي الذي لابخل في ساحته . فالكرم اذا وصِف به تعالى فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تصدر منه، فلا يقال هو كريم، حتى يظهر ذلك منه[٥]. والمراد هنا من (الكرم) كما ذكر الشارح: ((**فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كلّ مَنْ يقدر أن يقبله بقدر مايقبله، وهذا من باب تعليق الأمر على الوصف ليدلّ على عليّته؛ وذلك أنّه تعالى لمّا كان كريماً، والكريم إذا وعد وفا، وهو سبحانه قد وعدَ لإجابة الدعاء، فقال:﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦] فليس لائقاً بوجهه الكريم وفضله الجسيم أن يرّد سائله من عطائه العميم وإحسانه العظيم**))[٧].

---

(١) الصحاح: ٩٩٦(كرم).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ١٦٦/٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٢٢٦/٥(لأم)

(٤) كتاب العين: ٦٤/٤ (لأم)

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٤٢٨.

(٦) غافر:٦.

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٢١١.

٢ –**التقابل المتدرّج** : وتكون الألفاظ فيه واقعة بين طرفي معيار متدرّج، أو بين ازواج من المتضادّات الداخلية أو الضّمنية، وإنكار أحد طرفي التقابل لا يعني الاعتراف بالآخر نحو : التقابل بين (حار وبارد)، فقولنا : الجو حار، أو الجو بارد لا يعني ثبات المعيار على لفظة (حارٌ) أو (باردٌ)، فيكون التقابل فيه جزئيا وغير متكامل.

ويُسمي أهل المنطق هذا النوع من التقابل (التضاد)، أي: أنّ أحد طرفي التقابل لا يعني إثباتا للطرف الآخر، إذ قالوا أنهما قد يكذبان بمعنى أنّ الشيء لا ينطبق عليه أحد طرفي المعيار، بل يقع وسطاً بينهما[١]، ومن أمثلته:

الصلاح ضد الفساد

وقد ذكر الشارح في هذا الموضع من قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَٱلْبِسْنِي اللّٰهُمَّ مِنْ اَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالصَّلاحِ**))[٢] أنّ ثمّة تقابلاً بين (الصلاح، والفساد) ، إذ قال: ((**والصلاحُ ضدّ الفساد، وهو خروج عن الاعتدال اللّائق به، فالصلاح حصول الشيء على الحالة المستقيمة النافعة، وكلاهما يعمّان كلّ ضار ونافع . ولعلّ المراد به هنا الأوامر والنواهي الشرعيّة. قال الزمخشري في الأساس: ((امر الله ونهى لاستصلاح العباد))**[٣]**، والصالح قيل: هو الخالص من كلّ فساد. وقيل هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس. وكذا قال الزجّاج في معاني القرآن:((الصالح هو الذي يؤدّي ما أفترض الله عليه، ويؤدّي إلى الناس حقوقهم))**[٤]**))**[٥].

وقد قابل بذلك طائفة من العلماء، ومنهم الراغب الأصفهانيّ(ت٥٠٢هـ) الّذي رأى أنّ (الصلاح، والفساد) مختصّان بأفعال العباد في أكثر الأحيان، وذكر أنّ (الصلاح) قوبل في القرآن الكريم بالفساد تارةً، وبالسيّئة تارة أخرى ، وأنّ (الفساد) خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً . فقال : ((الصلاح ضدّ الفساد وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارةً بالفساد وتارةً بالسيئة ، قال: ﴿ **خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ**

---

(١) ينظر: المنطق، محمد رضا المظفر: ٤٨.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٨.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري:١/٥٥٤(صلح).

(٤) معاني القرآن واعرابه:١/٤٠٧.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٩.

سَيِّئًا﴾[1]،﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[2]...والصُّلح يختصّ بإزالة النَّفار بين الناس))[3].

ونجد أنّ الشارح يتأوّل معانيهما بحسب السياق الذي يُلائم معنى الدعاء، فقد فسّر الشارح لفظ (الصلاح) بأنه الاستقامة في الحال النافعة، أو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، أو الأوامر والنواهي الشرعية . ويقابله الفساد الذي هو خروج الشيء عن الحالة اللائقة به، والفساد في الأرض هو زوال الاستقامة عن أحوال العباد.

وقد ربط الشارح بين هاتين الدلالتين لتدّل على أن (الصلاح) يعمّ كلّ نافع، وضدّه الفساد الذي يعمّ كلّ ضار، فهما من ألفاظ التقابل التدّرجيّ. أي: تفاوت الصفات الخُلقية والسلوكيّة من شخص لآخر، فهناك من ترتفع لديه نسبة الصلاح، وهناك من يُقال عنه: بأنّه سيّء، أو سيّء جدّاً، أو إلى حدٍّ ما ، وهذا يعني أنّ التقابل بين(الصلاح، والفساد) هو ممّا يصحّ وضعه في نهايتي التقابل المتدرّج .

الظمآن يقابله الريّان

وذلك في شرحه لقول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**أم كَيْفَ تَرُدُّ ظَمآناً وَرَدَ إلى حِياضِكَ شارِباً**))[4].

قال الشارح : ((**والظمآن كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريّان، وفيه استعارة تحقيقية تصريحيّة، حيث شبّه العاصي المحتاج إلى الرحمة والمغفرة بالظمآن، ثمّ ذكر المشبّه به وأُريد به المشبّه**))[5] .

وكذلك يطلق عليه تقابل الصفات أو التقابل الوصفي ويُسمّى أيضاً التقابل الدلالي الصوري، وهو من الأساليب البلاغية ((التي تتكىء على تقنيات المشابهة، والاستعارة، والمجاز، والكناية، فتعمل على توسيع أُفق التلقّي وتنشيط الخيال، وشحن الصورة ورفدها فنيا، فضلا عن خاصيّة التركيب التي تجلو العلاقة بين الضدّين بشكل اعمق عبر عملية التقابل

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٤(صلح).

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٢.

الصوري الذي يعد قوة خلاّقة داخل النسيج التصويري، ولاسيما من خلال إندغام المتنافرات والمتناقضات، وتمحورها حول الأطراف المتقابلة المتعاكسة ليجعل الصورة أكثر عمقا وثراءً))[١].

والضمآن في اللغة من الضمأ، جاء في لسان العرب : ((ظمأ: الظَّمَأُ: العَطَشُ. وَقِيلَ: هُوَ أَخَفُّه وأَيْسَرُه... والظَّمْآن: العَطْشانُ. وَقَدْ ظمِئَ فلان يَظْمَأُ ظَمَأً وظَماءً وظَماءَةً إِذَا اشتدَّ عَطَشُه))[٢]. وأمّا الريّان فهو من الفعل رُوِيَ، ((الرَّيُّ: مصدر رَوِيَ يَرْوَى وهو ريّان والمرأة: ريّا والجميع: رِواء للذَّكر والأنثَى فيه. والرَّواء من الماء: الذي يكونُ للوارِدِ فيه رِيّ))[٣].

ويرى الباحث انّ الضمآن والريان من الألفاظ التي يكون التقابل فيها على وفق درجات متساوية متدرجة، فلكل منهما درجات ومراتب، فحين نقول: أنّه ليس ريّان، لايتضمن معنى (عطشان)، فيكون تقابلاً متدرجاً. فدلالة التقابل هنا تدّل على حال أو صفة للعاصي والمذنب المحتاج إلى رحمته تعالى ومغفرته، فشبّه حاله بالظمآن، والعطاء الإلهي بأحواض الماء المترعة في إشارة إلى سعة هذا العطاء والكرم الإلهي، فالاستعارة تتحدث عن الحياض أي احواض الماء ولا تتحدث عن الماء نفسه.

المساء يقابل الصباح

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَمَسائي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدى**))[٤]، إذ قال : ((**والمراد بالمساء ما يقابل الصباح، وهو الشفق الذي يظهر في أُفق المغرب بعد الغروب، وهما متشابهان شكلا ومتقابلان وضعاً؛ لأن الصبح يبتدئ أولاً بضياء ضعيف طولاني، ثمّ ينبسط ذلك الضياء على الأُفق، ثمّ يميل إلى الحمرة إلى أن تطلع الشمس، والشفق بالعكس؛ لأن بعد الغروب يظهر في الأُفق حمرة منبسطة، ثمّ بياض عريض، ثمّ بياض دقيق طوْلاني إلى أن ينتفي بالكليّة**))[٥]

---

(١) ثنائية التقابل الصوري بين المؤمن والكافر، د. وسن عبد المنعم: ٣٤٨.

(٢) لسان العرب: ١١٦/١(ظمأ).

(٣) كتاب العين: ٢/ ١٦٥(الري).

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٥٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٩.

جاء في معاجم اللغة : ((مسي: المُسيُ: من المساء، كالصُّبْح من الصّباح. والمُمسَى كالمُصْبَح. والمساء: بعد الظُّهْر إلى صلاةِ المَغْرِب. وقال بعضٌ: إلى نِصْفِ اللَّيل. وقول الناس : كيف أمسيت؟ أي: كيف كنت في وقتِ المَساء، وكَيْف أصبحت؟ أي: كَيْفَ صرتَ في وقتِ الصُّبح؟ ومسّيت فلانا: قلت له: كيف أمسيت. وأمسينا نحن: صِرْنا في وقت المساء))[1].فالمساء هو((مَا يُقَابل الصَّباح وزمان يَمْتَد من الظّهْر إلى الْمغرب أو إلى نصف اللَّيْل))[2].

أمّا الصباح اصله من الفعل (صَبَحَ)، وهو أول النهار وقت احمرار الأفق بحاجب الشمس[3]. قال ابن فارس :((الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالْحَاءُ أصل وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ. وَهُوَ لَوْنٌ مِنَ الْأَلْوَانِ قَالُوا: أَصْلُهُ الْحُمْرَةُ. قَالُوا: وَسُمِّيَ الصُّبْحُ صُبْحًا لِحُمْرَتِهِ، كَمَا سُمِّيَ الْمِصْبَاحُ مِصْبَاحًا لِحُمْرَتِهِ. قَالُوا: وَلِذَلِكَ يُقَالُ: وَجْهٌ صَبِيحٌ. وَالصَّبَاحُ: نُورُ النَّهَارِ. وَهَذَا هُوَ الأصل ثُمَّ يُفَرَّعُ))[4].

والصباح والمساء من الألفاظ المحدّدة فهما لفظان زمنيان يمثلان جزئي اليوم، والتقابل هنا يُسمّى دائرياً، ويكون بين الكلمات ذات العلاقة التكراريّة[5]، مثل: (شتاء، ربيع، صيف، خريف) و(سبت، أحد، أثنين)، فطرفي هذا التقابل يحمل كلٌ منهما دلالات زمنية متدرجة، وعلى ذلك يكون التقابل هنا دائري، أي: متدرج مستمر غير منقطع بمفردات التقابل الدائري (صباح، وضحى، وظهر، وعصر، ومساء، وغروب، وليل....الخ). فذكر الشارح أنهما متقابلان وضعاً في بداية طلوع كل منهما خلال اليوم. وقابل بين دلالة اللفظتين وفقا للدلالة الزمنية ووجود درجات دلالية متساوية لهذين اللفظين المتقابلين، وقد شارك اللغويين في تقرير هذه الدلالة.

وبالرجوع إلى سياق الدعاء، نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) خصّ الصباح والمساء لشمولهما طرفي االيوم، حيث يشير (عليه السلام) في هذا المقطع من الدعاء إلى ظاهرة تتصل بالليل وهي التوسل بالله تعالى بأن يجعل المساء ستراً ووقاية من الكيد والمكر الذي يمارسه الأعداء في شتى مستويات الكيد، والحفظ من الوقوع في المهلكات.

---

(١) كتاب العين: ١٤٢/٤ (مسي).

(٢) المعجم الوسيط: ٨٧٠ (مسي).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القران: ٢٧٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣٢٨/٣ (صبح).

(٥) ينظر: علم الدلالة(عمر): ١٠٦.

المبحث الخامس

التغيير الدلالي

يمكن تعريف التغيير الدلالي بأنّه: ((التغيير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن وتبدّل الحياة الإنسانية، فينقلها من طور إلى طور آخر))[١].

وظاهرة التغيير الدّلالي ((ظاهرة شائعة في كُلّ اللغات يلمسُها كلّ دارس لمراحل نموّ اللغة واطوارها التاريخية))[٢]، ويحصل هذا التغيير نتيجة وجود متغيّرات تاريخية واجتماعية ونفسية، ودينيّة[٣]، ونتيجة لهذا التطور في المجتمع الإنساني تتغيّر معه دلالات الألفاظ من جيل إلى جيل آخر، وبحسب الاستعمال المجازي لها، فقد يستعار لفظ له دلالته الخاصة ليعبّر به عمّا ليس له لفظ يعبّر عنه، وبالعكس، فحاجة الأديب لتوضيح دلالة لفظ ما وتقوية أثره في ذهن المتلقي هي التي تحمله على استعمال المجاز[٤]، ((ويمكن تسمية هذه الظاهرة بالمجاز أيضا، ولكنها ليست ذلك المجاز البلاغي الذي يعمد إليه أهل الفن والأدب، ...هدفه الأساسي الاستعانة على التعبير عن العقليات والمعاني المجرّدة))[٥].

يقول ستيفن أولمان : ((ويظهر هذا المجاز في صور متعددّة، فقد يطلق الظرف على المظروف أو المحلّ على الحال، كما في نحو (شرب كوبا من الماء) و(بيت الرجل) والمقصود أهله، وقد يطلق اسم الأداة والآلة على وظيفتها أو اسم العمل على آثاره ونتائجه، ك إطلاق (اللسان) على اللغة))[٦].

ويحصل هذا التغيير نتيجة وجود متغيّرات تاريخية، واجتماعية، ونفسية، ودينيّة[٧]. قال ابن فارس: ((فكان مما جاء في الاسلام – ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وانّ العرب انّما

---

(١) في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، د.عبد الكريم محمد حسن جبل:٣٣.

(٢) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: ١٢٣.

(٣) ينظر: اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي: ٩١، وفقه اللغة وخصائص العربية: ٣٣، والترادف في اللغة: ١٥.

(٤) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٤٥.

(٥) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٦) دور الكلمة في اللغة: ١٧٠.

(٧) ينظر: اللغة والمجتمع:٩١، وفقه اللغة وخصائص العربية:٣٣.

عرفت المؤمن من الأمان والايمان، وهو التصديق، ثمّ زادت الشريعة شرائط واوصافا بها سُمّي المؤمن بالإطلاق مؤمنا))[١].

والعربية من أكثر اللغات تغيراً وتطوراً في مفرداتها ودلالاتها، فقد حدّد اللغويون المحدثون أشكال التغيير الدّلالي على أنماط أهمها [٢]:

١ – تخصيص الدلالة .

٢ – تعميم الدلالة.

٣ – انتقال الدلالة.

وسيعرض الباحث ما ورد من ألفاظ تخصّ هذه الاشكال الثلاثة للتغيير الدلالي أشار إليها الشارح في شرحه دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: تخصيص الدلالة

ويسمّى بـ(تضييق المعنى)[٣]، أو اللفظ العام المخصوص، وعرّفه السيوطي :((ما وضع في الأصل عاماً ثم خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده ... الغسل للأشياء عام، والقِصارة للثوب خاص. الحَبْلُ عام، والكُرُّ للحبل الذي يُصْعد به الى النَّخْل خاص. والصُّراخ عام، والواعية على الميّت خاص))[٤].

وقد وقف الشارح في شرحه لدعاء الإمام(عليه السلام)على عدة ألفاظ انحسرت دلالتها وفقاً للتغييرات الدلاليّة العرفيّة والدينيّة الطارئة على تلك الألفاظ واستعمل عبارات من نحو: (في الأصل يقع على كذا، ثم غلب على كذا)، و(إلا أنّه قد صار متعارفاً) و(صار حقيقة) وهي تدل على ذلك التخصيص في دلالة الألفاظ في العرف أو الشرع، ومن هذه الألفاظ :

الإلـــه :

ورد هذا اللفظ في شرحه لقول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**إلهي إِنْ لَمْ تُبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ فَمَنِ السَّالِكُ بِي إِلَيْكَ فِي وَاضِحِ الطَّرِيقِ**))[٥].

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة: ٤٥.

(٢) ينظر: علم الدلالة (عمر): ٢٤٣، ودلالة الألفاظ :١٥٢، علم اللغة (وافي): ٣١٣ – ٣٢٩.

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٦٢.

(٤) المزهر: ٤٣٣/١.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٠٤.

قال الشارح :((**إلهي، أي: مألوهي ومعبودي، أو مفزعي وملجئي، أو مَنْ يسكن إليه قلبي، أو مَنْ إليه أتضرّع في شدائدي. والإله في الأصل يقع على كلّ معبود، ثم غلّب على المعبود بحق بحيث لايُطلق على غيره تعالى**))(١).

الإله في اللغة هو المعبود: ((ألَهَ بالفتح إلاهةً، أي عبد عبادة...ومنه قولنا: (الله) وأصله إلاه على فعال، بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي: معبود))(٢).

وأشار الشارح إلى أنّ اللفظ كان يستعمل في الأصل للدلالة على كلّ معبود يعبد بحق أو باطل. والجمع آلهة، فقد كانت العرب أيام الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والاصنام آلهة(٣)، ثمّ انتقل إلى الدلالة الشرعية له في تغليبه على الإله المعبود بحق، واختصّ به تبارك وتعالى .

وقد قرّر هذا التخصيص بعض اللغويين، قال الكفوي : ((وَالْحق أَن هذا الِاسم الْجَلِيل صفة فِي الأصل لقيام دليل الإشْتِقَاق وهو المُشاركة في اللَّفْظ والتركيب بَينه وَبَين بعض الألفاظ الدَّالَّة على الْمعَانِي الوصفية؛ لكنه اخْتصَّ بطرِيق الْغَلَبَة بِالذَّاتِ البحت الْفَرد الْقَدِيم الأقدس المستجمع لجَمِيع الكمالات، النَّافِي للنقائص من الصِّفَات، الصَّالح فِي ذَاته، المصلح لغيره من الذوات))(٤).

(التوفيق):

قال أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إلهي اِنْ لَمْ تَبْتَدِئِني الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي اِلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ**))(٥).

قال الشارح : ((**والتوفيق لغة: جعل الشيء موافقاً لآخر . وعرفاً جعل الله تعالى فعل العبد موافقاً لما يحبه ويرضاه. وهو وإن كان في الأصل موضوعا على وجه يصحّ استعماله في السعادة والشقاوة، ولذلك قيّده (عليه السلام) بأن يكون حسناً لا قبيحاً، إلاّ أنه قد صار متعارفاً**

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٠٤.
(٢) الصحاح :٢٢٢٣(اله).
(٣) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٤٧٦(أله)، والمعجم الوسيط: ٢٥.
(٤) الكليات: ٩٧٣.
(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٤.

في السعادة فقط، ولعلّه المراد بقولهم: التوفيق توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير. وقيل هو الدعوة إلى الطاعة والمآل واحد، والتوفيق ممّا لايستغني الإنسان عنه في كل حال...والمراد بتوفيقه تعالى(عليه السلام): تسديده وتذكيره، ولطفه به، وإلهام القيام بما آتاه من آداب الاوصياء واخلاق الاصفياء من صدق الانقطاع إليه، والتوكّل عليه، وقوّة اليقين به، وإطمئنان القلب بفضله، فلم يلتفت إلى غيره ولا إلى نفسه))[1].

وافق الشارح اللغويين في أنّ لفظ (التوفيق) يدّل في أصله على التوافق والمطابقة بين شيئين ومنها الخير والشرّ، ثمّ انتقل إلى التخصيص في السعادة والتعارف في أمور الخير فقط . قال الراغب في مفرداته : ((وفق : الوِفق المطابقة بين الشيئين، قال تعالى : ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[2]. يقال وافقت فلاناً ووافقتُ الأمر صادفته، والاتفاق مطابقة فعل الإنسان القَدَرَ ويقال ذلك في الخير والشرّ، يقال: اتفق لفلان خيرٌ، واتفق له شرٌّ، والتوفيق نحوه، لكنه يختصّ في التعارف بالخير دون الشرّ، قال تعالى : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[3]))[4].

فاستعمله الإمام (عليه السلام) في عبارة الدعاء بأن يكون حسناً لا قبيحاً، والمراد: تسديد الله تعالى ولطفه به (عليه السلام) والتوفيق في الانقطاع إليه والتوكل عليه وطاعته تعالى. فقد نصَّ الشارح على أنه كان يدّل في أصله على السعادة والشقاوة، ثمّ غلّبه الاستعمال العرفي فأصبح يستعمل في السعادة خاصّة. وذكر معانيه، ثمّ قيّدها بما يلائم سياق الدعاء.

أسْلَم

وهو من الألفاظ التي تخصصت دلالتها وأشار إليها الشارح في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَإِنْ أَسْلَمَتْنِي أَنَاتُكَ لِقَائِدِ الْأَمَلِ وَالْمُنَى فَمَنِ الْمُقِيلُ عَثَرَاتِي مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى؟**))[5]. قال الشارح : ((**يقال : أسلم فلان فلاناً اذا ألقاه في الهلكة، ولم يحمه من عدوه، وهو عامّ في كلّ من أسلمته إلى شيء، لكن غلّب عليه الإلقاء في الهلكة**))[6].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٠٥-١٠٦.

(٢) النبأ : ٢٦.

(٣) هود : ٨٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٨(وفق).

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٠٨.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٨.

وأسلم في اللغة أصله (س ل م). ((والسِلْمُ: المُسالِمُ، تقول: أنا سِلْمٌ لمن سالمني. والسَلامُ: السَلامَةُ. والسَلامُ: الاستسلامُ. والسَلامُ: الاسم من التسليم. والسَلامُ: اسم من أسماء الله تعالى... وسلمت إليه الشيء فتسلمه، أي: أخَذَه. والتَسْليمُ: بَذْلُ الرضا بالحكم. والتسليم: السلام. وأسلم الرجل في الطعام، أي: أسلَفَ فيه. وأَسْلَمَ أمرَه إلى الله، أي: سَلَّمَ. وأَسْلَمَ، أي: دخل في السَلْمِ، وهو الاستسلام. وأَسْلَمَ من الإسلام. وأَسْلَمَهُ، أي: خذله))[1].

فقد لاحظ الشارح أنّ لفظ (أسلم) كان يستعمل في الدلالة على كل من أسلمته إلى شيء بشكل عام، ثم أشار إلى أثر الاستعمال اللغوي في تخصيص عمومها وهو الإلقاء في الهلكة . وهذا التخصيص أقرّته بعض معجمات اللغة، منها ما ورد في تاج العروس: ((وأسلَم (العَدُوَّ: خَذَلَه) وأَلْقَاه فِي الهَلَكَة. قَالَ ابن الأَثِير: " هُوَ عَام فِي كل من أَسْلَم إلى شَيْء، وَلَكِن دَخَله التَّخْصِيص، وغَلَب عَلَيْهِ الإلقاءُ فِي الهَلَكة))[2].

وهو المراد هنا، أي: إنْ ألقتني أناتك وحلمك عني إلى قائد الأمل والمنى فمن المقيل زلاتي وعثراتي من كبوات الهوى والنفس الأمّارة بالسوء؟

الدين

وقف الشارح عند لفظة(الدين) وماورد فيها من تخصيص الدلالة وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**فَأَجْعَلِ اللّهُمَّ صَبَاحِي هذا نازِلاً عَلَيَّ بِضِياءِ الهُدى وَالسَّلامَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنيا**))[3]، مفسّرا معناها وبيان دلالتها الشرعيّة بقوله : ((**والدين في اللغة : الطاعة . وفي العرف الشرعي: هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل (عليهم السلام) . ولمّا كان اتّباع الشريعة طاعة مخصوصة، كان ذلك تخصيصاً من الشارع للعامّ بأحد مسمّياته، ولكثرة استعماله صار حقيقة دون سائر المسمّيات؛ لأنه المتبادر إلى الفهم حين إطلاق لفظ الدين**))[4].

(١) الصحاح: ٥٥٦(سلم).

(٢) تاج العروس :٣٢/ ٣٦٨(سلم)، و ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر:٢/٣٩٤.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٢- ١٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٦.

ولعلّ ما ذكره الشارح بأن هذه اللفظة من العرف الشرعي للدلالة على اشتهارها بذلك المعنى وهو (الشريعة) فهو أكثر دقة وتخصيصاً لها. فالدين أصله هو الطاعة[١]، قال ابن فارس:((والدين: الطاعة، والدينُ: الحكم والجزاء في قوله عزّ وجلّ : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢]، يقال: دنتُهُ، جزيته))[٣]. ثم انتقلت دلالته من معناها اللغوي العام وهو (الطاعة) إلى معنى خاص في عرف الاستعمال؛ فلكثرة شُيوعه صار مجازاً عن الدين، وهو الذي يتديّن به الإنسان وما يعبد به الله من الإسلام وغيره، ثم أصبح يُطلق على الشريعة حقيقة[٤].

جاء في تفسير ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) :((ويظهر أنّ لفظ الدِّين مُستعمل في كِلا معنييه: المعنى الحقيقي وهو الشريعة، والمعنى المجازي وهو أهل الدِّين، كما تقول: دخلتُ قريةَ كذا وأكرمتني))[٥].

فالألفاظ التي تستعمل في مصطلحات الشريعة هي من المجاز الذي يكثر استعماله، ثم لا يلبث ان ينسى هذا المجاز، ويصبح معناها حقيقياً[٦]. وتسمى هذه الألفاظ بـ(الحقيقة الشرعية) وهي : ((اللّفظة التي يُستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي))[٧].

من هذا يتّضح لنا أنّ الشارح كان له وقفات دلالية في العناية بألفاظ تخصصت دلالتها فعلى الرغم من أنّه لم يُسمّها بهذا الاسم، ولم يخض طويلاً في مسائل الخلاف بين العلماء حول هذه المسألة، إلاّ أنّه اكتفى بشرحها من ناحية لغوية والإشارة بوضوح إلى نسبتها سواء إلى الشرع أو العرف.

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١٣/١٧٠(دين)، والصحاح :٣٩٧ (دين).

(٢) الفاتحة : ٤.

(٣) مجمل اللغة: ٣٤٢(دين).

(٤) ينظر: غريب القرآن، السجستاني:٩٢، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو حبيب: ١٣٣(دين).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور:٢٨/١٩٢.

(٦) ينظر: في اللهجات العربية: ١٨٣.

(٧) معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٤٥٥(الحقيقة).

المطلب الثاني: تعميم الدلالـة

وهو عكس معنى التخصيص الدلالي تماماً، ويكون بانتقال معنى اللفظ من دلالته الخاصّة إلى معنى أعمّ واوسع من الدلالة الأولى. وذلك عن طريق الاستعمال الشائع للدلالة الجديدة لذلك اللفظ، مما يكسبه صفة العموم(١). وقد أورد طائفة من هذه الألفاظ غير واحد من علماء العربيّة القدماء، ومنه ما عقده السيوطي في كتابه (المزهر) فصلاً سمّاه (فيما وضع في الأصل خاصّاً ثمّ استعمل عامّاً)، ومما جاء فيه : ((والظّعينة: اصلها المرأة في الهودج، ثم صار البعير ظعينة، والهودج ظعينة))(٢).

وقضية التعميم أو التخصيص كما يقول أحد الباحثين : ((مسألة نسبية تخضع للزمان والمكان، فما يكون عاماً في مكان معين قد يكون خاصاً في مكان آخر، وما يكون خاصاً في زمان معين قد يصير عاماً في زمان آخر، ومن هنا فالمسألة خاضعة للزمان والمكان من حيث الاستعمال والإهمال))(٣).

وتُعدّ الاستعارة والمجاز من العوامل المهمة والرئيسة في انتقال دلالة الألفاظ نحو التعميم؛ وذلك لأنها تؤدي غالباً إلى انقراض معنى اللفظة الحقيقي وحلول المعنى المجازي محلّه، فالمجاز: ((هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع)) (٤).

فتعميم الدلالة قد يُنسي المعنى الخاص الذي انطلقت منه دلالة اللفظ بمرور الوقت نتيجة الاستعمال وترسّخ الدلالة العامة في الأذهان. فهو يعودُ كما أشار اللغويون إلى حاجةِ ابناء الجماعة اللُّغويَّة، فهم ينتقلون بالدَّلالة الخاصَّة إلى الدَّلالة العامَّة إيثاراً لسدِّ حاجة ابناء الجماعة اللغوية في تواصلها(٥).

---

(١) ينظر: علم اللغة (وافي) ٣٢١، والترادف في اللغة: ٢٣ .

(٢) المزهر ١/٤٢٩-٤٣٠.

(٣) البحث الدلالي في كتب اعجاز القرآن حتى نهاية القرن السابع الهجري، أحمد عبد الله النشمي (أطروحة دكتوراه) ٩٩.

(٤) مفتاح العلوم، السكّاكي: ٣٥٩.

(٥) ينظر: دلالة الألفاظ:١٥٥.

وبالرجوع إلى ماذكره الشارح في مقاطع الدعاء نجده لم يصرّح بالألفاظ التي تدل على التعميم في الدلالة، بل يبحث غالباً عن الأصل الذي تعمّمت منه اللفظة ليصل إلى معناها الذي آلت إليه في التعميم، ومن الامثلة التي وردت في كلام الشارح وتعمّمت دلالتها :

السبب

ورد هذا التعميم في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ**))[١]، إذ قال: ((**والسبب في الأصل حبل يتوصّل به إلى الماء، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل إلى المطلوب من القدرة والعلم والآلة وغيرها**))[٢].

والسبب في اللغة كما ورد في لسان العرب : ((السبب كل حبل حدرته من فوق... وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، كقوله تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ﴾[٣]، أَي الوُصَل والمَوَدَّاتُ))[٤].

فقد بيّن الشارح انّ لفظة(السبب) من الألفاظ التي عمّت دلالتها وتوسّع معناها من باب الاستعارة، إذ أشار إلى معناها الأصلي الذي ورد في معاجم اللغة وهو: الحبل الذي يوصل به إلى الماء، ثمّ وقف على تطوّر دلالتها حتى أصبحت تطلق على كل ما يتوصّل به إلى المطلوب. فيتضّح لنا من ذلك أنّ دلالة لفظة (السبب) وضعت في أصلها اللغوي للدلالة على الحبل الذي يوصل به إلى الماء على وجه الخصوص، ثمّ تعممت لتدل على كلّ ما يتوصّل به إلى شيء.

الآل

ومما وقف عليه الشارح في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَعَلى آلِهِ الأَخْيارِ الْمُصْطَفَيْنَ الأَبرار**))[٥]، لفظة (الآل)، إذ قال : ((**آل الرجل أهله وعياله، وآله (صلى الله عليه وآله) عند الاماميّة عترته الطاهرة من أهل العصمة عليهم السلام، ولا وجه لتخصيص الشهيد**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٧٢.

(٣) البقرة : ١٦٦.

(٤) لسان العرب: ٤٥٧/١-٤٥٨ (سبب).

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨١.

الثاني[1]في شرحه على اللمعة بأصحاب الكساء، وهم : علي، وفاطمة، وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام . ثمّ قال : ويطلق تغليبا على باقي الأئمة عليهم السلام . أقول : بل على غيرهم أيضا، كما ورد عنه صلّى الله عليه وآله: أن كل تقي ونقي آلي؛ لأن آله كلّ ما يؤول إليه : إمّا مآلاً صورياً جسمانيّا، كأولاده ومن يحذو حذوهم من اقاربه الصوريّين الذين تحرم عليهم الصدقة في شريعته، أو مآلاً معنوياً روحانيّاً، كأولاده الروحانيّين من العلماء الراسخين، والأولياء الكاملين والحكماء المتألّهين...سبقوه بالزمان أو لحقوه))[2].

اصل آل: أهل، وفي اللغة : الرجوع[3]، قال ابن فارس : ((آلَ يَؤُولُ، أَيْ: رَجَعَ...يُقَالُ: أول الحكم إلى أهله، أي: أرجعه وردّه إليهم ... وآل الرَّجلُ شخصُهُ من هذا أيضاً. وكذلك آلُ كلّ شيء؛ وذلك أنّهم يُعبّرون عنه بـ(آله)، وهم عشيرته، يقولون: آلُ أبي بكرٍ. وفي هذا غموض قليل))[4].

وجاء في لسان العرب : ((وَالْآلُ: آلُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... قَالَ ابن الأَثير: وَاختلف فِي آلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عليه وسلّم، الذين لَا تحلُّ الصَّدَقَةُ لهمْ، فالأَكثر على أنهم أَهل بَيْتِهِ؛ قال الشَّافِعِي(ت٧٦٧هـ): دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ أَن آلَ مُحَمَّدٍ هم الذين حُرِّمَتْ عليهم الصَّدَقَةُ وَعُوِّضُوا مِنْهَا الخُمس، وقِيلَ: آلُهُ أَصحابه ومَنْ آمن به، وهو فِي اللّغة يقع على الجميع))[5].

وقد فرّق الراغب الاصفهاني(ت٥٠٢هـ) بين الأهل والآل، فقال :((الْأَهْل يكون من جِهَة النّسَب والاختصاص، فَمن جهة النّسَب قولك: أهل الرجل لقرابته الأدنين، ومن جهة الاخْتصَاص قَوْلك أهل الْبصْرة، وَأهل الْعلم. والآل: خاصَّة الرجل من جِهَة القرابَة أو الصُّحْبة، تَقول: آل الرجل لأَهله وَأَصْحَابه، ولا تَقول: آل الْبَصْرَة، وَآل الْعلم. وَقَالُوا: آل فِرْعَوْن أَتبَاعه، وَكَذَلِكَ آل لوط))[6].

أشار الشارح إلى تطوّر هذه اللفظة عن طريق التعميم بتوسيع دلالتها ونقلها من معنى خاص إلى معنى أوسع فصار(آل الرجل) من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما

---

(١) هو زين الدين بن نور الدين العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥ هـ) من أحفاد العلامة الحلي ومن أبرز علماء وفقهاء الامامية في القرن العاشر الهجري وله مصنفات كثيرة أشهرها شرح اللمعة الدمشقية في الفقه الإسلامي.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٨٢.

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ١٧١(الآل).

(٤) مقاييس اللغة:١/١٥٩-١٦١(أل).

(٥) لسان العرب ٣٨/١١ (أول)، والنهاية في غريب الحديث والاثر: ٨١/١ .

(٦) معجم الفروق اللغوية: ٨٥.

من صفات الرجوع المعنوي أو الروحي . وذكر ما أشار إليه صاحب اللمعة الشهيد الثاني في تخصيص هذه اللفظة وتغليبها على أئمة اهل البيت (عليهم السلام) عند الاماميّة، والمراد بهم هم اهل بيت النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) . قال صاحب اللمعة : ((وعلى آله، وهم ـ عندنا ١ـ: عليٌّ وفاطمة والحسنان، ويطلق تغليباً على باقي الأئمة (عليهم السلام)...))[١].

إذ يرى الشارح بأنه لا وجه في تخصيصها بأهل البيت (عليهم السلام)، بل تطلق على غيرهم أيضاً فهي أوكد عنده من النسبة الأولى، فتشمل كل ما يؤول ويرجع إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) بالنسب، ويدخل في ذلك أهله وعياله وذريّته، أو بالدين، وهم اتباع ملّته المسلمون عامّة[٢].

ويرى الباحث إنّ هذا الرأي الذي ذهب إليه الشارح في تعميم دلالة لفظ (آل) جاء من معناه اللغوي الأعم ، لكن النبي (صلى الله عليه وآله) غيَّر المفهوم اللغوي وجعله مصطلحاً إسلامياً، فحصر مفهوم أهل بيته فصار(آل بيت النبي وأهل النبي) مصطلحاً نبوياً لأناس معينين لا يدخل فيه غيرهم. إضافة أنّ أغلب علمائنا، لايأخذ به. بل هم يخصصونها بأهل البيت (عليهم السلام)، وهم أهل الكساء (محمد، علي بن أبي طالب، فاطمة الزهراء، الحسن، الحسين) ويلحق بهم التسعة المعصومين من ذريّة الحسين(عليهم السلام) والأدلّة عليه كثيرة من الحديث الشريف، منه قول الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) في حديث الكساء: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي))[٣].

المفتاح

وذلك في شرحه لقول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَافْتَحِ اللّهُمَّ لَنا مَصارِعَ الصَّباحِ بِمَفاتِيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلاحِ**))[٤]. قال الشارح: ((**والمفتاح آلة الفتح، وهي ما يُفتح به المغلاق، والمِفْتح مثله، وكأنّه مقصور من الأول، وجمع الأول: مفاتيح، والثاني: مفاتِح بغير ياء، ثمّ أُستعير لما يتوصّل به إلى الأمر، ومنه قوله تعالى:﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾**[٥]

---

(١) الروضة البهيّة في شرح اللُمعة الدمشقيّة، زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) ١/٤٠.

(٢) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ١/٣٧٧(ل).

(٣) تفسير روح المعاني، الآلوسي: ٢٢/١٧.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٦.

(٥) الأنعام: ٥٩.

قال الراغب[1]: يعني ما يتوصّلُ به إلى غيبه المذكور في قوله تعالى:﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[2]))[3].

فالأصل هو من الفعل فتَحَ، والمِفْتاحُ: ((مفتاح الباب وكلّ مافُتِحَ به الشيء، قال الجوهري: وكل مُسْتَغْلَق،... والجمع مَفاتِيحُ ومَفاتِح))[4].

فلفظة (المفتاح) هي آلة مختصّة لفتح الشيء المغلق، ثمّ أتسعت دلالتها عن طريق الاستعارة لتدل على ما يتوصّل به إلى الأمر، فاستعملها الإمام(عليه السلام) للإستفتاح في الصباح إشارة إلى مايريده العبد من عناية الخالق في فتح مصاريع الصباح الظاهري بقضاء حوائجه الدنيوية والأخروية، والباطني بالفتوحات الربانيّة للفوز والظفر والنجاة[5].

الوِرْد

ذكر الشارح هذا التعميم الدلالي في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) :((أم **كَيْفَ تَرُدُّ ظَمَآنَ وَرَدَ إلى حِياضِكَ شارِباً))**[6]، إذ قال : **((وأصل الورود بلوغ الإبل الماء وموافاتها إيّاه، ثمّ استعمل في غيره مجازاً، قال في الأساس: ((ورَدَ عليه أمر لمْ يطقه، وأوردتَ عليّ ما غمّني))**[7]**، وهذا يدلّ على أنّه مستعمل بـ(على)، فلعلّه (عليه السلام) ضمّنه معنى التوجّه فعداه بـ(إلى)..))**[8].

من معاني (الوِرْد) في اللغة: ((الإشْرَافُ عَلَى الماءِ وغيرِه، دَخَلَه أو لَمْ يَدْخُلْه، وَقد وَرَدَ الماءَ وعَلَيْهِ، وِرْداً ووُرُداً...وكُلُّ مَن أَتَى مكاناً مَنْهَلاً أو غَيْرَه فقد وَرَدَه))[9]. وأشار الشارح أن الإمام (عليه السلام) عدّى الفعل (ورَدَ) بـ(إلى) مع أنّه يُتعدّى في الأصل بـ(على)؛ لأن السياق هو الذي حدّد معنى الفعل وتضمينه معنى التوجّه.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٧١.

(٢) الجن: ٢٦.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٧.

(٤) لسان العرب: ٥٣٧/٢ (فتح).

(٥) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٤٦.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٢.

(٧) أساس البلاغة: ٤٩٩/٢.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٢.

(٩) تاج العروس: ٢٨٩/٩ (ورد)، و ينظر: الصحاح: ١٢٣٨(ورد).

فيتضح من ذلك أنّ (الورود) كان يدلّ في أصله على إتيان الماء والوصول اليه، ثمّ عمّم وأطلق على بلوغ الشيء وصار إتيان كل شيء وردا؛ وذلك نتيجة لكثرة استعماله في المعنى المجازي ادّى إلى انقراض معناها الأصل. وقد قرّر هذا التعميم في هذه اللفظة أكثر اللغويين[١]. قال ابن فارس نقلا عن الاصمعي: ((أصل "الورِد" إتيان الماء، ثُمَّ صار إتيانُ كلِّ شيء ورْداً))[٢].

ويرى الباحث أنّ الأمام (عليه السلام) استعمل هذا اللفظ في سياق الدعاء للإشارة إلى سعة عطاء الله تعالى، وأنّ العبد المذنب الغارق في ذنبه وهو في وقت الضنك والشدة والمحول، إنّما يتطلع إلى عطاءٍ لا حدّ له يتمثل في إتيان هذا الحياض الألهي، فهو الأمل الكبير الذي يعلّقه صاحب الذنب على غفران الله تعالى لذنبه .

(١) ينظر: جمهرة اللغة: ١٢٥٦ (ورد)، والمزهر: ٤٢٩/١.

(٢) الصاحبي: ٦٤.

المطلب الثالث: انتقال الدلالة

وهو انتقال معنى اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى؛ لوجود علاقة واضحة بين الدلالتين[١]، أو هو تغيّر في مجال استعمال اللفظة من دون ان يكون في ذلك التغيير تخصيص أو تعميم، من ذلك الانتقال من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازيّة للفظة، مما يؤدي إلى تغيّر في دلالتها واختفاء المعنى الحقيقي لها وحلول المعنى المجازي محلّه؛ لأن نقل اللفظ من مجال إلى آخر يكون نتيجة وجود مسوّغات الشبه من ناحية الشكل أو الوظيفة بين المجاليَن ، فالمؤدّي لهذا الانتقال في المعنى هو الاستعمال المجازي، أو عن طريق انتقال الدلالة من الشيء المادّي المحسوس إلى الشيء المعنوي المجرّد، أو بالعكس، بالإضافة إلى فنون مجازيّة أخرى. من ذلك انتقال معنى (العقيقة) من الشعر الذي يخرج على الولد من بطن امه إلى ما يُذبح عنه عند حلق ذلك الشعر[٢]. وهذا النوع من التطوّر الدلالي الذي يحصل عن طريق المجاز في اللغة يتأتّى عن طريقين[٣]:

الأول: الاستعارة، ويكون بانتقال اللفظة من مجال دلالتها إلى مجال دلالة أخرى؛ وذلك لوجود علاقة مشابهة واضحة بين المدلولين .

الثاني : المجاز المرسل، هو ((ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه و ما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأن من شأنها ان تصدر عن الجارحة))[٤]. وسُمّي بالمجاز المرسل ((لأن الإرسال هو الإطلاق ، فهو مطلق في علاقاته، أي: ليس له علاقة معينة كما هو الشأن في الاستعارة، فالاستعارة علاقتها المشابهة، وللمجاز المرسل علاقات كثيرة))[٥] ومن أهم هذه العلاقات : ((السببية، والحالية، والمحلية، والمجاورة، والزمانية، والمكانية، والجزئية، والكلية، واعتبار ما كان وما سيكون، وغير ذلك))[٦]، ولم يغفل الشارح عن هذه الظاهرة الدلالية في شرحه لمقاطع الدعاء، بل كان على وعي وعناية بها، وكانت له وقفات في الألفاظ التي انتقلت دلاتها، ومن هذه الألفاظ:

---

(١) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٦٠، والترادف في اللغة: ٢٤.

(٢) ينظر: علم اللغة (وافي):٣٢١، وعلم الدلالة العربي، فايز الدايه: ٢٨٢، ودور الكلمة في اللغة: ١٦٩.

(٣) ينظر: الترادف في اللغة: ٢٤-٢٥.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: ٢٠٥.

(٥) البلاغة فنونها وافنانها: ١٥٣.

(٦) دلالة الألفاظ: ٢٥، و ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني: ٢٠١.

اللسان

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) :((**يامَنْ دَلَعَ لسان الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ**))[١].

ورد انتقال الدلالة في هذا المقطع من الدعاء في لفظة (اللسان)، قال الشارح : ((**واللسان في الأصل معناه الفصاحة، ومنه اللسن، أي: الفصيح، وإنّما سُمّيت تلك الجارحة به؛ لكونها آلة لإفصاح المعاني وايضاحها**))[٢]. حيث ذكر الشارح استعمال لفظة (اللسان) لمعنيين هما: الأصل وهو الفصاحة ثم انتقل المعنى بسبب المجاز إلى الجارحة، وهي آلة الإفصاح . وقد ذكرت المعجمات اللغوية هذين المعنيين، كما ورد في لسان العرب :((اللسان : جارحة الكلام... واللِّسَنُ، بِالتَّحْرِيكِ: الْفَصَاحَةُ. وَقَدْ لَسِنَ، بِالْكَسْرِ، فَهُوَ لَسِنٌ وأَلْسَنُ، وَقَوْمٌ لُسْنٌ. واللِّسْنُ: جَوْدَة اللِّسَانِ وسَلاطَتُه))[٣]، ومنه أيضاً: (((اللسان)، بالكسْرِ: (المِقْوَلُ)، أَي آلَةُ القَوْلِ))[٤].

فلم يكن الشارح بدعاً في إيراده لهذه المعاني، فلفظة (اللسان) استعملها الإمام(عليه السلام) للتعبير عن الجارحة، فاستعار الصباح للشخص المتكلّم وناسب إثبات النطق له، ولسان الصباح: إمّا الشمس عند طلوعها، وإمّا عمود الفجر الذي هو النور المرتفع عن الأفق قبل طلوع الشمس. ويرجّح الباحث المعنى الثاني لأنه عادةً ما يكون الوقت الملائم للدعاء، وهو دُبر صلاة الفجر؛ ولأن عمود الفجر يسبق الشمس في الشروق فهو الأول في الظهور .

وحاصل المعنى:((**أنّه دعا ونادى الذي أخرج لسان الصباح بأن جعله مُشرقاً مضيئاً للعالم، معرباً لما فيه من الأشياء، كالنطق الذي هو معرب لذات الصدور، أو بإظهار نوره وأعتراض ضوئه**))[٥].

خَلْق

وذلك في شرحه لقول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) :((**وَ تَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ**))[٦].

قال الشارح : ((**الخَلْق في الأصل: مصدر بمعنى التقدير، يقال : خلقت الاديم للسقاء إذا**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٩.

(٣) لسان العرب: ١٣/٣٨٥-٣٨٦(لسن) .

(٤) تاج العروس: ٣٦/١١٢(لسن).

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٢٣.

(٦) المصدر نفسه:٤٥.

قدّرته قبل القطع، ثمّ استعمل في إيجاد الشيء وافشائه على غير مثال سبق، فقيل : خلق الله الأشياء خلقا باعتبار الايجاد على وفق التقدير الذي أوجبته الحكمة، ثم أُطلق على المخلوق من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا))[1].

جاء في لسان العرب : ((وأَصل الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ، فهو باعْتبار تقديرِ ما مِنْهُ وجُودها وبالإعتبار للإيجادِ على وفق التّقدير خالقٌ. والخَلْقُ فِي كلام العرب: ابتِداع الشَّيْءِ عَلَى مِثال لَمْ يُسبق إليه: وَكُلُّ شَيْءٍ خلَقه اللَّهُ فهو مُبْتَدِئه عَلَى غير مثالٍ سُبق إليه))[2].

وهذا يعني انّ أصل لفظة (الخلق) هو التقدير، وهو المعنى الحقيقي لها في أصل الاستعمال، ثمّ انتقلت دلالتها من باب المجاز المرسل لتدّل على المخلوق أو الخلائق التي أوجدها الله تعالى، ((يُقال: خَلَقَ الأَدِيم، إذا قدَّرهُ قبل القَطْع وبابهُ نَصَرَ. و(الْخَلِيقَةُ) الطَّبِيعةُ والجمع (الْخَلَائِقُ). و(الْخَلِيقَةُ) أيضاً الْخَلَائِقُ يقال: هُمْ خَلِيقَةُ اللَّه وهُمْ خَلْقُ اللَّه وهو فِي الْأَصْلِ مصدر))[3]. وبهذا انتقل مجال الدلالة مجازاً، واصبح هو الغالب في الاستعمال للدلالة على المخلوق[4]كما في قوله تعالى:﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[5]، أي: مخلوقه.

والذي يستشفّه الباحث من خلال التعرض لسياق الدعاء، أنّ الإمام (عليه السلام) عبّر عن الفارق بين الخالق والمخلوق، بعبارة التنزه لإنّ التنزّه هو التقديس والتبعيد ايضاً، أي: أنّه تعالى يُباعَد او بَعُدَ عن أنْ يكون من جنس مخلوقاته.

الشرف

جاء في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ**))[6]، إذ قال : ((**شرف ككرم فهو شريف... واصله من الشرف، وهو المكان العالي، ثمّ أُستعمل في القدر والمنزلة مجازاً**))[7].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٤٨.
(٢) لسان العرب: ١٠/٨٥(خلق).
(٣) الصحاح: ١٤٧٠(خلق).
(٤) ينظر: الكليات:٨١٤.
(٥) لقمان: ١١.
(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٧٢.
(٧) المصدر نفسه: ٧٣.

قال ابن فارس : ((الشين والراء والفاء، أصل يدلّ على علوٍّ وارتفاعٍ، فالشرف: العلو، والشريف : الرجل العالي...والمشرَف : المكان تشرف عليه وتعلوه . ومشارف الأرض أعاليها))[١]. وكذلك قول الزمخشري : ((ش ر ف :علا شرفاً من الأرض، وعلوا أشرافاً وهو المكان المشرف ... ومن المجاز: لفلان شرف وهو علو المنزلة، وهو شريف من الأشراف))[٢].

نخلص من ذلك كله، ومما ذكره الشارح، أنّ لفظ (شرف) قد انتقل من دلالة حسيّة وهو المكان المرتفع العالي من الأرض إلى دلالة مجرّدة بمعنى القدر والرفعة والمنزلة من باب المجاز، وقد سوّغ هذا الانتقال هو الاستعمال، فيقال مثلاً : فلان شريف، أي: عالي المنزلة . والمراد هو علو منزلة وجوده المقدس(صلى الله عليه وآله) وأشرفية رسالته على باقي الرسالات من حيث إنها أطول الرسالات، وأمته آخر الأمم ودينه آخر الأديان.

واهاً

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَواهاً لَها لِما سَوَّلَتْ لَها ظُنُونُها وَ مُناها، وَ تَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلى سَيِّدِها وَ مَوْلاها**))[٣].

من الألفاظ التي انتقلت دلالتها بفعل الاستعمال والتي وردت في هذا المقطع من الدعاء لفظة (واهاً)، وهي للتلهّف، والتوجّع، والإعجاب، قال الشارح : (("**واهاً**" **في الأصل من الأصوات الجارية على لفظ الإنسان، ثمّ نُقل إلى باب المصادر ولزمته المصدرية من غير أن يصير اسم فعل، فحكمه حكم المصادر، وهو للتعجب وفي الحديث:((مَنْ أُبتلي فصبر واهاً واهاً))[٤].قيل: معنى هذه الكلمة التلهّف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء يقال: واهاً له، وقد ترد بمعنى التوجّع . وقيل: التوجّع يقال فيه آهاً، ومنه حديث أبي الدرداء: ((ما أنكرتم من زمانكم فيما غيّرتم من أعمالكم، إنْ يكن خيراً فواهاً واهاً، وإن يكن شرّاً فآهاً آهاً))**[٥]

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٦٣/٣ (شرف).

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٥٠٣(شرف).

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح ١٢٧-١٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٥٥.

(٥) المصدر نفسه: ٩٥٥.

وفي كتب الأدب في أفعال التعجّب(واهاً) كلمة تُستعمل في التعجّب، منصوبة على المصدريّة، ولم يجيء فعلها عند الأكثر . وقال الجوهري:((تعجّبت عن طيب الشيء ، فقلتُ : واهاً له ، أي: ما أطيبه))[١]))[٢].

وهذه المعاني التي ذكرها الشارح، أشار إليها أصحاب المعجمات اللغوية، فمن معانيها: التعجّب، وتكون للتفجّع، ومنها أنها تكون للتلّهف والاستطابة[٣]((واهاً أيضا: (كَلِمةُ تَلَهُّفٍ) وتَلَوُّذٍ))[٤].

ويشير أنّ أصلها اسم صوت للتوجّع من باب تسمية الشيء باسم صوته، ثم انتقلت دلالتها إلى باب المصادر، فاصبحت اسم مصدر يدّل على التعجّب والإعجاب، والتلهّف، والتوجّع من الشيء [٥]، والمراد هنا–كما يرى الباحث– للتعجب، أي: عجباً لنفس سولت لها ظنونها ومناها!

المَحْل

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((كَلاّ وَحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ المُحُول))[٦]، قال الشارح : ((والمُحُول كالفُحُول جمع محلّ، وهو الجدب، وفي الأصل انقطاع المطر، ارض محْل، وزمن مَحْل وماحل))[٧].

و(المَحْل) في اللغة كما ورد في مقاييس اللغة : ((مَحْل) الميم والحاء واللام أصل صحيح ، له معنيان: أحدهما قلّة الخير، والآخر الوشايةُ والسعايةُ . فَالْمَحْلُ: انْقِطَاع المطر وَيُبْسُ الأرض من الْكَلَأ. يُقَالُ: أرض مُحُول، على فُعُولٍ بالجَمع. قال الخليل: يُحمل ذلك عَلَى الْمواضع. وَأَمْحَلَتْ فهي مُمْحِل. وَأَمْحَلَ القَوْم. وَزمان مَاحِلٌ. والمعنى الآخر مَحَل بهِ، إذا سَعَى بهِ))[٨].

---

(١) الصحاح: ١٢٧٤(ووه).

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٧.

(٣) ينظر: معجم العين: ٤٠٧/٤ (ويه)، وتاج العروس:٣٦/ ٥٥١(و و ه).

(٤) تاج العروس: ٥٥٢/٣٦ (و و ه) .

(٥) ينظر: الإيضاح في شرح المفصّل: ٥٠٧/١، شرح ملاّ جامي(الفوائد الضيائيّة): ٧٧/٢.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٣.

(٧) المصدر نفسه: ١٤٤.

(٨) معجم مقاييس اللغة: ٣٠٢/٥(محل)، و ينظر: الصحاح:١٠٦٦ (محل).

اشار الشارح إلى أن أصل لفظة (المَحْل) إنقطاع المطر، ثم استعملت في الدلالة على الجَدْب، وهو موافق لما ذكرته معجمات اللغة. فيكون ذلك انتقالاً دلالياً؛ لأنه مجاز مرسل علاقته سببية؛ فانقطاع المطر يؤدي إلى الجدب ويباس الأرض، ثم يُطلق على القَحْط وانقطاع الخير.
والمراد هنا كما يرى الباحث: إنّ حياضه وينابيع ماء جوده تعالى ممتلئة في وقت القحط والجدب، ففيضه لا ينقطع ولا يبيد.

الوَلاَء

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَعَلّقْتُ بِأَطْرافِ حِبالِكَ أَنامِلَ وَلائي**))[1]. إذ قال: ((**والوَلاَء بالفتح أصلها القرب والدنو، ويطلق على وَلاءِ العتق، وهو تقرّب أحد الشخصين بالآخر على وجه يورث الإرث بغير نسبٍ ولا زوجيّة**))[2].

ورد في معاجم اللغة : ((وَليَ : الواو واللام والياء : أصل صحيح يدلّ على قرب، من ذلك الوَلَي : القرب ... وكلّ من وَليَ أمراً آخر فهو وَليّه ...والوَلاَء : الموالون، يقال هؤلاء ولاء فلان . والولاء أيضا: ولاء المُعْتِق، وهو أن يكون وَلاؤه لمُعْتِقِه، كأنه يكون أولى به في الإرث من غيره إذا لم يكن للمُعْتِق وارث نسب))[3]، وجاء في لسان العرب: ((وَلاء العِتْق، وهو إذا ماتَ المُعتَقُ وَرِثَهُ مُعْتِقه أو وَرَثَةُ مُعْتِقه، كانت العرب تَبِيعُهُ وتَهَبُه، فنهى عنه؛ لأن الوَلاءَ كَالنَّسَبِ فلا يزول بالإزالة))[4].

و(ولاء العتق) في مصطلح أهل الفقه هو((من آثار العتق، مأخوذ من الولي بمعنى: القرابة يقال: بينهما ولاء أي: قرابة حكيمة حاصلة من العتق أو الموالاة))[5].

ونلاحظ مما أورده الشارح، أنّ لفظ (الولاء) قد انتقل من الدلالة على القرب والدنو إلى الدلالة على حقيقة شرعية وهي (ولاء العتق) عن طريق الاستعمال المجازي؛ وذلك لشدّة المشابهة بين الدلالتين في أنّ كلتيهما تدّل على القرب. فشبّه الإمام (عليه السلام) الولاء بالشخص الإنساني

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣١.
(٢) المصدر نفسه: ١٣١.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٤١(ولي)، وينظر: الصحاح: ١٢٧٠ (ولي).
(٤) لسان العرب ٤٠٣/١٥ (ولي).
(٥) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي:٩٨/١.

واثبت له الأنامل في الإلتجاء إلى الله تعالى والتعلق بأطراف حباله والقرب منه، أي: محبتي وطاعتي وأنقيادي لك يارب؛ لأنك وحدك المستحق الربوبية[١].

الباب

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : ((**وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَ الْوُغُولِ**))[٢]، قال الشارح: ((**الباب مدخل الشيء، وأصله مداخل الابنية، كباب المدينة والدار، ثمّ تجوّز فيه فاستعمل فيما يتوصّل به إلى الشيء، ومنه :((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها))[٣]يعني : به يتوصّل اليه**))[٤].

لاحظ الشارح هنا أنّ أصل لفظة (الباب) كان يدلّ على مداخل الابنية مثل باب الدار ونحوه، ثمّ انتقل عن طريق الاستعارة إلى مداخل الأشياء فغدا عن طريق الاستعمال يطلق على ما يتوصّل به إلى الشيء مجازا لوجود علاقة تشابه بين المدلولين.

وقد اشارت المعجمات اللغوية إلى أصل هذه اللفظة، منها ما جاء في تاج العروس : ((والباب، أي بمعنى المدخل والطّاق الذي يُدخَل منه وبمعنى ما يُغلقُ به، ذلك المدخل من الخشب وغيره ... وكانت البيوت ذوات أبواب استجاز ان يجعل له باباً))[٥].

وحاصل المعنى كما ذكره الشارح: ((**وأبواب المغفرة هي الأسباب التي بها يتوصّل إليها، أي: باب رحمتك، وفضلك، وإحسانك، وجودك، وامتنانك، بحذف المضاف،...أو شبّه المخاطب (جلّ طَوله وعمَّ نَوله) بالجواد المحسن الكريم، فأثبت له باباً مفتوحاً لطلب الطالبين ودخول الراغبين، ليستفيضوا من كرمه، وينتفعوا من نِعَمه...**))[٦].

فباب الله تعالى مفتوح لمن طلبه ولمن لم يطلبه، أي: أنّه مأذون للدخول من الباب الى ساحة وميدان الكرم الآلهي حتى لِمَن لم يُدع الى الدخول، وهذا يعني سعة رحمته تعالى بحيث لا يستطيع أحد أنْ يُحدد مداها غير المحدود.

---

(١) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٦٢.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٦.

(٣) حديث متواتر بين الفريقين.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٦.

(٥) تاج العروس: ٤٨/٢(بوب)، وينظر: لسان العرب:٢٢٣/١(بوب)، والصحاح: ١٢٠(بوب).

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٦.

الصمم

وذلك في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**وَأَنهرْتَ الْمِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخيدِ عَذْباً وَاُجاجاً**))[1]. قال الشارح :((**والصمم: صلابة حاصلة من اكتناز الأجزاء وتضامّها، ومنه قيل : حجر صمّ، أي: ليس فيه تجاويف، وقناة صمّاء، أي: رمح مُصْمَت غير مُجوّف كالقصب وصِمام القارورة بكسر الصاد وما يشدّ به، ثمّ سُمّي به فقدان حاسّة السمع؛ لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزاً لا تجويف فيه، يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموّجه**))[2]. واصل الصمم كما ذكره أصحاب المعجمات :((صَمَّ: الصَّادُ وَالْمِيمُ أصل يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيءِ وَزَوَالِ الْخَرْقِ وَالسَّمِّ. مِنْ ذَلِكَ الصَّمَمُ فِي الْأُذُنِ))[3].

فقد ذكر الشارح أنّ لفظة (الصمم) في الأصل تدلّ على الصلابة والتضام في الشيء، ثم استعملت من باب المجاز في فقدان حاسّة السمع فيسمى (الصمم)، والعلاقة التي سوّغت هذا الانتقال هي علاقة المشابهة بين المدلولين في الصلابة وتضام الأجزاء. وللشارح احتمالان في المعنى على وفق اختلاف إعراب المنصوب(عذباً وأجاجاً) هما: النصب على الحاليّة، فيكون معنى الكلام : أجرى المياه من الأحجار الشديدة الصلابة حال كونها قسماً عذباً وقسماً اُجاجاً.

والمعنى الآخر: النصب على التمييزيّة، أي: أجريت المياه من الصخور الصمّاء الشديدة المتماسكة، مياه عذبة طيبة سائغة للشاربين، ومياه مالحة لا يمكن أن تساغ أو تذاق في البحار والمحيطات وهذا الاحتمال هو الأولى كما يرى الشارح. جريت المياه من الصخور الصمّاء الشديدة المتماسكة، مياه عذبة طيبة سائغة للشاربين، ومياه مالحة لا يمكن أن تساغ أو تذاق في البحار والمحيطات.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة :٢٧٧/٣ (صم).

السماع

أشار الشارح إلى انتقال دلالة هذا اللفظ حين وقف عند قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام):((**وَاسمعْ نِدائِي**[1]))[2]، فقال : ((**سماع : قبول واجابة ...وهو في الاستعمال شائع...قال بعض العلماء : أصل السماع الاصغاء، لكنّهم استعملوه في الإجابة وقبول الأمر كثيرا، كما تقول : سمع فلان ما قلت له، ومنه سمع القاضي البيّنة، أي: قبلها**))[3]

السماع اصله من الفعل (س م ع)، والسمع في اللغة : ((هو إيناسُ الشيء بالأذُن من الناس وكلِّ ذي أُذن))[4]. كقولك: سَمِعْتُ الشيءَ سَمْعاً وسَمَاعاً واستَمَعتُ كذا، اذا أصغيتُ[5]. ومنه الاستماعُ، أي: الإصغاء[6]. والفرق بين السماع والاستماع هو ((أنّ الاستماع هو استفادةُ المسموعِ بالإصغاء إليه لِيُفْهَم، ولهذا لا يُقال: إنّ الله يستمع . وأمّا السماع فيكون اسماً للمسموع، يقال: لما سمعته من الحديث : هو سَماعي، ويقال: للغناء سَماع ويكون بمعنى السمع، تقول: سمعت سماعاً كما تقول: سمعت سمعاً، والتَسَمُّع: طَلَبُ السَمْعِ))[7]. فقد ذكر الشارح ان معنى لفظة(السماع) هو الإصغاء إلاّ أنه غلّب في الاستعمال العرفي على القبول والإجابة، وقد أشار ابن منظور إلى هذه الدلالة التي اختصت بها هذه اللفظة، فقال : ((السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ **إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا**﴾[8]؛ أَي مَا تُسمع إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِهَا، وأَراد بالإِسماعِ هَاهُنَا الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِمَا يَسْمَعُ، لأنه إِذا لَمْ يَقْبَلْ وَلَمْ يَعْمَلْ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ... وَقَدْ تأْتي سَمِعْتُ بِمَعْنَى أَجَبْتُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، أَي: أَجاب حَمْده وَتَقَبَّلَهُ. يُقَالُ: اسمعْ دُعائي، أَي: أَجِبْ؛ لأن غَرَضَ السَّائِلِ الإِجابةُ والقَبُولُ))[9].

---

(١) في بعض النسخ : (واستمع).

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢٠٢.

(٣) المصدر نفسه:٢٠٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١٠٢/٣(سمع).

(٥) ينظر: الصحاح: ١٢٣١.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القران:٢٤٣.

(٧) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري :٥٠.

(٨) النمل : ٨١.

(٩) لسان العرب: ٣٦٤/٦(سمع).

ويرى الباحث أنّ الانتقال في لفظة(السمع) هو حصول تطوّر دلالي في اللفظة، فانتقل معناها من السماع والإصغاء أو إسماع الصوت إلى القبول والإجابة، يفسرها سياق اللفظة. والمراد هنا: استمع ندائي واستجب دعائي، فالله تعالى سميع الدعاء لا يخفى عليه خافية، سامع كل صوت ومدرك كل فوت.

الفصل الثالث

الدلالة السياقيّة

السياق:

السياق لغة: من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقاً وسياقاً)، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع ، جاء في لسان العرب: ((سَوَقَ: السوق: معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائق وسواق...وقوله تعالى: ﴿ **وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾[١]، قيل في التفسير: سائق يسوقها إلى محشرها... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت))[٢].

أمّا في الاصطلاح فهو: ((الجمل المحيطة بالتركيب، أي: الجمل التي تسبقه، والجمل التي تتلوه))[٣] ، أو هو: ((ذلك الجزء من الكلام المكتوب أو المقول الذي يتبع كلمة ما في القطعة، يؤدي إلى المعنى، وبدونه لايمكن أن يُفهَم ذلك المعنى))[٤].

فعلى الرغم من دقة المعجمات وشمولها في منحنا دلالات كثيرة للكلمة الواحدة او تعيينها لبعض المواضع التي تستخدم فيها تلك الدلالات، غير أنّ المعجمات لاتفي بالغرض إذا ما رغبنا في حصر دقيق للدلالة بحسب السياقات وتنوعها أو المواقف الكلامية التي تستخدم فيها عبارة الكلام[٥]. ولذلك فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترِد فيها حتى ما كان منها غير لغوي؛ لأن معنى الكلمة يتعدل تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها اللفظة[٦]، وفي هذا يقول (فندريس) إن الذي يعين قيمة الكلمة في الحالات كلها: ((إنّما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها))[٧]؛ ذلك لأنه ما من معنى مقبول أو حقيقي إلا ذاك المتمثل في نص معطى.

---

(١) مريم: ٢٥.

(٢) لسان العرب: ٦/٤٣٤-٤٣٥ (سوق).

(٣) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي: ٢٠١.

(٤) معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصّار: ١٦٠

(٥) ينظر: علم الدلالة العربي: ٢١٧-٢١٨.

(٦) ينظر: علم الدلالة (عمر) :٦٩

(٧) اللغة: فندريس:٢٣١.

ونظر (فيرث) إلى المعنى من خلال السياق الذي يتشكّل فيه الحدث الكلامي[١] فتتأكّد الوظيفة الاجتماعية للغة، إذ يحتوي السياق على الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة، كما ينبغي أن يشمل –بوجه من الوجوه – كل ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، فالتحليل الدلالي السياقي للألفاظ يكون عن طريق ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات ،أي: سياقات كل واحد منها ينضوي ضمن سياق آخر، ولكل واحد منها وظيفة بنفسه، وهو عضو في سياق أكبر، وفي كل السياقات الأخرى، وله مكان خاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة[٢].

وعليه يُقسم أصحاب النظرية السياقية السياق إلى عدة أنواع[٣]وما يهمنا من هذه التقسيمات، نوعان هما: السياق اللغوي، وسياق الموقف أو الحال .

١- **السياق اللغوي:** ويراد به نسق الكلام، إذ ترتبط الكلمات في السِّياق بعلاقاتها بما قبلها وما بعدها[٤]، فمن هنا يهتم السياق اللغوي بدراسة مستويات الكلام اللغوية الصوتية، والصرفية، والنحوية والدلالية. فيشرح مفردات الكلام ومدلولاتها، وتظهر قيمتها الدلالية بحسب وضعها في السياق وتعالق بعضها ببعض، ويتصل هذا المعنى بالوحدة المعجمية عندما تستعمل في سياقات متعددة، فيظل معناها وهي منفردة مهيمناً على معناها داخل هذه السياقات[٥].

وقد التفت المعجميون القدماء والمحدثون إلى أهمية السياق اللغوي في تبيين معاني المفردات وإيراد المادة اللغوية مقترنة بسياقها، ومن أمثلة ذلك، ما ذكره الخليل: ((عارت العين تعار عواراً ، وعورت أيضاً واعورت يعني ذهاب البصر... ويقال: ترد على فلان عائرة عين من المال، وعائرة عينين، أي: ترد عليه إبل كثيرة...وعور عين الركية: أفسدها...وسهم عائر: لايدرى من أين أتى...وقصيدة عائرة: سائرة، وتعاورت الرياح رسماً حتى عفته، أي: تواظبت عليه))[٦].

حيث نجد أن معاني(عور) قد تعددت بتعدد السياقات التي وردت فيها ، وأن كل معنى صار محدداً بسياق معين ومميز من غيره، ويستطيع القارئ أن يعرفه ويدركه من النص الذي يرد فيه.

---

(١) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية، عبدة الراجحي: ١٦٧، وعلم الدلالة(عمر):٦٩.

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٥٧-٦٠.

(٣) ينظر: علم الدلالة (عمر): ٦٩.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان:٢٣٢.

(٥) ينظر: علم الدلالة (عمر) :١٦٣، والنحو والدلالة، محمد حماسة لطيف :١١٧، ومنهج البحث اللغوي، علي زوين:١٨٥.

(٦) كتاب العين:٣/٢٥١(عور).

٢-**سياق الحال:** ويقصد به السياق الخارجي للغة، ويشمل كل ما يحيط باللفظ من عناصر غير لغوية تتصل بالمكان والزمان أو شخصية المتكلم أو المخاطب أو الحركات والإشارات التي تُسهم في تحديد دلالة الكلمة(١).

ويتأتى دوره من كون أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يعبر بها الناس عن أفكارهم وحاجاتهم، ولذلك فهي متأثرة بالمحيط الخارجي لها، وبالتالي فاللغة تستخدم وسيلة تعبيرية تأثيرية وهي ليست شيئا مجردا عن الواقع الذي توجد فيه بل أن وظيفتها هي التفاعل مع هذا الواقع، ولذلك كانت اللغة كائناً حياً كالإنسان سواء بسواء(٢).

السياق عند اللغويين والبلاغيين

لقد أدركَ علماؤنا الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، إذ وجدوا أنّ ظاهر الألفاظ المُفردة لا يُعين على فهم النصوص فهماً صحيحاً، في تبيين معاني الكلمات، إذ حرصوا على إيراد المادة اللغوية مقترنة بسياقها فعُني اللغويون وكذلك البلاغيون منهم في دراسة السِّياق، فتجلّى ذلك عند اللغويين بصورة خاصة في كتب الأضداد، والمشترك اللفظي، حيث تُعطي هذه الظواهر أهمية بالغة في تحديد المعنى المراد وتوضيحه؛ لأنّ معاني الألفاظ المشتركة والمتضادّة متعددة، ولايحددها إلا السياق الذي تردُ فيه، مما يعطيها بعدها الدلالي الخاص بها، بعيداً عن الغموض والالتباس، وعرفوا ما يسمى في الدراسات الحديثة بسياق الموقف، و أطلقوا عليه (الحال) أو(الحال المشاهدة)، وكانت لهم في هذا الجانب إسهامات واضحة حيث تحدثوا عن أطراف الموقف اللغوي – متكلم ومخاطب–، وموضوع الحديث، والعلاقة المعرفية بينهما(٣).

فقد أولى سيبويه لكلٍّ من (السياق اللغوي) و(سياق الحال) اهتماماً كبيراً، يتضح ذلك من استعانته بالسياق اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب، فمن ذلك: الاستغناء عن تكرار(كلّ) في قول الشاعر:

أكُلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا

بجر (نارٍ) والتقدير(وكلَّ نارٍ)؛ وذلك: ((لذكرك إياه في أوّل الكلام، ولقلة التباسه على المخاطب))(٤).

---

(١) ينظر: علم اللغة (السعران):٣١٠-٣١١.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب:١٢٦.

(٣) ينظر: علم الدلالة العربي: ٣٣.

(٤) الكتاب:٦٦/١.

فقد اعتمد على عنصر لغوي ذُكر في جملة سابقة للدلالة على العنصر المحذوف في الجملة الثانية، وجعل ذكر العنصر الأول سببا في عدم التباس المعنى على المخاطب.

وأمّا عنايةُ البلاغيِّين بالسِّياقِ فقد كانت واضحة، وتمثل لديهم في اتجاهين:

الأول : مفهوم السياق الذي يقوم على أساس أنّ الكلمة لا قيمة لها في حالة إفرادها، وإنّما يكون حُسنُها ورداءتُها في نظمِها، قال عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ): ((إنّ الألفاظ لا تتفاضَل من حيثُ هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وإنّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ، وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك في مَوضع، ثمّ تراها بعينها تثقُل عليك وتوحِشُك في مَوضع آخر))[١].

والآخر: العناية بسياق الحال، وذلك بربطهم الصياغة بالسياق وتأكيدهم قاعدة : (لكلّ مقامٍ مقالٌ)[٢]، وضرورة مراعاة البليغ لمُقتضَيات الأحوال والمَقامات مثل حال المتكلّم، والمُخاطَب، والظروف الزمانيّة والمكانيّة والاجتماعيّة والنفسيّة المُحيطة بهما[٤].

ولَعَلَّ عناية البَلاغيِّين قد انصبت على المقام أو سياق الحال، إلا أنَّ هذا لا يعني إهمالهم للسِّياق اللُّغوي، (فنظرية النظم) عند عبد القَاهِر الجُرجاني، قامت على مفهوم السِّياق اللُّغوي، وبَيَّنَ أنَّ اللفظَ يكتسبُ معناهُ من التَّركيبِ، إذْ قال: ((إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاعُ اللغة لم توضع لتُعَرف معانيها في أنفسِها، ولكن لأنْ يضم بعضها إلى بعض، فَيُعرف فيما بينَها فوائد))[٣]. فضلاً عن اهتمامه بـ(سِياقَ الحَالِ) أو (المقام). فهو يربطُ الكلام بمقام استعماله، لذا ((كانت مبادرة العَلامَّة عبد القَاهر الجُرجَاني بدراسةِ النظم وما يتصلُ بِهِ من بناءٍ وتَرتيبٍ وتَعليقٍ من اكبرِ الجهود التي بذلتها الثَّقافة العربيَّة قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السِّياقِ أو التَّركيبِ))[٤].

ويتَّضح مِمَّا سبق أنَّ العلماء العرب سَبقوا الغرب في تحديدِ مصطلح السِّياق بشقيهِ (اللُّغويّ والحَاليّ)، فقد أوجبوا أنْ يأتي الكلام على صفاتٍ مَخصوصَةٍ ونماذج معينة، تبعاً لِمقامه، ومقتضيات حاله[٥].

وقد أفاد الغربيون المُحدَثون من تراث العرَب ومن عِلمهم الغزير في ميدان السياق الدلالي، وتوجّهوا للعناية به ودراسة أثره في فَهم المعنى ، وأعانَهم في ذلك تطوّر وسائل البحث

---

(١) دلائل الاعجاز، الجرجاني: ٤٦ .

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠.

(٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ٣٠٦.

(٣) دلائل الإعجاز: ٥٣٩.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٧

اللغوي واكتشاف كثيرٍ من الحقائق اللغويّة المُهمّة، ولا سيّما في علمَي الدَلالة والأصوات . لذا عَمَدَ (فيرث) إلى صياغة نظرية السياق الحديثة التي صارت فيما بعد مُرتكزاً لأصحاب المنهج السياقي[١].

وقد أوْلى المحدثون عنايةً خاصّةً بالسياق في تفسير الحدَث الكلامي فهو لدى فندريس المُعين على تحديد قيمة الكلمة؛ لأنّه يُحدّدها ويُجرّدها من كلّ الدَلالات التي يمكن أن تتبادَر إلى الذهن عند سَماعها منفردة[٢]. كما أنّه لدى ستيفن أولمان وحدَه القادر على مساعدتنا في إدراك المتبادل بين المعاني الموضوعية والعاطفية والانفعالية ، ولذا فهو يَعدّ نظرية السياق حجرَ الأساس في دراسة المعنى[٣].

ومن مباحث الدلالة السياقية التي وردت في الشرح:

---

(١) علم الدلالة (عمر):٦٨-٧١.

(٢) اللغة، فندريس: ٢٢٨-٢٣١.

(٣) دور الكلمة في اللغة:٥٩.

المبحث الأول

دلالة السِّياق بين الصيغ الصرفية

لما كان الصرف يعنى بدراسة أبنية الكلمات وما يطرأ عليها من تغيرات تبعاً لأحوال الكلمة المختلفة، كان لابدّ من دراسة هذه الأبنية في أدعية أهل البيت (عليهم السلام) .

فاجتهد علماء اللّغة في استنباط المعاني للصيغ الصرفية، فقد تحدث سيبويه عن دلالات الصيغ، وعقد في ذلك أبواباً كثيرة منها: باب افتراق (فَعَّلْتُ، و أَفْعَلْتُ) في الفعل للمعنى، وباب دخول (فَعَّلْتُ على فَعَلْتُ)، لا يشركه في ذلك (أَفْعَلْتُ)، وباب دخول الزيادة في فعلت للمعاني، وباب (اسْتَفْعَلتُ)، وباب موضع (افْتَعَلْتُ) وباب (افْعَوْعَلت)، وما هو على مثاله مما لم نذكره[١] .

من ذلك ما ورد في الشرح:

- **صيغة (فعّال) :**

صيغة المبالغة هي في الحقيقة مبالغة لاسم الفاعل وهذه الصيغ: فعّال، ومِفْعال، وفَعول، وفَعيل، وفَعِلٌ[٢] ، نحو: طعّان، ومِقدام، وعَجول، ورحيم، وحذِرٌ، وهي صيغ قياسية، وهناك صيغ سماعية: فِعّيل، وفعّالة، ومفعيل، وفُعّال، وفُعُّول، وفيعول، وفاعول كَصِدّيق ، وفهّامة، ومسكين، وكُبّار، وقُدّوس، وقَيُّوم، وفاروق [٣] . فصيغة فاعل هي الأصل وإنّما عدل عنه إلى (فعّال) للمبالغة ، فإذا لم يرد به المبالغة يؤتى به على الأصل؛ لأنه ليس فيه تكثير[٤] . فيقال : رجُل قتّال، إذا كان يُكْثِر القتل، فأمّا قاتل فيكون للقليل والكثير؛ لأنه أصلٌ [٥] .

وقد استعملت صيغة (فعّال) التي هي للمبالغة في الأصل للدلالة على النسب، وللدلالة على صاحب الحِرفة ، فلم يأتوا بياء النسبة، لكنهم يبنون بناء يدل على نحو ما دلّ عليه ياء النسبة، كقولهم لصاحب البزّ: بزّاز ، ولصاحب الجِمال: جمّال .

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَأَتْقَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوّارِ فِي مَقادِيرِ تَبَرُّجِهِ**))[٦].

قال الشارح:((**والدوّار من أبنية المبالغة، وهو مايكون من حق الإسناد أن يُسند إليه سواء كان فاعلاً حقيقيّاً أو علّة**))[٧]، ثمّ ذكر بعد ذلك تحديد الأفلاك، وما المقصود بـ(الفلَك الدوّار)،

---

(١) ينظر: الكتاب(الفهارس): ٤/٤٨٧-٤٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١/ ١١٠ -١١١ .

(٣) ينظر: المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا: ١/ ٨٥ .

(٤) ينظر: الكتاب: ١ /١١٠.

(٥) ينظر: المقتضب: ٢/١١٣.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٢٩.

(٧) المصدر نفسه: ٣١.

فاختار هذه اللفظة لأن السياق يقتضي إثبات الخالق جلّ وعلا فقال: ((**ويُسمّى في الشرع بالكرسي، ومن ورائه الفَلَك المحيط؛ لإحاطته بجميع الأفلاك، ويُسمّى : فَلَك الأفلاك، والفَلَك الأعظم، والفَلَك الأطلس لأنه غير مكوكب: إمّا لخلوّه من الكواكب، أو لعدم إدراكنا لما فيه منها إن كان، وهو المسمّى بالعرش المجيد في لسان الشرع. وهذا الفَلَك دائم الدوران، كالدولاب يدور من المشرق إلى المغرب فوق الأرض وبالعكس تحتها في كلّ يوم وليلة دورة، ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه، كما قال عزّ اسمه** ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]. **وسائر الأفلاك يدور كلّ منها بحركة مختصّة به من المغرب إلى المشرق فوق الأرض، وبالعكس تحتها، بدليل أن الهلال يُرى في الليلة الواحدة في مكان، وفي الثانية ينتقل إلى مكان آخر آخذاً إلى جهة الشرق، وهكذا، إلى آخر الشهر حتى يتمّ بفلكهِ الدّورة، وهي أن يعود إلى النقطة التي كان عليها أولاً. فكان لكلّ من الأفلاك الثمانية دورتان ذاتيّة، وهي التي من المغرب إلى المشرق، وقسريّة، وهي التي من المشرق إلى المغرب، وشبّهوا ذلك بنملة على رحى، والرحى تسعى إلى جهة اليمين مثلاً ، والنملة إلى جهة اليسار، فللنملة حركتان : ذاتيّة، وقسريّة. وأنّما سُمّيت هذه الحركة العظمى قسريّة؛ لأنها تقسر الأفلاك، وتدور بها إلى غير جهة حركتها الذاتيّة عكساً، وهذه الحركة هي التي يُرى بها الشمس كلّ يوم في شروق وغروب، وإلاّ فَفَلَكتها لايتم الدورة إلا في قريب من سنة.**

إذا عرفت هذا فالمراد بالفَلَك الدوّار في عبارة الدعاء: إمّا الفَلَك الأعظم،وأنّما عبّر عنه به لكثرة دورانه كما سبق، أو جميع الأفلاك عموماً، كما أومأنا إليه. أو السيّارات السبع خاصّة، إذا أُريد بالدوران والمبالغة فيه ما يَعمّ الذاتي والقسري، وهو الأنسب بعبارة الناموس الإلهي؛ لأن الأول مع أنه لايناسبه قوله: ((في مقادير تبرّجه))، وإن ناسبه وصفه بكثرة الدوران ، لايُسمّى بالفَلَك بلسان الشرع، وقد عرفت حقيقة الحال وحقيّة المقال، فتذكّر))[2].

نرى أن الإمام (عليه السلام) استعمل كلمة (الدوّار) في سياق الدعاء لتدّل على حالة دوران الكواكب والنجوم في افلاكها ومداراتها، فجاءت مُلائمة تماماً للمعنى المراد . وعلى هذا الأساس جاءت صيغة (فعّال) الدالة على المبالغة معدولة عن (اسم الفاعل). بحيث لو استبدلنا كلمة(الدائر) مكان (الدوّار)، لاختل نسق الكلام وذهب رونقه وجماله الصوتي ولأختفى ذلك الإيحاء الذي نحصل عليه من كلمة (الدوّار) التي تشير الى كثرة الدوران في حدوثه.

---

(١) يس: ٤٠.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٣٥-٣٦.

- **صيغة (مفاعلة)**

ذكر الشارح هذه الصيغة في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلانُكَ اِلى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمانُ))[١]،

إذ قال: ((**والمحارَبَة: كالمجاهَدَة مصدر من باب (المفاعلة) واقع بين اثنين فصاعداً، يفعل كلّ ما يفعله مع صاحبه مايفعله هو به، وهي من الحرب مستعارة من المجاهدة وهي الجهاد الأكبر المشار إليه بقوله (عليه وآله السلام): ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))[٢]، وهي مجاهدة النفس الأمّارة بالسوء لشهوة البطن والفرج والغضب وسائر الآفات والعيوب. وهي أعدى عدوّ المرء، يستخدمها عقول كثير من الناس فيأمرهم بما يأمرهم. والمحاربة معها بالمجاهدة والرياضة وتصفيّة الباطن، وأركانها الجوع، ثمّ السهر، ثمّ العزلة، ثمّ الصّمت، ثمّ ذكر الله تعالى، وهو عند أهل السلوك كلمة التوحيد. والمحاربة مضافة: إمّا إلى الفاعل، أو المفعول، أي: محاربتهما إيايّ، أو محاربتي إيّاهما، أو محاربة كلّ مع الآخر، على أن يكون المراد بالنفس: النفس اللوّامة أو المُلهَمة))**[٣].

باب المفاعلة: يعني اشتراك طرفي المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، فيكون البادئ فاعلاً صريحًا، والثاني مفعولًا صريحًا، ويجيء العكس ضمنًا؛ أي: إن الغرض من ألف المفاعلة اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ، والاشتراك فيهما من حيث المعنى[٤]، وهو ما أشار إليه الشارح. واشتهر استعمالهما في الدلالة على المشاركة وهو الأغلب في هذه الصيغة، قال سيبويه: ((إعلم أنك إذا قلت فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعل))[٥].

فإن كان المفعول الصريح مفعولًا به للفعل قبل الدلالة على المشاركة، بقي الفعل مع ألف المفاعلة متعديًا إلى واحد؛ نحو: (قَتَل الجنديُّ عدوَّ الله)، و(قاتَل الجنديُّ عدو الله)، وإن كان المفعول غيره صار الفعل مع ألف المفاعلة متعديًا إلى اثنين؛ نحو: (جذبت الثوب وجاذبته الثوب)، وإن كان الفعل لازمًا وجِيء به على وزن فَاعَل، صار متعديًا؛ مثل: جالسته، والمعنى: جَلَس وجلست معه[٦].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١١٤.

(٢) تفسير الكشاف:٤/٢١٤.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١١٤-١١٥.

(٤) ينظر: أبنية الأفعال، نجاة عبد العظيم الكوفي :٥٣.

(٥) الكتاب: ٤/٦٨.

(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الرضي:١/٩٩، وأبنية الأفعال:٥٣.

قال الراغب الأصفهاني : ((ومِحراب المسجد قيل: سُمّي بذلك؛ لأنه موضع محاربة للشيطان والهوى، وقيل: سُمّي بذلك؛ لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريباً من أشغال الدنيا، ومن تَوزّع الخواطر))[1].

يتّضح مما سبق أن زيادة ألف المفاعلة في صيغة الفعل تدل على وقوع الحدث والاشتراك بين اثنين، فجاءت لتُناسِب سياق الدُّعاء وهو طلب العبد العون من ربّه في (مجاهدة النفس والشيطان). فجاء الداعي ليطرح المشكلة ويضعها أمام ربه: ها هو مصيري أضعه أمامك فإن خذلني نصرك عند حاجتي إليه في معركتي مع النفس والشيطان (فقد وكلني خذلانك الى حيث النصب والحرمان)؛ لأنه طريق يسلك به إلى الحشر مع الشيطان في تلك المسيرة وحرمان من عطف الله ولطفه وبُعدٌ عنه جلّ جلاله.

- **مجيء المصدر على صيغة المفعول**

وهو ما أشَارَ إليه سيبويه بقولهِ: ((وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قولك: (لَبَنٌ حَلبٌ)، وإنَّمَا تُريد "مَحلوب"))[2].

ومنه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَأَنْتَ غَايَةُ السُّؤْلِ وَنِهَايَةُ الْمَأْمُولِ))[3].

قال الشارح ((**إن كان جمع سائل، كالقعود والجلوس والفسوق، جمع قاعد وجالس وفاسق، فالمراد: أنه تعالى غاية سؤال السائلين بحذف المضاف، ونهاية آمال الآملين، على أن يكون المفعول بمعنى المصدر، كالفتون في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[4]. وإن كان مصدراً، كالغلول والغَموس والحدوث، فهو بمعنى المفعول، كالخلق والعكس. ويوجد في بعض النسخ (المسؤول) على هيئة المفعول، وهو الأظهر لتتوافق القرينتان، والمراد: كما سلف، أن لكلّ أحد في حوائجهم مطلوباً حتى ينتهي إليه تعالى، فليس فوقه مطلوب، فهو الغاية والنهاية. وهذا وإن كان خبراً لفظاً إلا أنه إنشاء معنى. أي: ينبغي لكل أحد أن يجعل الله تعالى غاية مطالبه ونهاية مآربه،...وبالجملة كلّما كان لله سبحانه من الأفعال والتروك حتّى المباحات، لو قصد فيها لله تعالى وفعلَ توصّلاً إلى عبادته، فهو تعالى غايته...فالإعتبار إذن بالقصد والملاحظة. وبهذا التقرير يظهر أنّ الألف واللام في (المسؤول) و(المأمول) للإستغراق**

---

(١) المفردات في غريب القرآن :١١٢.

(٢) الكتاب: ٤٣/٤.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٧.

(٤) القلم ٦.

الفردي. ويحتمل أن يكون المراد كما سبق، أنّهم يطلبون منه تعالى حوائجهم بعد يأسهم عن المخلوقين))[1].

نلاحظ أنّ الشارح تأوّل لفظ(السؤول)بمعنيين، حسب السياق اللغوي، ثمّ ربط ذلك بنسخة أخرى للدعاء(المسؤول) وتأويل معناه في سياق الدعاء. وبعد ذلك تأوّل كون الجملة إنشائيّة وإن كان اللفظ خبراً وحسب الدلالة السياقيّة.

ونلاحظ ايضاً أن صيغة أسم المفعول هي الأظهر من صيغة المصدر؛ لأنّ صيغة أسم المفعول جاءت حسب السياق لتعميق دلالة قصد العبد لله سبحانه وتعالى في جميع أموره، أي: فانت يااالهي غايتي في سؤالي وليس يوجد غيرك من اتوجه اليه وأسأله في اموري.

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح :١٤٧-١٤٨.

المبحث الثاني

دلالةُ السياق في التَّقديمِ والتَّأخير والحذف

اولاً: السياق ودلالة التَّقديم والتَّأخير

التقديم والتأخير(ظاهرةُ تبادل في المواقعِ، تترك الكلمةُ مكانَهَا، لِتَحلّ مَحلَّها كلمةٌ أُخرى، لتؤدي غَرضَاً بَلاغياً مَا كانتْ لِتُؤديهِ لو أنَّها بَقيتْ في المَكانِ الَّذِي حَكَمتْ فيهِ قاعدة الانْضباط اللُّغوي)[١]. وقد أشار سيبويه لهذهِ الظاهرة بِقولهِ:((كأنَّهم إنَّما يُقَدِمُون الَّذِي بَيانَهُ أهم لَهُم، وَهم ببَيانِهِ أعْنَى، وإنْ كانَا جميعاً يَهُمَانهم ويَعنيَانهم))[٢].

ووصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((وهو بَابٌ كثيرُ الفَوائدِ، جَمُّ المَحاسِنِ، واسِعُ التَّصرُف، بَعيدُ الغايّة، لا يزال يفتر لك عن بَديعةٍ، ويَفضِي بِكَ إلى لطيفةٍ ولا تزال ترى شِعْرَاً يروقكَ مَسْمَعهُ، ويَلطُفُ لَديكَ مَوقعهُ، ثُمَّ تَنظرُ فتَجدُ سَببَ أنْ رَاقَكَ ولَطُفَ عِندَكَ، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّلَ اللّفظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ آخر))[٣].

وعليه نجد أنَّ المقتضى السِّياقي للتَّقديم والتَّأخير يَكسِبُ الكلام جمالاً وتأثيراً؛ لأنَّه سبيل إلى نَقل المعاني في الفاظها إلى المُخاطبين كما هي مُرتَبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فتكون الجملة صورة نَاطقة صادقة مُعبرة عن إحساسه وأفكاره ومشاعره[٤]. فهو ((فنٌ رفيع يعرفُهُ أهلُ البصرِ بالتَّعبيرِ والَّذِينَ أوتُوا حَظاً منْ مَعرفةِ مواقعِ الكلام وليَسَ إدعاءً يُدَّعَى أو كَلمةً تُقَالُ))[٥].

وقد ورد التقديم والتأخير في مقاطع الدعاء كثيراً ومن ذلك تقديم الألفاظ وتأخيرها فتتقدم الألفاظ بعضها على بعض في غير الإسناد لأغراض مختلفة، تتدخل في تَحديدها عناصر السِّياق، فقد يُقَدَّم اللفظ في موضع؛ لأنَّ السِّياق في ذكره، وقدْ يُؤخَّر في موضع آخر لاختلاف السِّياق، فكلّ كلمة تُقدَّم لسبب، وتُؤَخَّر لسبب. وقد وقف الشارح في شرحه مقاطع الدعاء على الكثير من هذه الأمثلة، نذكر من ذلك:

- **التقديم للتعظيم والخشوع :**

جاء ذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) : **((وَاْغرِسِ اللّهُمَّ بِعَظَمَتِكَ فِي شِرْبِ جَناني يَنابيعَ الخُشُوعِ، وَأَجْرِ اللّهُمَّ لِهَيْبَتِكَ مِنْ آماقي زَفَراتِ الدُّمُوعِ))**[٦]، حيث بيّن الشارح سبب تقديم لفظ(الخشوع)

---

(١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، مُنير سُلطان: ١٣٨.

(٢) الكتاب: ١/٣٤م.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٠٨.

(٤) ينظر: الجملة في الصَّحيفة السَّجاديّة (دراسة دلاليَّة)، عماد جبار كاظم (رسالة ماجستير): ٣٤.

(٥) التعبير القرآني: ٥٣.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩١-٩٤.

على(الدموع)، فقال: ((**ولمّا كانت الخشوع من أسباب الدموع ومن جملة عللها، فإنّ من غفل قلبه عن الله كيف تدمع عيناه مخافةً منه قدّمه عليها وطلبه قبلها ليشعر بذلك، وليكون الكلام على نظمه الطبيعي. ويظهر منه فائدة الخشوع**))[١].

فَتَقديم بعض الالفاظ أو تأخيرها، لمْ يأتِ اعتباطاً، بَلْ حسْبما يقتضِيه السِّياق ومُقتضى الحال، وسِياق الدُّعاء كانَ في الإعتراف والاحساس بعظمته تعالى. وحالة التلازم بين خشوع القلب والبكاء خوفاً منه سبحانه. وقد اختار الدعاء القلب ليكون مقرا للخشوع؛ لأن القلب هو سيد الجوارح وكلها ترجع إليه وبخشوعه تتبعه بقية الأعضاء وبذلك يُقبل الداعي على ربه ، وينقطع إليه انقطاعاً كاملاً، ومَنْ غفل قلبه عن الله لا تدمع عينه من خوف الله؛ لذلك نرى كثيراً ما يأتي الخشوع مقدماً على جريان الدمع لما بينهما من الارتباط في هذا المضمار، فكما أن الخشوع والخضوع نعمة من الله كذلك الأمر بالنسبة للبكاء من خشيته[٢].

- **التقديم للاهتمام**

ورد هذا النوع من التقديم في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِهِ**))[٣]، قال الشارح في تعليقه على افتتاح الدعاء بهاتين الفقرتين (يامَنْ دلع لسان الصباح، وسرّح قطع الليل) الدّالتين على الظاهرتين الكونيتين وتقديم الصباح على الليل: ((**تقديم الأولى على الثانية والنظم الطبيعي يقتضي العكس؛ إمّا للاهتمام بشأن الصباح وغاياته، أو للإشعار بتقدّم النّور على الظُلمة**))[٤]، فمن الواضح أنّ الليل والنهار هما آيتان من آيات الله تعالى، أي: هما ظاهرتان إبداعيتان لا تختلفان عن الظواهر الاخرى من حيث خضوعهما لقدرة الله تعالى[٥]. لكن الملاحظ ان استخدام الليل والنهار يجيء في سياقات متنوعة، وهنا قدّم الصباح على الليل للاهتمام به واهميته بالنسبة للدّاعي، وهو أنّه عادةً ما يكون الوقت الملائم للدعاء وهو دبر صلاة الفجر، وهو ماينا سب سياق الدعاء.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩٥-٩٦.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٤٩-٥٠.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤-٢٤

(٤) المصدر نفسه:٢٨.

(٥) ينظر: أضواء على دعاء الصباح:٧٢.

ومن ذلك أيضاً التقديم للاهتمام أو لرعاية الفاصلة، وبحسب ما يقتضيه السياق، كما في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**والسَّلامَةِ فِي الدّينِ وَالدُّنيا**))[١]، فقد ذكر الشارح سبب التقديم بقوله: ((**وتقديم الدّين على الدّنيا: إمّا للاهتمام او لرعاية الفاصلة**))[٢]، الملاحظ ان الإمام(عليه السلام) لم يقتصر على طلب السلامة في الدين او السلامة في الدنيا بل طلب السلامة في الدين والدنيا ، فأكّد على السلامة فيما يعود الى الدين والسلامة فيما يعود الى الدنيا، اذ إنّ الاقتصار على الدين فقط يقود الى الرهبنة التي لا يرتضيها الإسلام للمجتمع ككل؛ لان معنى ذلك هو إيقاف عجلة الحياة وتعطيل النظام الاجتماعي وترك مصادر العيش وهكذا فيما تعلق بالاقتصار على أمور الدنيا فإنه يقود الى إيجاد مجتمع منسلخ عن القيم الأخلاقية ولا يتحلى بالصفات الخيّرة ولا يتخلق بالمثل العليا التي تريدها السماء لأبناء الأرض[٣].

- **التقديم لإفادة التخصيص والحصر**

ومن أنواع التقديم أيضاً إفادة التخصيص والحصر، وقد ورد ذلك في قول الإمام علي (عليه السلام): ((**بِكَ-لابغيرك**[٤]- **أنْزَلْتُ حاجَتي**))[٥]. يقول الشارح مبيّناً ومعللاً سبب التقديم: **((لأنه ليس لإنجاح بغيتي وإساف طلبتي، قادر سواك، فتقديم الطرف لإفادة التخصيص والحصر؛ وذلك لأنّه تعالى لمّا كان له خزائن السماوات والأرض، وكان أمرها بيده لامعطي ولامانع إلاّ هو، وقد أمر بالدعاء وتكفّل بالإجابة، وكانت له القدرة التامّة التي لايُعجزها شيء، والجود الذي لابخل فيه، والغنى الذي لافقر معه، لاينقصه عطاء، ولايضرّه منع، لا جرم مَنْ طلب إصلاح خلّته وجبر فاقته من عنده، ورام صرف الفقر عَنْ نفسهِ به طالباً لحاجته من موضعها الذي يعلم أنّها فيه، وقصد ما طلبه من جهته التي يُقصَد منها، كان حريّاً بالنجح لما سأل، وجديراً بالظفر بما طلب. وأمّا مَنْ توجّه بحاجته إلى أحد من المخلوقين، وأناخَ مَطايا الرجاء والطلب في ساحة فقير عاجز مثله، أو جعله سبباً لنجاحها والظفر بها، معتمداً عليه دون الله، فقد تصدّى للمنع وفوت الأجابة منه تعالى))**[٦].

نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) قدّم الجار والمجرور (بك) على متعلقه (انزلتُ) لبيان اختصاص المدعو بالدعاء، أي: بك لا بدلك انزلتُ حاجتي.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٤.

(٢) المصدر نفسه:١٥٦.

(٣) ينظر: أضواء على دعاء الصباح:٢٦٦.

(٤) كلمة(لابغيرك) ليست من الدعاء.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢٠٦.

(٦) المصدر نفسه:٢٠٦-٢٠٧.

ثانياً: السياق ودلالةُ الحَذْفِ

الحَذفِ من الظواهِر اللُّغويَّة الشائعة، إذْ يَعمدُ المُتكَلم في كَثيرٍ مِنَ الأحيانِ إلى حَذفِ بعض الألفاظ ليُحقق غَرضَاً مُعيناً في نَفْسِهِ يؤدي إلى مُطابَقةِ الكلامِ لمُقتَضَى الحَال، لكِنَّ نجاح عملية التَّواصل مشروط بمعرفة المُخَاطب العنصر المَحذوف، ليَتسَنى لهُ فِهمَ الرِّسالة اللُّغويَّة[١].

فالحذف أسلوب تعبيري عند العرب. توسّعتْ فيه العربيّة توسعاً كبيراً، وقد ذكرَ النّحاة أنَّ الأصل في الكلام الذكر ولا يحذف منه شيء إلاَّ بدليل مَقَالِي أو مقَامي[٢].

وقَدْ درسَ النّحاة والبلاغيون أغراض الحذف كسيبويه وابن جنِّي وابن فارس وعبد القاهر الجرجاني، وقدَّموا تعليلات لهُ، قال ابن جنِّي: ((قد حَذفَتْ العَربُ الجُملةَ، والمُفردَ، والحَرفَ، والحَركةَ، وليسَ شيء من ذلكَ إلاَّ عن دَليلٍ عليهِ. وإلاَّ كَانَ فيهِ ضَربٌ من تكليفِ علم الغيب في مَعرفتِهِ))[٣].

وقد تَنَبَّه عبد القاهر الجرجاني على أهمية الحذف، وما يُحققهُ منْ أغْراض بلاغيَّة، فقال((فَمَا منْ "اسْمٍ أو فِعْلٍ تجدهُ قَدْ حُذِفَ ثُمَّ أُصيبَ بِهِ موضعه وَحُذفَ في الحالِ التي ينبغي أنْ يُحذَف فيها إلاَّ وأنْتَ تَجدُ حذفهُ هناكَ أحسن منْ ذِكرِهِ، وَتَرى إضْمارهُ في النَّفسِ أولَى وآنَسَ منَ النُّطقِ بِهِ))[٤].

فالحذف لا يحقق غرضاً بلاغياً يرقى إلى مرتبة الجمال والفن والتَّأثير إلاَّ من خلال السِّياق، ووجود الدَّلائل السِّياقيَّة، وهذا ما أكدّهُ ابن جنِّي بقوله: ((وليسَ شيءٌ من ذلكَ إلاَّ عنْ دَليلٍ عليهِ))[٥]. وأشار إليه ابن هشَام الأنْصاري بقولهِ: ((للحَذفِ ثمانية شروطٍ، أهمها: وجود دليل حَاليّ أو مَقاليّ))[٦].

وقَدْ اعتنى الشارح بظاهرة الحذف، من خلال وقَفاته الكثيرة في شرحه لمقاطع الدعاء، وبيان المحذوف إنْ كان حرفَاً، أو أسماً، أو فعلاً... الخ، ومن أنواعِ الحَذفِ التي ذَكَرها الشارح:

- **حذْف المضاف دفعاً للالتباس**

يَكْثُر حذْف المُضاف وإقَامة المُضاف إليه مقامه في كلام العرب، فهو يمثل أهمَّ الجوانب المجازيَّة للحذف، وهذا المحذوف قد يدلُّ عليه السِّياق ولا يسْتقيم المعنى إلاَّ بهِ، وهذا ما أكّده المُبرّد بقوله :((إنَّ مَجازَ كلام العربِ يَحذِفُ كَثيراً منْ الكَلامِ إذا كَانَ فيمَا يَبْقَى دليلٌ عَلَى

---

(١) ينظر: دلالة السِّياق في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف(أطروحة دكتوراه): ١٢٠.

(٢) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل السامرائي: ٧٧.

(٣) الخصائص: ٣٦٢/٢.

(٤) دلائل الإعجاز: ١٥٣.

(٥) الخصائص: ٣٦٢/٢.

(٦) مُغني اللبيب:٦٦٨/٢.

مَا يُلقَى، فَمِنْ ذَلِكَ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ ﴾[١]، لمَّا كانت القريةُ والعِيْرُ لا يُسْألانِ ولا يُجِيْبَان عُلِمَ أنَّ المَطلوبَ غَيْرُهُمَا))[٢]. فحُذِف المضاف في هذه الآية لوجود دليل لفْظيّ وهو القرية، والعِيرُ. وقدْ أشار سيبويه إلى أنَّ المضاف يُحذف إذا لمْ يَلتَبس على المُخاطب وكان الكلام مفهوماً[٣]، أمَّا ابن جنِّي فيرى أنَّ حذفَ المضاف ضربٌ من الاتساع[٤]. فحذف المضاف إنَّما يأتي لأغراض منها، التَّجوز في الكلام والاتساع فيه، وللاختصار بدلالة المضاف المذكور عنْ المحذوف إذا دلَّت عليه قرينة[٥].

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام):((**إلـهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكيناً الْتَجَأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً**))[٦]. أشار الشارح إلى ذلك فقال: ((**وجملة(إلْتَجَأَ إِلَيْكَ) منصوبة محلاً صفة له، والالتجاء: الاستناد والاعتضاد، تقولُ: لجأتُ إلى فلان، والتجأتُ وتلجّأتُ إذا أستندت إليه وأعتضدت به، أي: التجأ إلى رحمتك ومغفرتك وعفوك وصفحك بحذف المضاف...إذ المراد أنّه فرّ من عقاب الذنوب، وهو أثر الغضب إلى كنَف حمايته، وهو الرّحمة فتأملّ . وعلى هذا التقدير : فكلمة(من) إبتدائيّة، والمضاف محذوف، أي: هرب من عذابها أو خوفها إليك، وهذا التقدير متحتّم، إذ لامعنى للهرب من ذات الذنوب**))[٧].

فالمضاف محذوف هنا، وقدّره الشارح بـ(عقاب الذنوب)، وهذا التقدير مُتحتّم، إذ لامعنى للهرب من الذنوب نفسها. فالمقام هنا في بيان حال الداعي وهو يلتجأ الى الله تعالى فارّاً من عقاب الذنوب وليس من الذنوب ذاتها.

- **حذف المضاف للعلم به:**

يُحذف المضاف للعلم به ملتفتاً إليه ومطّرحاً ويُقام المضاف إليه مقامه كثيراً في الكلام إذا أمِن اللّبس ووجود قرينة تدلّ عليه[٨]، ومن ذلك ما ورد في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**يا مَنْ دَلَّ على ذاتِهِ بِذاتِهِ**))[٩].

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: ٧٧.

(٣) ينظر: الكتاب: ٦٦/١.

(٤) ينظر: الخصائص: ٣٦٢/٢.

(٥) ينظر: معاني النحو: ١٤٢/٣.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.

(٧) المصدر نفسه:١٣٩-١٤٠.

(٨) ينظر: المفصّل:١٣٤، وشرح التسهيل:٢٦٥/٣،

(٩) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٣٩.

فقال: ((و(بذاته) متعلّق بـ(دلّ) والباء فيه كما في قولك: دلّ فلان بهذا على ذاك، أي: جعله دليلاً عليه ومعرِّفاً له، فذاته تعالى دليل على ذاته ومُعرِّف له لاغيره . وإلاّ لزِمَ كون المُعرِّف أخفى من المُعرَّف، كيف لا وهو سبحانه أعرف الأشياء وأظهرها عند العقل؛ لأنه ظاهر بذاته ومُظهِر لغيره، فظهوره ذاتيّ وظهور غيره عَرَضيّ، حاصل بإنتسابه إليه واستتباعه له. فمعنى دلالة ذاته على ذاته أنّه ظاهر بذاته لايحتاج إلى دليل يدلّ عليه، بخلاف غيره، فأنّه خفيّ بذاته، وأنّما يظهر به، فهو دليل عليه لا ذاته... ويُحتمل أن يكون المراد أنّه تعالى دلّ بآثار ذاته وبما خلقه في الآفاق والأنفس على معرفة ذاته، أو صفات ذاته، أو وجود ذاته الذي هو عين ذاته. فحذف المضاف في الموضعين؛ للعلمُ به وظهوره، فيكون إشارة إلى الاستدلال بالمعلول على العلّة، وإلى نفي الأولويّة الذاتيّة والخارجيّة))(١). وأمّا لفظة (ذات) فأن إضافتها إليه سبحانه؛ فلإنها عين الشيء، والشيء لا يضاف إلى نفسه(٢).

- **الحذف استناداً إلى القرينة العقلية أو القياس**

القرينة العقليّة هي نوع من القرائن الحاليّة، فقد يعمد المتكلّم إلى حذف بعض عناصر الكلام والتي يدركها السامعون بعقولهم، فالذي يقول: أكلت الشاة، يَفهَم السامع من قوله بعقله، استناداً على ماهو مألوف أنّه أكل لحمها، فالمضاف هنا محذوف(٣).

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**صَلِّ اللّهُمَّ عَلَى الدَّلِيلِ إلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الأَلْيَلِ**))(٤). حيث ذكر الشارح في بيان معنى (الدَّلِيلِ إلَيْكَ) : ((**و(إليكَ) يتعلّق به، وفيه حذف وإيصال، أي: إلى معرفتك ورضوانك وقربك وجنابك، ودليل الحذف هو العقل، وأمّا تعيين المحذوف؛ فلإنّه المقصود الأصلي من بعث الرسل. أو فيه تمثيل تخييلي على قياس**))(٥).

فيرى الشارح أن الحذف هنا بحسب السياق إستناداً إلى الدليل العقلي، أي: إلى معرفتك ورضوانك وقربك وجنابك، أو محمول على التمثيل التخييلي قياساً.

- **حَذْفُ حَرفِ النِّداءِ لقرب المنادى**

يُحذف حرف النداء في مواطن يقتضيها السِّياق ويدلَّ عليها، ومن ذلك ما جاء في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إلَهي أتَراني ما أتَيْتُكَ إلاّ مِنْ حَيْثُ الآمالِ امْ عَلِقْتُ بِاَطْرافِ حِبالِكَ إلاّ**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٤١-٤٢.

(٢) ينظر: الخصائص: ٣/٢٤-٢٥.

(٣) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة: ١٣٣.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ٧١.

حينَ باعَدَتْني ذُنُوبي عَنْ دارِ الْوِصالِ))[1]. ذكر الشارح : **((حرف النداء محذوف كما في ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾**[2]**. يعني: أخبرني يا ألهي عن حالي هل أتيتك وقت الآمال))**[3].

فقد حذف الإمام (عليه السلام) حرف النداء (يا) وأبقى المنادى؛ وذلك حسب ما يقتضيه السياق، وهو الإشارة إلى مدى شعوره بالقرب من الله سبحانه وتعالى، فجاء الحذف لقرب المنادى من المنادي، كأنه لقربه(عليه السلام) لا يحتاج إلى واسطة لندائه تعالى.

حذف حرف الجر(الباء) على قياس

تحذف حروف الجر عامة على قياسٍ وعلى غير قياس. فأما الحذف القياسي فله موضع واحد هو: مع أنَّ وأنْ [4]. وتحذف الباء حذفًا قياسيًا كغيرها من حروف الجر الأخرى مع (أنَّ وأنْ)، وقد ورد حذفها حذفًا قياسيًا عند قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام):**((إنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلاي))**[5]، قال الشارح: **((تعليل للدعاء ومزيد إستدعاء للإجابة، فأنّ العبد إذا جنى خطأ، فديته على سيّده ومولاه، فكيف إذا كانت الجناية بالإضافة إلى المولى، وتأكيد الجملة لغرض كمال قوّة يقينه، فـ(إنّك) بحذف حرف الجر، وهو قياس مطّرد. أو يقال: لمّا كان مضمون الخبر مظنّة التردّد والإنكار، حسُن فيه التأكيد، والقول بأنّ المخاطب به هو الله تعالى، وهو لايتردّد في سيادته ومولويّته، كيف وهو سيّد السادات ومولى الموالي))**[6].

أشار الشارح في شرحه هذا المقطع من الدعاء، إلى التوكيد بـ(أنّ)، وحذف الباء في هذا الموضع هو حذف مطَّرد بلا خلاف، فجاء حذف الباء هنا لإقتضاء السياق ذلك، ولو تتبعنا سياق الدعاء لرأينا روعة الحذف وجماله إذ إنه قد حُذف الحرف لما في السياق من تأكيد كمال قوّة يقينه بمولاه، أو لأن الخبر مظنّة التردد والإنكار.

وحاصل المعنى: : يا إلهي! أنت سيدي وقائدي وناصري وملجئي ومعتمدي ورجائي، ليس لي غيرك من أرجع إليه أو أعتمد عليه.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٠.

(٢) يوسف:٢٩.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٠.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل:١٥٢/٢، وشرح شذور الذهب:١٧١.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه ١٣٤.

المبحث الثالث

التناسب الدلالي

يتفق أصحاب المعجمات اللغوية على أن المناسبة تعني: المشاكلة، أو المقاربة، أو الارتباط بين شيئين. قال ابن فارس: ((النون والسين والباء، كلمة واحدة مقياسها، إتصال شيء بشيء))[١]. وجاء في لسان العرب: ((النِسبة والنُسبَة والنسَب: القرابة، وناسبه، أي شاركه في نسبه، والنسيب: المُتناسِب، وفلان يُناسب فلاناً، فهو نسيبه، أي: قَرِيبَه، ليس بينهما نَسَب، أي: مشاكلة))[٢].

ولمّا كان التناسُب بمعنى المناسبة، فقد عرّفه البقاعي(ت٨٨٥هـ) بأنّه: ((علم يُعرف منه علل الترتيب. وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب. وثمرته الأطّلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء ماله بما وراءه وما أمامه من الأرتباط والتعلّق الذي هو كلحمة النَسَب))[٣].

وقد ألّف البقاعي في هذا العلم كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وسمّاه (علم مناسبات القرآن) وعدّه سراً من أسرار بلاغة القرآن ، إذ يُمثل هذا العلم الجانب الدلالي والفنّي في تفسير القرآن؛ لأنّه يبحث في العَلاقات الخفيّة بين الدَلالات والتراكيب وأسرار بيانها ونظمها. فلكلّ نصّ معنىً عام نُظم لأجله، ولا يُمكن إيصال هذا المعنى إلاّ بتسلسل جمل وعبارات ذلك النصّ تبعاً للمعنى المُراد، وتلاحُمها وارتباطها به؛ لأنّ المعنى الكلّي لأيّ نصٍّ يتوقّف على المعاني الجزئيّة المكوّنة له ، ولذا ينبغي أن تكون العَلاقة بين أوّل النصّ ووسطه وآخره عَلاقة مَنطقية تخضع لمعاييرَ عقليّة يمكن بوساطتها أن تُنتزَع الدَلالة وتُستوحى المناسبة[٤].

وقد عُني الشارح بالتناسب الدلالي في شرحه لفقرات الدعاء، وأدرك أنّ فهم سياق وسيلة الربط بينها لتصُبَّ جميعها في السياق الكلّي للدعاء، ومن ذلك:

- **التناسب في العطف بين الفقرات لتناسب السياق**

ذكر الشارح هذا التناسب في تعليقه على قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَيَاهِبِ تَلَجْلُجِهِ**))[٥]، حيث أشار إلى موارد التناسب في العطف والاسناد بحسب ما تقتضيه مناسبة السياق اللغوي، فقال: ((**معطوفة على (دلَعَ)، وما فيه من رعاية محسّنات**

---

(١) معجم مقاييس اللغة:٥/٤٢٣(نسب).

(٢) لسان العرب: ٥/١١٨(نسب).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي: ١/٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/٦-٧.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٢٤.

الوصل بعد تحقق مجوّزاته غير خفي. أمّا الأولى، فلتناسبها في الفعليّة والفعلين في الماضويّة، وأمّا الثانية، فلاتّحاد المسند إليه والمناسبة الظاهرة بين المسندات))[1].

فسياق الدعاء يتحدث عن كيفية طلوع النهار، وكيفية زوال الليل، فافتتح الدعاء بهاتين الفقرتين (يامن دلع لسان الصباح . وسرح قطع الليل) لما بينهما من اتصال معنوي وإشارة الى تمجيد الله تعالى وتعظيمه، وأهمية الليل والنهار في حياة الانسان.

ونجد أيضاً التناسب بين الفقرة السابقة من الدعاء، والفقرة الآتية منه، من خلال إشارة الشارح إلى اختلاف النسخ، وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وافْتَحِ اللّهُمَّ لَنا مَصارِعَ الصَّباحِ بِمَفاتيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلاحِ**))[2]، إذ يقول في بيان معنى(وافتح اللهمّ): ((**وفي بعض النسخ (لي) وهو الأنسب بالفقرة الآتية، إلاّ أن التعميم في الدعاء أقرب إلى الإجابة من التخصيص((إذا دعا أحدكم فليَعمّ؛ لأنّه أوجب للدعاء))**[3]))[4].

فأشار إلى أن الفقرة الآتية من الدعاء تناسبها (لي) في قوله (عليه السلام): ((**وَأَلْبِسْنِي اللّهُمَّ مِنْ اَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالصَّلاحِ**))[5]؛ لأن (**وَأَلْبِسْنِي**) بياء المتكلّم، فهي الأنسب للسياق، لكنّها تعارض الدعاء؛ لأن التعميم في الدعاء أقرب للإجابة من التخصيص لذا فينبغي على الإنسان أن يسعى للتعدّد في أساليب الدعاء، فتارة يعمّ في دعائه، وتارة يتوجه لنواقصه الذاتية بالخطاب الخاص، فهو أوكد للإجابة.

- **التناسب الدلالي في الألفاظ**

التفت الشارح إلى تناسق اللفظ وائتلافه المعنوي مع التعبير كلِّه في سياق الفقرة الواحدة، بما يؤكّد دقّة استعمال الإمام (عليه السلام) للألفاظ كلٌ بحسب موضعه .

من ذلك المناسبة بين(الخشوع) و(الجنان) في قول أمير المؤمنين علي(عليه السلام): ((**وَاَغْرِسِ اللّهُمَّ بِعَظَمَتِكَ فِي شِرْبِ جَناني يَنابِيعَ الْخُشُوعِ**))[6]. قال الشارح: ((**والمراد استدعاء حالة تتمكن معها عظمته تعالى في القلب على وجه يغلب الخوف والخشية على قلبه ويستولي عليه، فيثمر**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٨٦.

(٣) أصول الكافي:٢٦٧/٢(باب الاجتماع في الدعاء).

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٨٨.

(٥) المصدر نفسه:٨٨.

(٦) المصدر نفسه:٩١.

بـذلك خشـوعه وإقبالـه علـى الله تعـالى بكليّتـه وذهابـه إليـه بجملتـه. وإنّمـا خـصّ الجِنـان بموضوعيّة الخشوع؛ لأنّه بمنزلة السلطان، والجوارح بمنزلة العسكر، فإذا توجّه السلطان إلى جانب توجّه عليه العسكر، فمتى توجّه القلب إلى جانب الله توجّه كلّ جارحة إليه))[1].

فجاءت المناسبة بين اللفظتين بحسب السياق اللغوي الذي يتطلب ذلك، فالداعي في سياق هذه الفقرة، يطلب من ربّه جلّ وعلا أن يملأ قلبه بالخشوع؛ لأن القلب هو سيّد الجوارح وبخشوعه تتبعه بقية الأعضاء، وبذلك يقبل الداعي على ربه يجعله في كل وقت مستعداً للقائه والطلب منه[2].

ومن ذلك ايضاً إشارته إلى تناسب معاني(أدّب) بمعنى (الإزالة والمنع) في قول الإمام علي (عليه السلام): ((**وَأَدِّبِ اللّهُمَّ نَزَقَ الْخُرْقِ مِنّي بِإِزِمَّةِ الْقُنُوعِ**))[3]، إذ قال : ((**أدّبه: علّمه فتأدّب، والأدب محرّكة حسن التناول، أدب كحسن أدباً فهو أديب، كذا في القاموس**[4] **. وقيل: الأدب رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وقال أبو زيد الأنصاري**[5]**: ((الأدب يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل))**[6]**...ولعلّه (عليه السلام) ضمّنه معنى الإزالة أو المنع، أي : أدّب اللهمّ مُزيلاً ومانعاً نزق الخرق مني، وهو الأنسب بالمقام؛ لأنّ القوى الحيوانيّة لمّا كانت عاصية عن حكم الشرع، خارجة عن تحت قلم العقل، فلابدّ لها من مانع يمنعها عن ذلك ويُقسّرها على أمره ونهيه، وهو تأديب الله ومنعه إيّاها بأزمّة القنوع، ولذا قال أمير المؤمنين جُعلتُ له الفداء: ((الأدب صورة العقل))**[7]**؛ لأنّه يمنع العاقل عن إرتكابه ما لاينبغي إرتكابه. وإنّما رجّحنا تضمين المنع على الإزالة؛ لأن الأول مطابق للأمر نفسه دون الثاني...وأنت خبير بأن كلام أمير المؤمنين جُعلتُ له الفداء صريح الدّلالة على إمكان تغيير الخُلق وإسلاسه بالمعنى الذي سبق، ولكن بفضل الله وحسن توفيقه، كما قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾**[8]**))**[9].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٩٤.

(٢) ينظر: أضواء على دعاء الصباح: ١٦٩.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩٦.

(٤) ينظر: القاموس المحيط:٤٢(أدب).

(٥) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري (ت٢١٥هـ) لغوي من أئمة الأدب. غلب عليه اللغات والنوادر والغريب.

(٦) تاج العروس: ١٢/٢(ادب).

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي: ١٥، برقم:٦٥.

(٨) آل عمران:١٥٦.

(٩) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩٦-٩٩.

والادب من الألفاظ التي تحتمل وجوهاً عدّة، تبعاً لسياقاتها ، فقد ذكر له الشارح كثيراً من المعاني، ومنها تضمنه معنى الإزالة أو المنع بحسب مناسبة سياق الدعاء، ورجّح تضمين معنى (المنع) على الإزالة، لينتهي إلى نتيجة أن الإمام (عليه السلام) يوجّه الداعي أن يطلب من ربه بعد أن غرس في قلبه الخشوع وأجرى من عينه الدموع أن يمنع نفسه ويصرفها عن الصفات الخبيثة والأفعال الدنيئة التي تمنع الانسان من الوصول الى الكمالات والتي تُسبب عدم تملك الانسان زمام نفسه(١).

وكذلك مناسبة اللفظة بحسب السياق لابمعناها العام، ما ورد في قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((**إلهي كَيفَ تَطْرُدُ مِسْكيناً الْتَجَأَ إلَيْكَ مِنَ الذُّنوبِ هارِباً**))(٢)، قال الشارح: **((والمسكين من المسكنة، وهي الذلّة والإفتقار، وهو مفعيل من السكون، ويُطلق على مَنْ لاكسب له ولامال يفي بمعونته. وهل هو أسوأ حالاً أم الفقير؟ خلاف، والحقّ أنّه أسوأ حالاً، لما ورد في الصحيح عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: ((الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم))(٣). والمراد به هنا: مَنْ لا حسنة له ولاقدرة له على كسب حسنة، بل هو مغمور في بحار الذنوب، مستور في حجب العيوب، فهو أسوأ حالاً من الفقير، ولذا آثره عليه))**(٤).

نرى هنا أنّ الشارح فسّر لفظ(المسكين) بحسب مناسبتها للسياق لا بمعناها العام الذي قدّمه، و(المسكين) و(الفقير) في هذا المقام لافرق بينهما؛ لأنّ المراد منهما شيء واحد وهو الإفتقار إلى رحمة الله تعالى، والتذلل إليه بمسكنة، وإنكسار. فلم يستعمل (الفقير) بدل (المسكين) لملائمة (المسكين) للسياق؛ لأنّه أسوأ حالاً منه.

- **مناسبة سياق الفقرة لسياق التي قبلها**

نجد الشارح كثيراً مايربط بين فقرات الدعاء وبين التناسب الملائم لسياق الحال، بحسب الموضوع، من ذلك ما ورد في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وَتَبّاً لَها لِجُرْأَتِها عَلى سَيِّدِها وَمَوْلاها**))(٥)، إذ قال: ((**ولمّا تنبّه بسوء حاله وشناعة مآله وذمائم أفعاله**

---

(١) ينظر: أضواء على دعاء الصباح:١٨٨.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣٨.

(٣) فروع الكافي، الكليني: ٤٩٤/٣.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣٨-١٣٩.

(٥) المصدر نفسه:١٢٨.

وقبائح أقواله، واستشعر منه خوفاً وندم عمّا كان منه، رجع إلى قرع باب الرجاء، والهرب من كثرة الأهواء، فقال: ((إلهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائي وَهَرَبْتُ إلَيْكَ لاجِئاً مِنْ فَرْطِ أهْوائي))[1].

فالإمام (عليه السلام) يصوّر لنا في سياق الدعاء في الفقرة الأولى، حال الدّاعي وما وصل إليه من فظائع أحواله وعظائم أهواله، وتذكّره لطائفة من فضائح أعماله، دهش وتجلبب لباس الخوف من جسارات نفسه على سيدها الحقيقي جلّ سلطانه، فهو أشدّ بأساً وأعظم تنكيلاً، فيأخذه اليأس والقنوط أخذاً وبيلاً.

فيرى أن الشِّقة بَعُدت بينه وبين ربّه، فيبقى متأرجحاً بين اليأس والرجاء، بين لطف الله ورحمته، وبين هوى نفسه[2]، فتأتي الفقرة الأخرى ليلقي الدعاء الأمل بقلب الدّاعي، فيتغلّب الرجاء على اليأس، ويعود الداعي إلى ربّه، طارقاً بابه بمطارق الدعاء والندم والأعتراف بما جنته يداه .

ومن ذلك ايضاً ما ورد في قوله(عليه السلام):((**فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوايَ**))[3]، قال الشارح: **((ولّما طلب منه عزّ اسمه الصفح عن ذنوبه والإقالة من صرعة عيوبه، ورام الإقامة في جواره وديارِه، وكان الوهم يزاحم العقل في ذلك زعماً منه أنّه يطرده ويردّه ويخيّبه عمّا قصده واستبعد منه ذلك، فقال: (إلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكِيناً الْتَجَأَ إلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً))**[4]. نلاحظ أنّ الشارح نظر إلى تناسب الفقرات بما يناسب السياق في هذه الفقرات من دعاء الإمام (عليه السلام).

- **التناسب في معاني الاضافة بين الفقرات لتناسب السياق**

ومن ذلك ما ورد في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((وَاَقِلْنِي اللّهمَّ مِنْ صَرْعَةِ رِدائي))**[5]، إذ يقول بعد ذكره عدّة معاني محتملة لـ**(صَرْعَةِ رِدائي): ((وأراد به هنا الوقوع في الأثم، فأنّه يوجب الهلاك الأبدي والشِقاء السرمدي، والاضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف، أو لاميّة. أي : أقلني من ذنوبي وآثامي الصارعة، والأوّل أوفق بالفقرة الماضيّة، والثاني بالتالية، وهي قوله: ((إنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلاي))**[6]. **تعليل للدعاء ومزيد إستدعاء للإجابة، فإن**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢٩-١٣٠.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح: السبزواري:١٨٩.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه:١٣٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٦) المصدر نفسه :١٣٤.

العبد إذا جنى خطأ، فديته على سيّده ومولاه، فكيف إذا كانت الجناية بالإضافة إلى المولى، وتأكيد الجملة لغرض كمال قوّة يقينه))[1]

نلاحظ هنا كيف أنّ الشارح يوافق بين معاني الإضافة والفقرات السابقة واللاحقة، اعتماداً على دلالة السياق. فالإمام (عليه السلام) يسوق لنا حال الداعي وهو يطلب من ربّه أن يتجاوز عنه ويخلّصه من الثقل الذي أحاط به بسبب ذنوبه وآثامه، كإحاطة الرداء ببدن الإنسان، فكان ذلك سبباً لوقوعه، وإنهياره أمامها كما يقع المصروع أرضاً؛ لذلك عقّب طلبه معللاً جرأته على مولاه؛ ليعتقه منها ويخلصّه من ذنوبه وآثامه، فهي كالداء الحقيقي (الصرعة)[2].

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٣٨.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي:٦٤.

المبحث الرابع

المجاز والاستعارة

المطلب الأول: المجاز

المجاز في اللغة مأخوذ من ((جزتُ الطريق، وجاوزتُ الموضع جوازاً، بمعنى: جزته. والمجاز، والمجازة: الموضع))[١]. وحقيقته: الإنتقال من مكان الى آخر، وأُخِذ هذا المعنى واستُعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى الى آخر[٢].

وفي الاصطلاح، قال الجرجاني :((وأمّا (المجاز) فقد عوّل الناس في حدّه على حديث النقل، وأن كلّ لفظ نُقل عن موضعه فهو مجاز))[٣]، فـ(المجاز): اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة بين المعنيين، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي[٤]. و(المجاز) نوعان: مجاز عقلي يختص بالمعنى، ومجاز لغوي مرسل[٥]، والمجاز أعمّ من الاستعارة ، فكل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة[٦].

اما اشهر العلاقات المجازية فهي[٧]:

١- **علاقة السببية** : وتتمثل في إطلاق اسم السبب، أي: العلة على المعلول، كالتعبير(عن القدرة أو النعمة) باليد التي هي سبب فيهما، وقولهم : رعينا الغيث. أي: الكلأ المسبَّب عن الغيث.

٢- **المُسَبَّبية:** وهو إطلاق اسم المسبب على السّبب كتسمية المرض المهلك بالموت .

٥- **الكُلّيّة:** وهو إطلاق اسم الكلّ على الجزء، ومنه إطلاق العام على الخاص، إلا أنّ بعض الاصوليين لا يعده مجازاً؛ لأن العموم من باب الكلية لا من باب الكل، ومن ذلك اطلاق (الاصابع) وإرادة بعضها في قوله تعالى: ﴿ **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم**﴾[٨]، أي: أناملهم .

---

(١) لسان العرب:٢/٤١٦(جوز).

(٢) ينظر: المثل السائر، أبن الأثير:١/١٠٥.

(٣) دلائل الإعجاز:٦٦.

(٤) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي:٢٩٧.

(٥) ينظر: اسرار البلاغة، الجرجاني:٢٨٧.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٩.

(٧) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة، القزويني:٢٠٨، والمزهر: ١/٣٥٩-٣٦٠.

(٨) البقرة:١٩.

٦-**الجزئية:** وهو إطلاق الجزء على الكل كتسمية ربيئة القوم (طليعتهم) بالعين، وإطلاق (الرقبة) على العبد كما في قوله تعالى: ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**﴾[١]. وكإطلاق (القيام) على (الصلاة)، كما في قوله تعالى: ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا** ﴾[٢].

٧- **التعلق بين المصدر واسم الفاعل واسم المفعول :** فاستعمال أحدهما بمعنى الآخر نوع من المجاز، كإطلاق اسم الفاعل على المفعول نحو قوله تعالى:﴿ماءٍ دَافِقٍ﴾[٣]،أي: مدفوق. وإطلاق اسم المفعول على المصدر كقوله تعالى:﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٤]، أي : الفتنة. وعكس ذلك كقوله تعالى:﴿هُذَا خَلْقُ اللهِ﴾[٥]، أي: مخلوق الله تعالى. ويمكن عدّ هذا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل ؛ لأن المشتق منه جزء من المشتق. ومن النماذج لأنواع المجاز التي وردت في الشرح :

١-المجاز العقلي:

ويكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له. ومنه قول الإمام علي (عليه السلام): ((**يا مَنْ اَرْقَدَنِي فِي مِهادِ اَمْنِهِ وَاَمانِهِ**))[٦]. قال الشارح: ((**الرقد: النوم ، كالرُقاد والرُقود بضمهما، أو الرقاد خاصّ بالليل، وأرقَدَه : أنامه، ولمّا كانت أسباب النوم واليَقَظة وإيجاد الليل والنهار منه سبحانه، أسنَدّ الفعل في الموضعين إليه مجازاً، فكأنّه تعالى كالوالد البرّ الرحيم الذي أرقد وَلَدَه الصبيّ في مهد أمن وأمان بحراسته له وكِلاءته إيّاه عمّا يضرّهُ ويؤذيه...ويُحتمل أن يكون محمولاً على الحقيقة، كما تدّل عليه مرسلة أبي منصور المذكورة في أصول الكافي المرويّة عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: ((ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة، والجهل، والرضا، والغضب، والنوم، واليَقَظة))**[٧]))[٨].

---

(١) النساء: ٩٢.

(٢) التوبة:١٠٨.

(٣) الطارق: ٦.

(٤) القلم: ٦.

(٥) لقمان: ١١.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٦٠.

(٧) الكافي:٣٩٨/١.

(٨) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٦٠.

الرُقاد والرُقود مرادف للنوم، والرُقاد خاص بالليل[١]، الذي هو وقت السكينة والراحة للإنسان، حيث اسند الفعلين(أرقد) و(أيقظ) إليه سبحانه وتعالى في غير معناهما الأصلي؛ لوجود علاقة المشابهة بين وصف رأفت ورحمة الله سبحانه وتعالى بالعبد بأنها تشبه الوالد إذا أتى بمولود ووضعه في المهد، فيصف لنا كيف إن الله تعالى يعامل عباده .

فالإمام(عليه السلام) اختار كلمة (أرقدني) وكلمة (مهاد) بما فيهما من دلالة على الراحة والسكينة ولو أُستبدل كلمة (انامني) بكلمة (ارقدني) وكلمة (فراش) بكلمة(مهاد)، لما كان ذلك الحسن الذي وجدناه في الكلمتين (ارقدني، ومهاد) مما يدل على إن اختيار الإمام لهاتين الكلمتين كان مقصوداً، فاليقظة اذن نعمة مكملة لنعمة النوم.

٢-المجاز اللغوي:

ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة. وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له[٢].

وهذا المجاز اللغويّ نوعان :

أ . الاستعارة : وهي مجاز لغويّ تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة.

ب . المجاز المرسل : وتكون العلاقة فيه غير المشابهة. وسمّي مرسلا لأنّه لم يقيّد بعلاقة المشابهة ، أو لأنّ له علاقات شتى.

وفي قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَكَفَّ أَكُفَّ السُّوءِ عَنّي بِيَدِهِ وَسُلْطانِهِ**))[٣].

مجاز لغوي عن طريق الاستعارة في بيان القدرة الألهية، أوضحه الشارح:

((والكفّ المنع، يُقال: كففتُ الرجل عن الشيء، فكفّ يتعدّى ولايُتعدّى، ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ**﴾[٤]**، والأكُف: جمع كَفّ، وهي الراحة مع الأصابع، سُمّيت بذلك؛ لأنها تكفُّ الأذى عن البدن. وفي القاموس: ((الكَفّ: اليَد، أو إلى الكوع، والجمع: أكُفٌ وكفوف))**[٥]**. والسوء بضم السين وفتحها: ما يسوءك ويشينك...وقيل السوء في الأصل مصدر: ساءه يسوءه، إذا حَزَنه، يُطلق على جميع المعاصي، سواء كانت أعمال الجوارح، أو أفعال القلوب؛ لإشتراك كلّها في أنّها تسوءُ صاحبها بعواقبها، والظرفان متعلّقان بـ(كَفّ). ويده تعالى قدرته؛ لأنها تُستعمل**

---

(١) ينظر: الكليات: ٤٨٢.

(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:٢٠٧.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٤.

(٤) الفتح: ٢٤.

(٥) القاموس المحيط: ٨٤٩.

مجازاً تارة في القدرة، وأُخرى في النعمة . وعن الباقر (عليه السلام): اليد في كلام العرب: القوة والنعمة. ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[1] **بقوة، ولفلان عندي أيادي كثيرة، أي: فواضل واحسان، وله عندي يدٌ بيضاء، أي: نعمة))**[2]**))**[3]. نلاحظ أن الشارح أشار إلى أنّ الإمام(عليه السلام) استعمل لفظ(اليد) في سياق الدعاء للدلالة على القوة والقدرة الألهية، وليست الجارحة المعروفة، فهو من نوع المجاز المرسل؛ لوجود علاقة غير المشابهة بين المعنى الحقيقي لليد، وبين المعنى المجازي لها. فيكون المعنى هنا: إن الله هو الذي أبعد أيدي السوء من أن تنالني أو تفعل السوء معي وذلك بقدرته سبحانه يفعل ما يشاء

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد أيضاً كلاماً عن المجاز وأنواع الاستعارة والتشبيه، أشار إليه الشارح في شرحه لمعنى (كفّ) بقوله: ((**وفي الكلام استعارة مكنيّة وتخييليّة، ومجاز مرسل وترشيح له، وهو قوله (كفّ)، والترشيح غير مختصّ بما يقترن بلفظه المشبّه به، ولا بالاستعارة المبتنية على التشبيه؛ لتصريحهم بأن أطولكنّ ترشيح للمجاز المرسل الذي في اليد لاتشبيه فيه أصلاً . وأمّا تفسيرهم له بذكر مايلائم المشبّه به، فأنّما هو في الترشيح الذي في التشبيه. وكذا ماذكروا من الأقتران بلفظ المشبّه به، فالمراد: أنّه كذلك فيما إذا كان في الكلام تشبيه... والأولى أن يكون ذلك جارياً على سُنن التمثيل الذي يُسمّيه أهل البيان: تمثيلاً تخييليّاً، أي: الإيقاع في الخيال بتصوير المعاني العقليّة بصور أعيان الحسيّة؛ لكونها أظهر حضوراً، وأكثر خطوراً... وهي وإن كانت تُرى بحسب الظاهر كاذبة، فليست بكاذبة؛ لأن القصد منها تشبيه تلك الحال بحال من تفرض له تلك الصورة الحسية مثلاً، مثل حال كلاءته وتسلّطه وقدرته تعالى على دفع الآفات والعاهات والمؤذيات عن العباد بحال من تكون له يدٍ يكفُّ بها الأذى عن غيره، فيحفظه ويحرسه من غير أن يذهب بها إلى جهة حقيقية بالنسبة إليه تعالى، كما يذهب إليه المجسّمة، أو مجاز بأن يُراد باليد: القدرة. وأنّما المراد بالمفردات في مثل ذلك: حقائقها في نفسها، كما في قولك: (أراك تُقدّم رِجلاً وتؤخّر أُخرى)، لكن لابالنسبة إلى الممثّل له، بل بالنسبة إلى الممثَّل به. وهو باب جليل في علم البيان، عليه يُحمل كثير من متشابهات القرآن، كقوله تعالى:** ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[4]. **وقوله تعالى:** ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[5]. **قال صاحب الكشّاف: ((إنّ ذلك تمثيل وتصوير**

---

(١) الذاريات: ٤٧.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق:١٥٣.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٤-٦٥.

(٤) الزمر:٦٧.

(٥) الذاريات:٤٧.

لعظمته تعالى، وتوقيف على كُنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين والأيدي إلى جهة حقيقة أو مجازاً))[1]**. بل يذهب إلى آخر الزُبدة والخلاصة من الكلام، من غير أن يتمحّل بمفرداته حقيقةً أو مجازاً، كقوله تعالى :** ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[2]**، أي: هو بخيل، بل** ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3]**، أي: هو جواد من غير تصوّر يد ولاغُلّ ولابسط، وشدّد النكير على مَن تأوّل القبضة بالمُلك، واليمين واليد بالقدرة))**[4].

حيث تحدث الشارح عن المجاز والاستعارة وتشبيه المجرّد بالمحسوس لتقريب الدّلالة، فالإمام (عليه السلام) استعمل هذا المجاز في تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسيّة وإثباتها في الذهن. وفي (كفَّ أكف السوء) إستعارة بالكناية، وإستعارة تخييليّة، فلمّا كان السوء يشمل المعاصي سواء أعمال الجوارح وهي أعمال محسوسة، أو أفعال القلوب التي لاتدرك بالحس، أستعمل معها الكفّ مجازاً؛ وعلاقته الجزئية؛ لأنها تكف الأذى عن البدن، وكذلك جمع بين (الأكف) و(اليد) للمجانسة اللفظية بين المفردات من حيث أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، حيث جانست الصورة وقابلت بين يد الله تعالى التي تدفع السوء وبين يد الاخرين الذين يمارسون السوء[5].

وحاصل المعنى: أن الله تعالى كفَّ عنا اكفَّ السوء الذي يصدر من الناس وسواهم من خلال يده التي هي فوق أيدي الناس، أي: قدرته وتسلّطه وغَلَبَتَه التي يهيمن بها على الموجودات جميعاً.

ومن صور المجاز اللغوي التي جاءت في نصّ الدعاء وأشار اليها الشارح: قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الدَّلِيلِ إِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الأَلْيَلِ))[6].

قال الشارح: ((**والصلاة أصلها الدعاء، لكنّها منه سبحانه مجاز في الرحمة، والمشهور أنّها منه تعالى الرحمة، ومن الملائكة الإستغفار، ومن المؤمنين الدعاء. وقال بعض المحققين: والتحقيق: أنها تُستعمل في قدر مشترك بينها وهو الإمداد؛ لأن المدد كما يصل من فوق بالإفاضة، يصل من تحت بالاستفاضة، وإنما عدلنا المشهور؛ لإستلزامه الاشتراك، والمجاز**

---

(١) الكشاف: ٥/٣٢٠.

(٢) المائدة:٦٤.

(٣) الآية نفسها.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٦-٦٧.

(٥) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري: ٨٩.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٦٧.

خير منه. والمناقشة بأن العطف في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[1] يدلّ على مغايرتهما، ولذا جعلها بعضهم بمعنى الرضوان. مندفعة بأن التصريح بالحقيقة بعد إرادة المجاز، يفيد تقوية المقصود، على ان العطف لايدلّ على المغايرة مطلقاً، فإنّ من اقسامه: عطف الشيء على مرادفه، وقد عدّ بعضهم منه الآية، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾[3]. وغاية السؤال بالصلاة عائدة إلى المصلّي، كما تدلّ عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة في الكافي في باب العطاس، قال: ((كنتُ عند الرضا (عليه السلام) فَعَطس، فقلت : صلّى الله عليك، ثمّ عطس، فقلت : صلّى الله عليك، ثم عطس ، فقلتُ: صلى الله عليك، وقلتُ له: جُعِلت فداك، إذا عطس مثلكَ، يقالُ له كما نقولُ بعضنا لبعض: يرحمكَ الله؟ أو كما نقول؟ قال: نعم، أليس تقول: صلى الله على محمّدٍ وآل محمّد؟ قُلتُ: بلى، قال: ارحم محمداً وآل محمّد، قال: بلى ، وقد صلّى الله عليه ورحِمه، وأنّما صلاتنا عليه رحمة لنا وقربة))[4].

الصلاة ((هي العبادة المخصوصة ، أصلها الدعاء، وسُمّيت هذه العبادة بها كتسميّة الشيء باسم بعض مايتضمنه))[5].

ذكر الشارح معاني متعددة لمعنى الصلاة، منها : الدعاء وهو اصلها، والرحمة مجازاً، إذا كانت من الله تعالى، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء، وهذا هو الأكثر شهرة، وبمعنى الرضوان، وأنكر استعمالها في قدر مشترك بينها وهو الإمداد؛ لكونها لاتناسب السياق. وفضّل الشارح هنا الصلاة مجازاً عن الرحمة، وعلاقته السببية؛ بكونه(صلى الله عليه وآله) (الرحمة) لمناسبتها السياق في بيان الرحمة الإلهية ((فالمقام اقتضى زيادة الاهتمام بالصلاة على وسائط فيض الله – دام فيضه– فقُدّمت عليه، وآثر من بين أوصافه(صلى الله عليه وآله) وصف الدلالة، ليناسب مقام الاعتصام، وليشعر مفهوم الوصف بالعليّة))[6] في إشارة إلى موقعية الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) ودوره في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

---

(١) البقرة: ١٥٧.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) سورة: ١٠٧.

(٤) الكافي: ٣٦٢/٢(باب العطاس والتسميت).

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٥.

(٦) شرح دعاء الصباح، السبزواري: ٩١.

- **مسألة بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي**

من ذلك ما ذكره الشارح في لفظة (الرجاء) عند شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إِنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلاي وَمُعْتَمَدي وَرَجائي**))[1]. إذ قال: ((**لأني لا أرجو إلا فضلك، والرجاء قيل: ظنٌ يقتضي حصول مافيه مسرّة. وقيل: تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل، وهو على أقسام: رجاء لمغفرته تعالى مع عدم التوبة عن السيّئآت، ورجاء لقبول الحسنات، ورجاء للتفضّل. والمصدر بمعنى المفعول، أي: مرجويّ، ففيه مبالغة، كما في قولها:**

إنّما هي إقبال وإدبار

وقوله:

هواي مع الرّكب اليمانين مصعد

فالمجاز لغوي، ويمكن إبقاء المصدر بحاله على ماهو حقيقته، بجعل التجوّز في الإسناد، وهو أوفق بما عليه أئمة المعاني، حيث رجّحوا التجوّز العقلي في (أنّما هي إقبال وإدبار) على المجاز اللغوي.

قالوا لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناها الحقيقي، حتى يكون مجازاً في الكلمة، وأنّما المجاز في أن جعلها لكثرة ما تُقبل وتُدبر، كأنّها تجسّمت من الإقبال والإدبار، فهو سبحانه لمّا كان حقيقاً بأن يكون رجاء كلّ راجٍ في كلّ ما يرجو، محسناً كان أم مسيئاً، فكأنّما صار رجاءاً بحتاً، في التجوّز في الإسناد، وينبغي أن يكون الرجاء معادلاً للخوف))[2].

التجوّز في الإسناد معناه: إسناد الشيء إلى غير ما هو له، مثل: صام نهاره، وجري النهر، وسال الميزاب[3].

فالتجوّز في الأسناد مجاز عقلي، وهنا أسند المصدر(الرجاء) إلى الضمير من هذا القبيل على سبيل المجاز العقلي من تعلّق المصدر بأسم المفعول؛ لأن معنى (الرجاء) هو ظن يقتضي حصول مافيه مسرّة[4]، والسياق هنا يقتضي عدم أعتماد المعنى اللغوي، فأوّله الشارح وفقاً للمجاز العقلي، بأن يكون معناها معادلاً للخوف.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٥.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي:٢٩٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٩١.

المطلب الثاني: الاستعارة

الاستعارة في اللغة : يقال : هم يتعاورون من جيرانهم الماعون والأمتعة، والعارية من المعاورة والمناولة، يتعاورون يأخذون ويعطون[١]، وفي الاصطلاح : ((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبّه به))[٢] . أو هي((إستعمالُ اللفظُ في غير ما وضعَ له لعلاقةِ (المشابهةِ) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، (والاستعارة) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغ منه كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ، فأصل هذه الاستعارة (رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسةِ) فحذفتَ المشبهَّ (لفظُ رجلٍ)، وحذفتَ الأداةَ (الكاف)، وحذفتَ وجه التشبيه (الشجاعة) وألحقتهُ بقرينة (المدرسةِ)؛ لتدلَّ على أنك تريد بالأسد شجاعاً))[٣].

والاستعارة أسلوب من أساليب العرب في كلامهم؛ لذا كان القرآن الكريم حافلاً بها؛ لأنه موافق لكلامهم وطرق تعبيرهم . ومن هنا كان للعلماء المتقدمين دور مهم في بيان هذا الاسلوب البلاغي، على الرغم عدم دقتهم في تحديد الاستعارة، أو وضع تعريف لها، ونلمح عند سيبويه إشارة توحي إلى معنى الاستعارة ، ففي قول الشاعر:

وداهية من دواهي المنو ن يرهبها الناس لا فالها[٤]

قال : ((فجعل للداهية فما))[٥].

ويُجمِعُ البلاغيّون على أنّ الاستعارة ضربٌ من المجاز اللّغويّ علاقته المشابهة أي لفظ استُعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ، فالأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه ولذلك عُدَّ أصلا وعُدَّتْ الاستعارة فرعًا له.

وأركانُ الاستعارة ثلاثة:

١-مستعار منه (وهو المشبَّه به).

٢-ومستعار لهُ (وهو المشبَّه).

٣-ومستعار (وهو اللفظ المنقول).

---

(١) ينظر: كتاب العين: ٢٥٣/٣(عور).

(٢) مفتاح العلوم: ٣٦٩.

(٣) جواهر البلاغة:٣٠٦.

(٤) البيت بلا نسبة كما في الكتاب.

(٥) الكتاب: ٣١٦/١.

وهناك أنواع من الاستعارة تناولها الشارح في شرحه فقرات الدعاء المبارك، سنقف عندها إن شاء الله تعالى:

١-الاستعارة التصريحيّة

وهي ما صُرّح فيها بلفظ المشبّه به دون المشبّه، أو ما أُستعير فيها لفظ المشبّه به للمشبّه، ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **كِتابٌ أنزلناهُ إليكَ لِتُخرجَ الناسَ مِنَ الظُلُماتِ إلى النُّورِ**﴾[١]، ففي هذه الآية استعارتان في لفظي: الظلمات والنور؛ لأن المراد الحقيقي دون مجازهما اللغوي هو: الضلال والهدى، أي: إخراج الناس من الضلال إلى الهدى، فاستُعير للضلال لفظ الظلمات، وللهدى لفظ النور، لعلاقة المشابهة ما بين الضلال والظلمات. وهذا الاستعمال من المجاز اللغوي؛ لأنه اشتمل على تشبيه حذف منه لفظ المشبه، وأستعير بدله لفظ المشبه به، وعلى هذا فكل مجاز من هذا النوع يسمى (استعارة) ولما كان المشبه به مصرّحاً بذكره سُمّي هذا المجاز اللغوي، أو هذه الاستعارة (استعارة تصريحية)؛ لأننا قد صرّحنا بالمشبه به، وكأنه عين المشبه مبالغة واتساعاً في الكلام[٢].

ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**صَلِّ اللّهُمَّ عَلَى الدَّليلِ اِلَيْكَ فِي اللَّيلِ الْاَلْيَلِ**))[٣]. قال الشارح في بيان معنى هذا المقطع من الدعاء: ((**وفي الكلام استعارة مصرّحة، حيث شبّه الفترة وما فيها من البدعة والجهالة والضلالة بالليل؛ لكونه جاعلاً صاحبه، كمَنْ يمشي في الظلمة، فلايهتدي للطريق ولايأمن أن ينال مكروهاً، ثمّ ذكر المشبّه به وأراد به المشبّه، وفيه دلالة على أن هذا الدليل إنّما ظهر من قبيلة ماكانوا من أهل العلم، بل كان من بلدة ما كان فيها من أحد من العلماء، بل كانت الجهالة غالبة عليهم**))[٤].

فالاستعارة–ههنا– واضحة تشبيه فترة الجاهليّة وأيامها بالليل الأليل هو من باب ظل ظليل وهي تفيد المبالغة في الوصف فاستعار لها صفة الليل الحالك الظلام والشديد العتمة ليعبر عن فكرة أنه عَلَم يهتدي به وبرسالته المرء من الظلمات إلى النور، فالاسلام نور ينير طريق الحياة إلى مرفأ السلامة الأبدية، والسعادة في الدّارين.

---

(١) إبراهيم: ١.

(٢) ينظر: الشامل في اللغة العربية، د. عبدالله محمد النقراط: ١٥٥.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦٧.

(٤) المصدر نفسه:٧١.

وكذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَالْماسِكِ مِنْ أَسْبابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الاطْوَلِ))[1]، حيث استعار الحبل عن كتاب الله تعالى، فهو حبل ممدود من السماء إلى الأرض، من حيث انّ التمسّك به سبب للنجاة، فقال:((**وفي الكلام استعارة مصرّحة حيثُ أنّه استعار له الحبل، من حيث أنّ التمسك به سبب للنجاة عن الردى، كما أنّ التمسّك بالحبل سبب للسلامة عن التردّي، واستعار للوثوق به والإعتماد عليه التمسّك والإعتصام ترشيحاً للمجاز ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[2]. هذا إذا كان المراد بحبل الله كتابه . وأمّا إذا كان المراد به دينه، فشرافته وأطوليته ظاهرة؛ لأنه (صلى الله عليه وآله) لمّا كان خاتم الأنبياء كانت شريعته الغرّاء وملّته البيضاء باقية إلى يوم الدّين. أو يُقال: أنّ الحبل الأطول كناية عمّا هو أقوى وأحكم في الإيصال إلى المطلوب. والأول هو المتبادر والمنساق إلى الذهن، وهو الأكمل**))[3].

احتمل الشارح معنيين للفظ (الحبل) أولهما: كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم، وثانيهما: المراد بالحبل دين الله القويم الذي اختاره ليهتدي به الناس كافة.

فنرى أنّ الشارح ذكر أنّ الإمام(عليه السلام) استعار الحبل عن كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم، فقرّب معنى الحبل بحسب السياق، ورجّح المعنى الأول له بالمتبادر والدليل العقلي.

ويرى الباحث أن المراد هنا من (الحبل) هو القرآن الكريم، فهو العروة الوثقى التي لا أنفصام لها وعصمة من الضلالة، كما ورد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) : ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض))[4].

واحتمل الشارح عدة احتمالات للفظة (ألبسني) الواردة في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((وَأَلْبِسْنِي اللّهُمَّ مِنْ أَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالصَّلاحِ))[5]، ومنها الاستعارة التصريحيّة وبحسب دلالة السياق، فقال: ((**ألبسته الثوب فَلَبسه، وهذا الفعل وما شاكله من الأفعال التي لايتعلّق معناها الحقيقي بالهداية والصلاح من باب الاستعارة التمثيليّة، أو شبّه ما يغشي الإنسان عند كونه مهتدياً صالحاً من الفيوضات الرّبانيّة والكرامات الرحمانيّة باللباس؛ لإشتماله اللابس، ثمّ أُستعير له اللباس، فالاستعارة مصرّحة حيث أطلق أسم المشبّه به على**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٧٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٧٣.

(٤) الدرّ المنثور، جلال الدين السيوطي:٣٤٩/٧.

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح : ٨٨.

المشبّه. ويحتمل أن تكون تبعيّة. وإضافة الخلعة إلى الهداية، إضافة اللُجين إلى الماء، أو بيانيّة.
أو يُقال: تشبيه الهداية والصلاح باللباس مكنيّتان، وإثبات الإلباس والأخلاع ترشيحيّتان، وهم كثيراً ما يشبّهون صلاح الرجل بشعاره وبدثاره.
وأمّا هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار والصلاح والدثار. وإنّما سُمّي اللباس المخصوص بالخلعة؛ لأنه يُخلع عن البدنِ، أي: يُنزعُ ليُصان ويُحفظ، وفيه إيماء إلى أنّ الصالح والمهتدي مُكرّمان عنده تعالى ومُعظّمان؛ إذ الملك لايخلع من عبيده إلا مَنْ أراد إكرامه وإعظامه: إمّا تفضّلاً، أو لسابقة إستحقاقه لذلك))[1].

فقد شبّه الإمام(عليه السلام) الهداية(المشبّه) بالخِلْعَةُ((المشبّه به)، وهي: ((كلّ ثوب تخلعه عنك. ويقال: هو ما كان على الإنسان من ثيابه تاماً. والخلعة: أجود مال الرجل، يقال: أخذت خلعة ماله، أي: خيرت فيها فأخذت الأجود فالأجود منها))[2].

وطلب من الله تعالى أن يلبسه ثوب الهداية وهي من الأمور المعنوية، وأمّا الثوب فهو من الأمور المحسوسة، فاستعار هذا المعنى ليكون أكثر دقة وإيضاحاً للمعنى. فكما أن الأثواب على درجات متفاوتة في الحسن، كذلك الهداية فإنها تكون على درجات. فالداعي يطلب من ربه أن يلبسه أفضل أثواب الهداية والصلاح .

ومن أنواع الاستعارة التصريحيّة التي ذكرها الشارح الاستعارة التحقيقية، وهي ما كان المستعار له فيها محققاً حسّاً أو عقلاً بأن كان اللفظ منقولاً إلى أمر معلوم وذلك الأمر يمكن الإشارة إليه إشارة حسيّة أو إشارة عقلية[3]. ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((إلهي إنْ لَمْ تَبْتَدِئنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي إلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ))[4].

قال الشارح: ((**والإضافة في (واضح الطريق) من إضافة الصفة إلى الموصوف. وفي الكلام استعارة تحقيقيّة تصريحيّة، حيث شبّه العبادات والرياضات والمجاهدات الشرعيّة بسلوك الطريق، ثمّ ذكر المشبّه به وأُريد به المشبّه. والمراد بوضوحه: أنّه تعالى خلق الإنسان بشراً سويّاً مكلّفاً، ونصب لهم الأدلّة على ربوبيّته ووحدانيّته وإستحقاقه الطاعة والعبادة، لِما ركّب**

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٨٨.
(٢) كتاب العين:١/٤٣٤(خلع).
(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧٣.
(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٤.

فيهم وفي غيرهم من عجائب خلقته، وغرائب صنعته، وشهدت بها عقولهم التي ركّبها فيهم، وجعلها مميِّزة بين الضلالة والهداية))[1].

نجد أن سياق الدعاء يتحدّث عن مقام الأنس بمخاطبة الله تعالى، لذلك جاءت كلماته وألفاظه (عليه السلام) مُتناسقة مُنسجمة قد إختيرت بدقة عالية، ومنها الصياغة النحوية في (واضح الطريق) إذ جاء بها بصيغة إضافة الصفة إلى الموصوف ولم يقل (الطريق الواضح)، فلو جاء بها لما كان الكلام بهذه الصورة الجميلة ولذهب الإنسجام الصوتي لهذه العبارة. فاستخدم الإمام (عليه السلام) استعارة المشي في الطريق للتعبير عن مقصوده في الوصول إليه سبحانه وتعالى، فهي استعارة تحقيقيّة، فحقيقة الطريق هي الوصول إليه تعالى عبر الطريق الذي أختاره لعباده المؤمنين وبما يشتمل عليه من تعاليم أخلاقية وأجتماعيّة، وأحكام شرعيّة. فعلى الرغم من أن طريق الهداية واضح لا لبس فيه، لكن السير على هذا الطريق مخوف؛ لِما فيه من مهالِك ومنزلقات فيحتاج إلى حسن التوفيق منه تعالى.

٢-الاستعارة المكنيّة

وهي الاستعارة التي يحذف فيها المشبه به(المستعار منه) ، ويرمز له بشيء من لوازمه[2]، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** ﴾[3]. شبّه الغضب بالإنسان الذي من شأنه أن يحصل منه السكوت أو عدمه، وحذف المشبّه به، وهو الإنسان، ودلّ عليه بلازم من لوازمه، وهو السكوت، فهي استعارة تبعيّة. ومن الاستعارات المكنية التي ذكرها الشارح :

قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ))**[4].

قال الشارح: **((والنطق يُطلق على الظاهريّ الذي هو اللفظ، والباطني الذي هو إدراك الكليّات. وعلى القوّة التي هي مصدر ذلك الفعل ومُظهر هذا الانفعال، أعني الناطقة. والمراد به هنا: الأوّل على وجه الإستعارة... وإضافته إلى التبلّج إضافة الذهب إلى الأصيل، حيث شبّه التبلّج الذي هو السبب لكشف السير بالنطق الذي هو سبب لظهور ما في الضمير، ثمّ قُدّم عليه وأُضيف إليه، وكما أن النطق لازم للسان المتكلّم، فكذا التبلّج لازم للسان الصباح...ولكَ أن تقول: تشبيه الصباح في النفس بالشخص المتكلّم لجامِع الإظهار والكشف، إذ الصباح كاشف**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٧.

(٢) ينظر: البلاغة الواضحة:٨٤.

(٣) الأعراف: ١٥٤.

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤.

الستير، كما أنّ المتكلّم كاشف الضمير، استعارة بالكناية واثبات اللسان له تخييل، وهذه الاستعارة قرينة الاستعارة الأولى، كالأظفار للمنيّة في قوله:

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها[١]

لأن المكنيّة والتخييليّة على مذهب صاحب الإيضاح[٢]ومن يرى رأيه متلازمان، لايتحقق أحداهما بدون الأخرى، إذ التخييليّة على هذا المذهب تجب أن تكون قرينة المكنيّة، كما أنها تجب أن تكون فرينة التخييليّة البتة. وإنّما قلنا على هذا المذهب؛ لأن صاحب الكشّاف والمحقّقين من شُرّاح كلامه يقولون: أن المكنيّة قد توجد بدون التخييليّة، وأن قرينتها قد تكون تحقيقيّة تصريحيّة، كاستعارة النقض لإبطال العهد في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[٣]. حيث استعار الحبل للعهد، وهي مكنيّة، ونبّه عليها بذكر النقض الذي هو إبطال تأليف الجسم، وهي استعارة تحقيقيّة تصريحيّة، حيث شبّه إبطال العهد به، وأطلقَ اسم المشبّه به على المشبّه. وهذا معنى قوله في الكشّاف: ((شاع استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين. ومنه قول أبي التيّهان في بيعة العقبة: يا رسول الله، إن بيننا وبين القوم حبالاً، ونحن قاطعوها، فنخشى إن الله عز وجل أعزك، وأظهرك، أن ترجع إلى قومك.

وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس لم تقل هذا، إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر))[٤]...قال العلامة التفتازاني: ((استفدنا منه، أن قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب أن تكون استعارة تخييلية، بل قد تكون تحقيقية))[٥]... فهنا يصّح أن يُقال: استعار الصباح للشخص المتكلّم وهي مكنيّة، ونبّه عليها بذكر اللسان، الذي هو آلة الإيضاح والافصاح، وهي استعارة تصريحيّة، حيث شبّه إيضاح الصباح وأظهاره الأشياء كما ينبغي باللسان، ثمّ أطلق اسم المشبّه به على المشبّه ، فتأمّل فيه))[٦].

---

(١) ديوان أبي ذؤيب الهذلي:٤٩.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) وكتابه الإيضاح في علوم البلاغة.

(٣) البقرة:٢٧.

(٤) تفسير الكشّاف:٢٤٦/١.

(٥) المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني:٦٠٢.

(٦) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٢١-٢٣.

نلاحظ أن الشارح عدّ الاستعارة هنا استعارة مكنية تخييلية، فقد شبّه الإمام (عليه السلام) الصباح بالشخص المتكلّم بجامع الافصاح في كليهما، واستعار اللسان لنور الصباح، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، ولفظ(النطق) هو قرينة للترشيح، فالاستعارة هنا ترشيحيّة؛ لأنها تلائم المشبه به ، أو تخييل بإثبات اللّسان الذي هو من ملائمات المشبّه به، فتكون الاستعارة تخييليّة؛ لأن القرينة(النطق) صورة وهميّة متخيّلة للصباح لايمكن الإشارة إليها لاحسّاً، ولاعقلاً.

فجاءت كلمة (دلع) لتعطينا إيحاء يصور لنا خروج اللسان وتدليه بعيداً عن ظلمة الفم، فكما أن لسان الإنسان هو آلة النطق والافصاح عن المكنونات، كذلك لسان الصباح، أي: نوره المنبثق فهو آلة الأشراق والأضاءة والنطق فجراً بقدرة الله وإذنه، فكلا اللسانين ناطق.

وذكر الشارح جملة آراء لتحقيق المعنى الذي ذكره، واحتمل كونها تصريحية كذلك، ثم ذكر حاصل المعنى ولم يرجّح أي واحدة منهما، فقال: ((**وحاصل المعنى: أنّه دعا ونادى الذي أخرج لسان الصباح بان جعله مشرقاً مضيئاً للعالم، معرباً لِما فيه من الأشياء، كالنطق الذي هو معرب لذات الصدو، أو بأظهار نوره وأعتراض ضوئه**))[1].

وكذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَيَاهِبِ تَلَجْلُجِهِ))[2].

نجد استعارة مكنيّة تبعيّة ذكرها الشارح بقوله: ((**المراد بالسرح هنا: التخليّة وعدم المنع، كما تسرح الماشية في المرعى... ولمّا كان الليل عبارة عن الزمان المذكور، وكان الزمان من الكميّات المتّصلة القسمة، وللقسمة بذاتها، كانت له أجزاء وقِطع... فتشبيه قطع الليل بقطع الماشية، استعارة مكنيّة، وإثبات التسريح لها تخيّيل أو ترشيح، وفي سرّح باعتبار ضمير الفاعل استعارة تبعية. أو الغرض منه تمثيل حاله تعالى في إرساله واذهابه قطع الليل شيئاً فشيئاً بحال الراعي في تسريحه قطيع الماشية مكاناً فمكاناً، إلا أنّه لم يُصرّح في جانب المشبّه به ما بإزاء المشبّه من الألفاظ إلا بكلمة (سرّح)، فأن مدلولها هو العمدة في هذه الهيئة، وما عداه تبع يلاحظ في ضمن ألفاظ منويّة، فلا تكون لفظة(سرّح) استعارة. ويمكن جعله من قبيل التمثيل المفرد، بأن يُشبّه ذات الله –تعالى عن ذلك– بالراعي، ويشبّه قِطع الليل بقطيع الغنم وإرساله إيّاها، إلى غير ذلك من الأشارات. لعلّ الأوّل أولى بالأعتبار عند أُلي الأبصار**))[3]

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧.

التسريح : سرّح الراعي الماشية: ارسَلها، وهوالإرسال برفق ولين[١]، والمراد بقِطع اللّيل ساعاته ودقائقه.

فالاستعارة مكنية حيث شبّه الإمام(عليه السلام) الكيفية التي يُصرَف ويُسرّح بها قطع الليل، وهي قطع الظلام الذي يختفي تدريجياً بصورة الراعي الذي يقود قطيع الماشية ويسيّرها كيف يشاء والى اي إتجاه يريد، وهو مسيطر عليها، وهي صورة مألوفة، استعيرت لتدل على أمر الله تعالى لآنات الليل وساعاته بالإنصراف وهو يسرّحها كيف يشاء في سيرها الزمني الرتيب . ولفظ (التسريح) هو القرينة؛ لأنه تخييل لصورة وهميّة متخيّلة، أو ترشيح؛ لأن إدبار اللّيل تدريجياً يكون قطعاً قطعاً في أختفائها، وهذا ما يتناسب مع السياق وباعتبار ضمير الفاعل، فتكون الاستعارة تبعية. فنلاحظ هنا كيف اعطى الشارح احتمالات الاستعارة؛ لأن السياق يحتمل ذلك ثم يرجح ما يراه انسب للسياق.

ومن الاستعارةالمكنيّة أيضاً ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((وَافْتَحِ اللّهُمَّ لَنا مَصاريعَ الصَّباحِ بِمَفاتيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلاحِ))**[٢]. قال الشارح: **((والمفتاح: آلة الفتح، وهي مايُفتح به المغلاق، والمُفتِح مثله، وكأنه مقصور من الأوّل، وجمع الأوّل (مفاتيح)، والثاني (مفاتِح) بغير ياء، ثمّ اُستعير لِما يتوصّل به إلى الأمر...والفلاح: البقاء والفوز والظفر، وهو من أفلح... وفي الكلام استعارة بالكناية وتخيليّة وترشيحيّة، حيث شبّه أجزاء الصباح لكونها ظرفاً بالمنزل والدّار المقفول بجامع عدم العلم بما فيه من الحوادث الإستقباليّة، وطوى ذكر المشبّه به، مصرّحاً بالمشبّه، وأثبت له المصاريع والمفاتيح، ثمّ ذكر الفتح ترشيحاً للاستعارة، أو هو استعارة تبعيّة. والأضافة في الموضعين لاميّة، أو في الأوّل لاميّة، وفي الثاني بتقدير (من)، كما في خاتم فضّة، أو بيانيّة، ولايخفى لطافة تشبيه الرحمة والفلاح بالمفتاح، فيكون من إضافة المشبّه به إلى المشبّه، ولعلّ المراد بمصاريعه: طلوع قوس النهار قطعة قطعة، أعني: إنقضاء أجزاء النّهار تدريجيّاً))**[٣].

شبّه الإمام (عليه السلام) أنوار الصباح وبدء يوم جديد بالمنزل المقفل، الذي لايُعلم ما بداخله من الحوادث الأستقباليّة، وأثبت له أبواباً عظيمة قد أوصدت مصاريعها بأقفال محكمة. فاستعمل الفاظ مثل (أفتح، ومصاريع، ومفاتيح) وهي أمور محسوسة ماثلة للعيان ليعبّر بها عن أمور معنويّة تناسب سياق الدّعاء، فالداعي يستدر عطف خالقه ورحمته ليفتح عليه أبواب

---

(١) ينظر: الصحاح : ٣٧٤(سرح).

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٦.

(٣) المصدر نفسه:٨٧.

الرحمة، عند بداية طلوع الفجر الصادق بمفاتيح رحمته ويقدر له في يومه الجديد الفوز والنجاح في أعماله.

فالاستعارة هنا–كما يرى الشارح– مكنيّة ترشيحية والذي رشّحها الفعل (أفتح)حيث حذف المشبّه به وهو (الباب)، وأثبت ما يدّل عليه، وهو(المصراع). واحتمل أيضاً كونها استعارة تبعيّة، حيث استعار (الفتح) للدلالة على المستعار.

المبحث الخامس

التشبيه والكناية

المطلب الأول: التشبيه

التشبيه في اللغة: التمثيل أو المماثلة[١]، قال الخليل: ((في فلان شبه من فلان ، وهو شَبَهُهُ وشْبهَهُ، أي: شبيهه، وتقول: شبّهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلانا))[٢]، وتناول ابن فارس اللفظة فقال: ((الشين والباء والهاء: اصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا))[٣] .

والتشبيه في الاصطلاح: ((العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل))[٤]، وهو ((الوصف بان أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه ناب منابه او لم ينب))[٥] . وعَرَف الخليل (التشبيه) وذلك في معرض حديثه على بعض القواعد النحوية، ومثل له بقوله : ((له صوت صوت الحمار))[٦]. وورد عند سيبويه مثل ذلك في قوله: ((تقول: مررت برجل أسد ابوه، إذا كنت تريد أن تجعله شديداً، وتقول: مررت برجل مثل الأسد أبوه، إذا كنت تشبهه))[٧].

ونجد له إشارات أخرى حملها على سعة الكلام، وذلك بقوله: ((ومثله في الاتساع قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾[٨] . فلم يُشبّهوا بما يَنعق، وإنّما شُبهوا بالمنعوق به، وأن المعنى: مثَلَكم ومَثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز؛ لعلم المخاطب بالمعنى))[٩].

---

(١) ينظر: لسان العرب:٢٣/٧(شبه).

(٢) كتاب العين: ٣٠٤/٢(شبه).

(٣) مقاييس اللغة: ٢٤٣/٣(شبه).

(٤) النكت في إعجاز القرآن، لابي الحسن بن علي الرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٨٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب: ١٦٦/٢.

(٥) كتاب الصناعتين:٢٤١.

(٦) الكتاب:٣٦١/١. .

(٧) المصدر نفسه:٢٨/٢.

(٨) البقرة:١٧١.

(٩) الكتاب : ٢١٢/١ .

والتشبيه من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها.[١]وبلاغته تتضح من خلال إثباته للمشبه حكماً من أحكام المشبه به. أو إلحاق شيء بذي وصف، وقيل : هو الدلالة على تماثل شيئين في وصف، وهو من أوصاف الشيء الواحد، وهو حكم إضافي لا يردّ إلا بين شيئين[٢].

وقد حدد البلاغيون أربعة أركان للتشبيه، هي :

١. المشبه، وهو الشيء الذي يُراد تشبيهه وابراز صفته وبيان حاله .
٢. المشبه به، وهو الشيء الذي يشبه به، وتتضح فيه صفة المشبه وحاله .
٣. وجه الشبه، وهو ما يشترك فيه طرفا التشبيه من الوصف .
٤. أداة التشبيه، وهي كل لفظ يدل على المشابهة ،وقد تكون حرفاً أو اسماً أو فعلاً. فالمشبه والمشبه به هما طرفا التشبيه، ولا يجوز حذفهما، أو حذف أحدهما. أما وجه الشبه وأداة التشبيه فيجوز حذفهما معا، أو حذف أحدهما[٣].

وقد قسّم البلاغيون التشبيه إلى أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة، وسنقتصر الحديث على ما ورد في الشرح ومنها:

التشبيه البليغ

هو ((ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة))[٤]، ويُعَدُّ أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة؛ وذلك لما فيه من إدّعاء أن المشبه هو عين المشبه به ولما فيه من الإيجاز الناتج عن حذف الأداة ووجه الشبه[٥]، وأيضاً "لان الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى"[٦].

ومن نماذج التشبيه البليغ التي جاءت في الشرح ، منها تعليق الشارح على قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((((**يا مَنْ اَرْقَدَنِي فِي مِهادِ اَمْنِهِ وَاَمانِهِ**))[٧]. إذ قال: ((**والمهد معروف: وهو الذي يُهيأ للصبي ويوطّأ، والأرض كالمهاد:** ﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾[٨]، و﴿ **أَلَمْ**

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٥٠٦.

(٢) ينظر: أمالي في علم البيان وتاريخه، علي عبد الرزاق:٧٥.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :١٧٢/٢-١٧٥.

(٤) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، احمد مصطفى مراغي: ٢٧٧.

(٥) ينظر: أمالي في علم البيان:٧٦.

(٦) الإيضاح: ٢٥٩/٢.

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٦٠.

(٨) الذاريات : ٤٨.

نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾[1].أي: بساطاً ممكَّناً للسِلوك. وقيل: المِهاد بالكسر: الفِراش، وجمعه: مهد، ككتاب وكتب، ويكون المِهاد جمع مَهد أيضاً، كَ(سَهمٍ وسِهام)، ويجمع على مهودِ أيضاً، كفلسٌ وفلوس.

والإضافة من قبيل لُجين الماء، حيث شبّه الأمن والأمان بالمِهاد لجامع الراحة، ثمّ قدّم المشبّه به على المشبّه وأُضيف إليه، أو بيانيّة. أو شبّه الأمن والأمان بفضاء متّسِع، ثمّ أثبت له المِهاد، ولعلّه الأنسب بالنظر إلى لفظ الجمع، وأمّا على الأوّلين، فلعلّه محمول على المبالغة، أو أُريد به المفرد))[2].

ينقل لنا الشارح الصورة البيانيّة التي ذكرها الإمام(عليه السلام) والتي تتحدث عن رحمته تعالى متمثلة في رقود عبده في مهاد أمنه وأمانه تبارك وتعالى، فهو تشبيه بليغ، أي: في أمن كالمهاد، مثل (لُجين الماء) فمراده من هذا الوجه التشبيه البليغ، وقد تكرر مراراً. وقدّم المشبّه به على المشبّه وحذفَ أداة التشبيه، حيث شبّه ذلك بالأم التي وضعت طفلها في مهده تهدهده وترقيه وتنظر اليه بعين قد أثقلها النعاس وأتعبها السهر، تنتظر إغفاءة طفلها لتأخذ هي قسطاً من النوم ولو لبعض الوقت، والذي دفع الأم لتحمل ذلك هو حبها لولدِها وعطفها عليه. من خلال هذه الصورة يبين الدعاء لطف الله بعبده إذ مَنّ عليه بهذه النعمة (النوم) فالقى عليه نعاسا لينام في فراش خاص هو أمنه وأمانه تعالى، فهو أحنّ على عبده من حنان الأم لولَدها.

وللشارح تطبيق آخر ادرك فيه علاقة صور البيان (الإستعارة والكناية) في ابراز أحد طرفي التشبيه وبهذا الجمع بين التشبيه والكناية دلالة على فهم الشارح لوحدة المباحث البلاغية في بيان معاني النصوص البلاغية، ويمكن ملاحظة هذا التطبيق في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وَاَدِّبِ اللّهُمَّ نَزَقَ الْخُرُقِ مِنّي بِاَزِمَّةِ الْقُنُوعِ))[3].

يقول الشارح: **((شبّه (عليه السلام) قِوى النفس الأمّارة بالسوء التي ينشأ منها النزق ويصدر عنها الشرّ، وهي المفتقرة إلى التأديب لنزقها بالنوق بجامع عدم القيادة والسكون وترك الشهوة. فأثبت لها الأزِمّة: إمّا لتعددها، أو للإشارة إلى أنّها لاتنقاد ولاتطيع بزمام واحد، أو لأختلاف متعلّقات الشهوة، واحتياج النفس في الكفّ عن كل واحد بزمام وقناعة أخرى وصبر آخر، ففيه إستعارة بالكناية وتخييل أو ترشيح. وإضافة الأزمّة إلى القنوع إضافة اللُجين إلى الماء، أو الإضافة فيه بيانيّة، أو بتقدير (مِنْ). وبتقرير آخر: شبّه نزق الخرق، وهو من الكيفيّات النفسانيّة بالناقة المحتاجة إلى التأدّب بالأزِمّة، وسكت عن ذكر المشبّه به وذَكَرَ**

---

(١) النبأ:٦.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٦١.

(٣) المصدر نفسه:٩٦.

المشبّه، فالإستعارة مكنيّة، وإثبات التأديب بالأزِمّة له تخييليّة. ثمّ شبّه القنوع بالأزِمّة، فأنه كما يمنع الزِمام نزق الناقة، يمنع القنوع نزق النفس، ثمّ قدّم المشبّه به وأُضيف إلى المشبّه، كما في ذهب الأصيل ولُجين الماء، وحاصل المعنى: وامنع اللهم أو سكّن وثوب نفسي واضطرابها لأجل الفقر وعدم الصبر بأزمّة القنوع))[١].

النَّزَقُ: الخفة والطيش[٢]، والخُرق بالضم: الجهل والحمق[٣]. والأزمّة[٤]: جمع زِمام وهو مقود الناقة، حيث شبّه (عليه السلام) النفس الإنسانية وما تحمله من الطيش والحمق بالدابة الجموح التي لايمكن السيطرة عليها إلا بالقنوع فهو الزمام الذي يمسك هذه الدابة ويروضها، وهذه الأزمة مصدرها القنوع وهو الرضا والتسليم بما قسم الله تعالى .

وصرّح الشارح بمصطلح التشبيه البليغ في شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): **((وَمَسائي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدى))**[٥]. إذ قال : **((ومسائي: مفعول أول للجعل، و جِنّة: ثانٍ له، وهي بالضم : الستر والوقاية، ومنه ((الصوم جُنة من النار))**[٦]**. والجمع (جُنَن) بضم الجيم وفتح النون، ومنه سُمّيت (الترس) جُنّة؛ لأنه يوارى حامله ويستره ويقيه عمّا يؤذيه من الضربات والطرقات. وهذا هو المُراد هنا. ففي الكلام تشبيه بليغ، أي: إجعله كجُنّة واقية، تدفعُ بها منّي ما هو شرّ لي من كيد العدى الداخلة والخارجة أو الأعمّ. وألأوسط أوسط، لتكون الفقرة التالية تأسيساً؛ لأنّه خير من التأكيد. ولايخفى لطافة تشبيه الماء بالجِنّة لجامع الستر والتواري بينهما))**[٧].

شبّه الإمام (عليه السلام) المساء الذي هو المشبّه، بـ(الجُنّة)، وهي ما يُستَتَر به، وهي المشبه به؛ لأن طبيعة الليل وهو المعبّر هنا عليه بالمساء تنطوي على الظلمة والسكون فيكون ساحة للعدو الخفي الشيطاني من الوساوس النفسية والشيطانية التي تجر الانسان الى السقوط في المهلكات، وكذلك يشكل ساحة مناسبة لعدو آخر وهو العدو الإنساني الظاهر ينسل في وسط الظلمة ليفتك ويقتل ويسرق ويهلك الحرث والنسل، فيطلب منه تعالى أن يجعل مساءه ترساً منيعاً ضد العدو الخارجي ووقاية من الأهواء والوساوس النفسية المهلكة.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٠٢-١٠٣.

(٢) ينظر: الصحاح: ١٥٥٨(نزق).

(٣) ينظر: لسان العرب:٤/٧٤(خرق).

(٤) ينظر: كتاب العين:٢/١٩٤(زمم).

(٥) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٧.

(٦) عوالي اللآلىء: ٣/١٣٢.

(٧) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٥٧.

- **تشبيه المعقول بالمحسوس**

وهو ما كان طرفه الأول (المشبّه) عقلي، وطرفه الثاني(المشبّه به) حسّي، ومن ذلك ماورد في قول صاحب الدعاءالإمام علي (عليه السلام): ((**وَالنّاصِعِ الْحَسَبِ فِي ذِرْوَةِ الْكاهِلِ الْاَغْبَلِ**))[1]. ويعلّق عليه الشارح بالقول: ((**الناصع: الخالص من كل شيء، ومن الألوان أحسنها. ونصع الأمر نصوعاً وضح لونه واشتدّ بياضه... والحسب في الأصل: الشرف بالآباء ومايعده الإنسان من مفاخرهم ...وبالجملة، الحسب: عبارة عن شرف الإنسان ومكارمه ومناقبه، كالشجاعة، والسخاوة، وحسن الخُلق...والذُروة بالضم والكسر: أعلى سنام البعير، وذروة كلّ شيء: أعلاه...وكاهل البعير مقدّم ظهره، وهو الذي يكون عليه المحمل...والعبل الضخم من كلّ شيء، والعبلاء: حجارة بيض...فكأنما اُستعير البياض لخلوص الحسب والنسب والخَلق والخُلق... والمعنى: صلّ اللهم على منْ وضحت وخلصت مفاخره الجسمانيّة والروحانيّة من شائبة نقص أو قد، حال كونها ثابتة في أعلى محلّ وأشرف موضع وأحفظ مكان لايمكن أن تناله يد طاغيّة. فتشبيه الحسَب وهو من المعاني المعقولة بالاجسام المحسوسة، تشبيه معقول بمحسوس، مبالغة في وضوحه وعدم إمكان إنكاره والقدح فيه، كيف وله بأبي وأمّي (صلى الله عليه وآله) مفاخر غزيرة ومآثر كثيرة، لايحيط بها حدّ ولايحصيها عدّ، فأن البحر لاينزف وسرّ الغيب لايعرف**))[2].

حيث شبّه الإمام (عليه السلام) النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في حسبه الشريف وهو من المعاني المعقولة بالكاهل وهو مقدم أعلى الظهر، او مَنْ يجلس على سَنام البعير فيُشار إليه لأنه في أعلى الهرم، والأعبل وهو الحجر الصُّلب ذُو البياض الشديد، وهما من الأجسام المحسوسة، مبالغة في وضوحه وعدم أمكان إنكاره والقدح فيه (صلى الله عليه وآله) حيث كان ذا شرف عظيم ونسب رفيع ومجد أصيل فهو بشخصه الكريم كان بتلك الصفات الرفيعة بالاضافة إلى شرف آبائه وأجداده الطاهرين.

وهناك مثال آخر للشارح من تشبيه المعقول بالمحسوس وهو ما يُطلق عليه: التشبيه التمثيلي، ويكون من جهة أمر يُحتاج في تحصيله إلى تأوّل وصرف عن الظاهر لأنّ المشبه غير مشارك للمشبه به في حقيقة وجه الشبه الظاهري وجنسه بل في مقتضاه ولازمه . ومثاله كقولك : هذه حُجّة في الشمس كالظهور، أو : ألفاظ فلان كالعسل في الحلاوة .

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٧٣.

(٢) المصدر نفسه:٧٤-٧٥.

ففي الأول شُبّهت الحُجّة بالشمس من حيث ظهورها، وهذا التشبيه لا يتمّ إلا بتأوّل ، وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها. ثم تقول : إنّ الشبهة نظير الحجاب فيما يُدرك بالعقول، فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحُجّة على صحّة ما ادّعى من الحكم قيل : هذا ظاهر كالشمس . وفي المثال الثاني نرى أنّ الحلاوة وجه شبه ظاهري فقط؛ لأنّ المشبه به وهو العسل يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة بخلاف المشبه وهو الألفاظ ، فإنّه لا يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة، ولذا يحتاج إلى التأوّل بإرادة ما تستلزمه الحلاوة من قبول النفس للشيء وحسن وقعه فيها[١].

ويمكن ملاحظة هذا النوع من تعليق الشارح على قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((وهذِهِ اَعْباءُ ذُنُوبي دَرَأْتُها بِرَحْمَتِكَ))[٢]. إذ قال: ((**أي: ما أشير إليه إشارة عقليّة أو حسيّة، فهو أمر مبهم، يُفسّره الأعباء، فصحّة الحمل وإفادته بأعتبار إبهام الموضوع وتعيّن المحمول، كما في: هذا زيد. والحاصل أنّه لمّا شبّه الذنوب بماله مقدار وحجم يحتاج إلى فراغ يشغله، اخترع له الأعباء، وهي أمر محسوس مُشاهَد، فجعلها مشاراً إليها بالأشارة الحسيّة على قياس ما سبق. والعباء: ضرب من الأكسيةَ الواحدة، عباءة وعَباية، وقد يقع على الواحد؛ لأنه جنس، فالعباء إمّا جمع أو جمعه، والمراد بها هنا: صحائف الأعمال، ففيه إستعارة تحقيقيّة تصريحيّة، أو هذا إشارة إلى الصحائف وهي المشبّه، والأعباء بحذف أداة التشبيه هي المشبّه به، والإضافة لاميّة، أي صحائف أعمالي كأعباء لذنوبي، فيكون من تشبيه المعقول بالمحسوس، كتشبيه الحجّة بالشمس. وتشبيه الذنوب وهي الأعراض الغير المتحيّزة بالذات بالأجسام المتحيّزة بالذات الماليّة للمكان، ثمّ إثبات الأحياز لها وهي الأعباء مكنيّة وتخييل. والقول بتجسّم الأعمال على تقدير ثبوته، أنّما هو في النشأة الآخرة، ولعلّه (عليه السلام) يشير بذلك إلى قوله تعالى** : ﴿وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٣]))[٤].

شبّه الإمام(عليه السلام) الذنوب بأمر مبهم لها مقدار وحجم فيحتاج إلى حيز يشغله، وهذا التشبيه لايتم إلا بالتأوّل، فأخترع له الأعباء وهي أمر محسوس مشاهد هي المشبّه به، واسم الإشارة هو المشبه، هي صحائف الأعمال، أي: صحائف أعمالي. فيصور لنا الدعاء حالة

---

(١) ينظر: البلاغة العربية، احمد مطلوب:١٧٩.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٩.

(٣) القمر: ٥٢-٥٣.

(٤) مفتح الفلاح ومصباح النجاح:١٥٠.

الداعي وهو يفوض أمره إلى ربه فيضع بين يدي رحمة ربه ما اقترفته يداه من الذنوب والمعاصي التي اثقلت ظهره ليحطّها عنه بساحات كرمه وعفوه وغفرانه.

- **تشبيه التسوية**

وذلك بتعدد الطرف الأول (المشبّه)، دون الثاني(المشبّه به)، ومن ذلك ما ورد في قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام): ((**وجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِّيَّةِ سِراجاً وَهّاجاً**))[1]. حيث أدرك الشارح هذا النوع من التشبيه وعرّفه، وذكر له عدة وجوه ومرجّحاً أحد هذه الوجوه، فقال: ((**والسراج: معروف ويقال له: النبراس أيضاً، وهو المشبّه به، وهذا التشبيه يُسمّى تشبيه التسوية، وهو أن يكون المشبّه متعدداً دون المشبّه به، كقوله:**

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي[2]

فإن قلتَ: المشبّه به واجب أن يكون أقوى وأزيد في وجه الشبه من المشبّه. قلتُ يجوز عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر كمطلق اللون مثلاً التشبيه أيضاً، كتشبيه الصبح بغرّة لفرس متى أُريد ظهور منير في مظلم أكثر من ذلك المنير من غير قصد إلى المبالغة في وصف غرّة الفرس بالضياء والإنبساط وفرط التلألؤ؛ إذ لو قُصد شيء من ذلك لوجب جعل الغرّة مشبَّهاً، والصبح مشبّهاً به؛ لأنّه أزيد في ذلك.

ويمكن أن يكون هذا التشبيه من باب تشبيه آحاد من الجمل بأخرى مثلها، بأن يشبّه كلّ من النيّرين بالسراج المنير، ويشبّه من يستضيء بنورهما وينتفع به ، وهم البريّة بمن يستضيء بنوره وينتفع به، وإزالتهما الظُلمة، وإظهارهما الأشياء مع ظهورهما بنفسهما، بإزالته الظُلمة وإظهاره الأشياء وظهوره بنفسه، إلى غير ذلك من الإعتبارات. ويمكن أن يكون من باب التشبيه الهيئة الحاصلة من آحاد جمل بأخرى، مثل قوله:

وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً دُرر نثرنَ على بساط أزرق[3]

فإنّه يمكن فيه أعتبار كلّ من التشبيهيَن، وإن كان الثاني أحسن. ولّما كان السراج في الأصل مصدراً لم يُثنّاه أو يقال: لمّا كان إتصاف أحدهما بالسراجيّة في وقت لم يجامع وقت إتصاف الآخر بها أفرد تنبيهاً على ذلك، أو هو جنس يطلق على الواحد والمثنّى، أو حذف في أحدهما، أي: جعلت الشمس للبريّة سراجاً، والقمر أيضاً نوراً أو سراجاً))[4].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٨٨.

(٢) البيت لم يُعرف قائله.

(٣) البيت لأبي طالب الرّقي كما ورد في الإيضاح :١٧٤

(٤) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٨٩-١٩٠.

فالمشبه متعدد وهو الشمس والقمر، والمشبّه به واحد وهو السراج، وحقيقته إناء يجعل فيه زيت، وفي الزيت خرقة مفتولة تسمّى الذبالة تُشعل بنار، فتضيء مادام فيها بلل الزيت[١]، واستخدم (وهاجّاً) دون غيرها من الألفاظ هو الأنسب في الدلالة لإيصال المعنى المراد؛ لأنّه من معانيها في اللغة تجمع بين الضياء، والإيقاد، والتلألؤ، والحرارة، والنور، فيكون منها النور الذي ينير لنا الطريق في الحياة، والإيقاد الذي ننتفع منه من بعث الحرارة إلى درجة معينة يستفيد منها الجسم، وغيرها. فالمراد هنا تشبيه الهيئة الحاصلة من الشمس والقمر بالنسبة للكون، بالهيئة الحاصلة عن السراج، أي : كما جعل الله الشمس والقمر الحسّيّيَن سِراج عالم الحسّ، كذلك جعل الشمس والقمر الحقيقيّيَن سِراج كل العوالم، وهما واسطة إيصال نور الوجود[٢].

ونلحظ هنا ان الإمام (عليه السلام) أفرد السراج ولم يُثنّ؛ لأن السياق جاء في صدد الحديث عن مظاهر الحياة التي يسّرها الله تعالى للإنسان ومنها الشمس والقمر.

المطلب الثاني: الكناية

الكناية في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي كنى،يكني، وتعني: أن نتكلم بالشيء ونريد غيره [٣] . أمّا في الأصطلاح فهي: ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، فالمراد به: طويل القامة، وكذلك قولهم: كثير رماد القدر، أي: كثير القِرى، وقالوا في المرأة المترفة: نؤوم الضحى، أي مخدومة لها من يكفيها امرها))[٤]، وزادها الجرجاني تعريفاً بقوله:((والكناية إذا نظرت اليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طرق المعقول دون طريق اللفظ))[٥]، وقال السكّاكّي في حدّها ((وهي ترك التصريح بذكر الشيء على ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك))[٦] .

((والكناية أبلغ من التصريح، وليس معنى هذا إنك لمّا كنيّت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى إنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ واوكد واشدّ، فليست المزية في قولهم: جمّ الرماد، أنه

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير:٢٣/٣٠.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح، السبزواري: ٣٢٥.

(٣) ينظر: لسان العرب:١٢/١٧٤(كنى).

(٤) دلائل الإعجاز:٦٦.

(٥) المصدر نفسه :٣١٦.

(٦) مفتاح العلوم:٤٠٢.

دلّ على قرى أكثر، بل إنك أثبتّ له القِرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، وأدّعيته دعوى أنت بها أنطَق وبصحتها أوثق))[١].

والكناية أكثر الاساليب البيانية دقة وخفاء، توخاها العرب إستكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصدون من المعاني، محاولين إخفاء المعنى الصريح، ذلك الإخفاء الذي يجنّبهم ما يخشون التصريح به، وبها يزينون ضروب التعبير، ويكثرون من وجوه الدلالة [٢]، فهي من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كلّ بليغ متمرّس بفن القول، إذ تحتاج إلى اللّمحة الذكية، والغوص على المعنى، والمجيء باللفظ الذي يمكن أن يدّل عليه، دون تكلف أو تصنّع، وتتميز بالجمع بين الحقيقة والمجاز، ذلك أن حدودها المعرفية تعتمد على ترك التصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، واستهداف اللازم لا يمنع من إرادة المعنى الأصلي معه، أي: أن المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق.[٣]، وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تُشير إليه إلى ثلاثة أقسام[٤]:

١ – **كناية عن صفة:** هي أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة ولا تقصد هذه الصفة، وإنما تقصد لازمها، كقولنا: فلان طويل النجاد، فالصفة وهي(طول النجاد) نسبت لفلان وهي غير مقصودة وإنما المقصود لازمَ معناها؛ لأنه يلزم من طول النجاة الذي هو حمالة السيف أن تكون قامة حاملة طويلة فهذا كناية عن طول القامة.

٢ – **كناية عن موصوف:** وهي التي يكون المعنى المكنَّى عنه موصوفًا، أو بمعنى آخر هي التي يُشار بها عن موصوف، كقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[٥]فقد كنَّى عن السَّفينة بألواح الخشبِ والمسامير.

٣ – **كناية عن نسبة:** وهي التي يكون المعنى المكنَّى عنه نسبة حاصلة بين الموصوف وصفته الملازمة له، إثباتًا أو نفيًا، ولذلك يُذكَر الموصوف، وتُذكَر صفته، ثُمَّ تتمُّ نسبة هذه الصِّفة إلى ما يلازم صاحبها، أو يتمُّ نفي هذه النِّسبة، كقولنا: الجودُ في طرفي ثوبِهِ. فذُكِرَ الموصوف، وذُكِرت الصِّفة، وهي الكرم، ولكنَّه قد عُدِلَ عن نسبتِها إليه مباشرة، فنُسِبَتْ إلى طرفي الثَّوبِ. وهو ما يلازم صاحبه.

---

(١) دلائل الإعجاز:٧١.

(٢) ينظر: علوم البلاغة، المراغي:٣٠١.

(٣) ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى، د. محمد عبد المطلب:١٨٦.

(٤) ينظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق:٢١١.

(٥) القمر: ٥٤.

لذلك تُعد الكناية عند العرب من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح وأجمل[1]. وقد وردت الكناية في الشرح في مواضع متعددة ودلّل عليها وذكر أحياناً الأغراض البلاغية فيها، ومنها:

- **النداء كناية عن الإعتناء والإكرام:**

وذلك عند شرحه قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**يَامَن دَلَعَ لِسانَ الصباح بنطق تبلّجه**))[2]. إذ يقول الشارح مرجّحاً الكناية على المجاز والتشبيه في تفسيره معنى (ياء النداء) بعد بيانه لأهم الأوجه المحتملة فيها ومنها طلب الإقبال :((**وليس المراد بندائه تعالى إقباله وتوجّهه بوجهه أو بقلبه، على ما يزعمه المجسّمة والمشبّهة ومَنْ يحذو حذوهم، تعالى عن ذلك، بل المراد بكونه مطلوب الإقبال كونه مسؤول الإجابة، أو الإقبال هنا كناية عن الإعتناء والإكرام؛ لأن مَنْ أعتنى بأحد وأكرمه إلتفتَ إليه وأقبل بوجهه عليه، فلاحاجة إلى القول بأنّ نداءه تعالى مجاز؛ لتشبيهه بما له صلوح النداء، إذ القول بأنّه غير صالح للنداء بعيد، مع أن القول بالتشبيه أيضاً غير مناسب**))[3].

فالكناية وردت هنا بمعنى الإعتناء والإكرام، لأن سياق الحال يقتضي ذلك، وهو بيان العطف والرأفة من قبل الله تعالى على عبده، وجاءت الكناية هنا عن نسبة؛ لأن الدعاء أبتدأ بالنداء ومن ثم يتدرّج ببيان صفات الله الدالة على عظمته وقدرته وتمجيده بها، وإظهاراً لكمال قدرته تبارك وتعالى.

- **الكناية لقصد المبالغة**

تأتي الكناية دالّة على صفة مبالغ فيها للتعبير عن الإعجاب والمدح الشديدين، أو الذم الشديد، وسياق الكلام هو الذي يدّلنا على الكناية. فالدّال القريب يوحي بالمدلول البعيد كقولنا (كثير الرماد) كناية عن مبالغتنا في صفة الكرم، فلو قلنا: كريم، لما أوحت الجملة بالظِلال التي حملتها الكناية (كثير الرماد)[4].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٠١/٢.

(٢) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٨.

(٤) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي: ١٦٠.

وقد ورد هذا النوع من الكناية في سياق بيان مفاخر وعلو منزلة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وذلك في قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلى زَحالِيفِها فِي الزَّمَنِ الأوّلِ**))[1].

قال الشارح : ((الثبات: القرار وعدم العثرة في العاثور، والقَدَم: معروفة، وهي الرِجل... والزحلوفة: موضع تزّل فيه الأقدام، ولاتكادُ تثبت بوجه... ومنه في وصفه (صلى الله عليه وآله): **((الثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأوّل))، أي: قبل النبوة ... والمعنى : صلِّ اللهمّ على مَنْ كانت قَدَمه ثابتة مع وجود مزالّها في الزمن الأوّل .**
فأن حملت (القَدم) على ما هو المعروف منها وهو: الرِجل، فالمراد بالزمن الأوّل: صدر الأسلام قبل شوكته، كيوم أُحد، ويوم الأحزاب، فأنّه (عليه وآله السلام) كان قوي القلب، فارساً، كَمِيتاً شجاعاً في الحروب، محامياً واثقاً بالله وبمواعيده، لم يفرّ من أحد من أعدائه قطّ، لاقبل النبوّة ولابعدها، وإن عظمت البليّة، وشَدّت المحنة، إلا فيما كان مأموراً من الله بالهرب والفرار، لضرب من المصلحة، كهربه من قريش في ليلة الغار. وعلى هذا فثبات قَدَمه كناية عن شجاعته، من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فأن ثبات القَدَم في المخاطر والمهالِك أدلّ دليل وأقوى أمارة على الجرأة والشجاعة، وقوّة القلب والجسارة. فهو كقولك: زيد طويل النجاد أو كثير الرماد، تُريد به طول قامته وغاية جوده وسخاوته، وكثرة طبخه وضيافته. وإن حملتها على قِدم الذهن وثبات الفكر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييل والترشيح... ويُحتمل أن يكون إشارة إلى عصمته وطهارته(صلى الله عليه وآله وعدم خَطَائه في أمر الدّين والدنيا من مهده إلى لحده))[2].

فحمل الشارح الكناية في لفظ (القَدم) بحسب سياق الدعاء، فأن حُملت على معنى (الرِجل) فهي كناية عن الشجاعة، وأن حُملت على قدم الذهن وثبات الفكر، أو إشارة إلى عصمته وطهارته(صلوات ربي وسلامه عليه)، فكلها ذكر ومبالغة في صفاته (صلى الله عليه وآله)، فجاءت الكناية هنا عن صفة، فهو كان ثابت القدم في الحق عند مزالق الجاهلية وفتنها، شجاعاً رابط الجأش قوي العزيمة، ثابت الايمان، لم تثنِ عزمه المؤامرات والعقبات التي كان قومه يضعونها في طريقه.

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٧٧.

(٢) المصدر نفسه : ٧٧-٧٨.

- **الكناية عن المجاورة والقرب المعنوي**

نحو قول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) : ((**إلهي أتَراني ما أتَيْتُكَ إلاّ مِنْ حَيْثُ الآمالُ أمْ عَلِقْتُ بِأطْرافِ حِبالِكَ إلاّ حينَ باعَدَتْني ذنُوبي عَنْ دارِ الْوِصالِ**))[1].

قال الشارح: ((**والدار: محلّ يجمع البناء والعَرَصة، ففي الكلام إستعارة تصريحيّة أو تشبيه للمعقول بالمحسوس، فأن دار وصاله عبارة عن محلّ الزُلفة لديه، حيث تناله غواشي رحمته وفضله وكرامته الدّائمة، الذي لايتغيّر صاحبه بعلّة قهريّة، ولايزول عنه بالستر والحجاب. فهو كناية عن القرب منه والرفعة عندها بواسطة نيل الثواب، تشبيهاً بالقرب المكاني، وليس المراد به الملاصقة في المساكن، ولا بالوصال إتّصال شيء بشيء، كما يتوهّمه المُجسّمة ومَنْ يحذو حذوهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. بل المراد: التبتّل والإنقطاع إلى الله، والتجافي عن دار الغرور، والترقّي إلى عالم النور، والأُنس بالله، والوحشة عمّا سِواه، وتصير الهموم همّاً واحداً بجعل الفكر مستغرقاً في أسرار الملكوت، وقصر الحواس على إجتلاء أنوار الجبروت... وهذا الكلام منه (عليه السلام) إشارة إلى الجنّة العقليّة التي للمقرّبين، وهي جوار الله وحضرته المشار إليها بقوله سبحانه:** ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2]، **فلا يبعد أن يُراد بدار الوصال هذه الجَنّة والمجاورة**))[3].

الدار: هي: المحلّ، يجمع البناء والعرصة[4]، فعبر الإمام (عليه السلام) عن شدة المبالغة في القرب. وذهب الشارح في تفسيره لـ(دار الوصال) كناية عن كمال القرب إليه تعالى، وهو القرب المعنوي لا المكاني، حيث عرض الإمام (عليهالسلام) ذمّ الإنسان الذي يتّبع هواه ويبتعد عن الله تعالى ، فإنّه يكون بذلك قد أبتعد عن مصدر الفيض والرحمة الإلهية. فالكناية هنا عن الموصوف، أي: الجوار والقرب الألهي المقدّس.

- **الكناية عن التفويض والتوكّل**

ومن ذلك قول أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام): ((**إلهي هذِهِ أزِمَّةُ نَفْسي عَقَلْتُها بِعقالِ مَشِيَّتِكَ**))[5]. يقول الشارح: ((**والعقْل : الشدّ والحبس والمنع، عقلَ البعير، يعقل عقلاً شدّ**

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٢٠.

(٢) القمر: ٥٤-٥٥.

(٣) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٢٢-١٢٣.

(٤) ينظر: القاموس المحيط: ٣٩٣(دار).

(٥) مفتاح القلاح ومصباح النجاح:١٤٨.

وظيفه إلى ذراعه، ومنه العَقل؛ لأنه يعقِل العاقل ويمنعه عن إرتكابه الأمور التي لا ينبغي إرتكابها...وعقل زِمامها بعقال مشيّة الله، كناية عن تفويض أمرها إليه، والتوكّل في إصلاحها عليه، والتبتّل عن غيره والذهاب بشراشره إليه.

وفيه دلالة على أنها أمّارة بالسوء ميّالة إلى الشرّ، لولا أن تداركها رحمة من الله وألطافه الخاصّة، فتوهّم الجبر مدفوع))[1]. نلاحظ في هذا الموطن من الكناية أنّ الشارح أشار إلى نوع الكناية بلاغياً وبما يؤول اليه سياق الدعاء وهو التفويض والتوكّل على الله تعالى.

فقد صوّر لنا الإمام (عليه السلام) حالة الداعي وهو يضع لكلّ رغبة من رغبات نفسه وشهواتها زِماماً، وهذه الأزِمّة التي وضعها لن تصمد كثيراً أمام النزوات والشهوات المتكررة للنفس، إذا لم يعقلها ويثبتها ليمنعها ويقفها عند حدّها، ولابدّ أن يكون عِقالها قوياً حتى لا تفلت منه، ولم يجد عِقالاً أقوى من عِقال مشيئته تبارك وتعالى، فجاء بها ليشدّها إلى مشيئة الله تعالى، لتنقاد بأمره وتنتهي بنهيه، فيكون ذلك كناية عن نسبة الدّاعي في تفوّيض أمره إلى الله، والرضا والتسليم لمشيئة النافذة، والتوكّل عليه في الصغيرة والكبيرة[2].

---

(١) مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:١٤٨-١٤٩.

(٢) ينظر: شرح دعاء الصباح، الخويلدي: ٧١.

الخاتمة والنتائج

بعد أن مَنَّ الله تعالى عليّ بفضله وعونه في إتمام هذه الرسالة التي عُنيت ببيان المباحث النحوية والدلاليّة في واحد من أقدم شروح دعاء الصباح للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، تمخّضت هذه الدراسة من التوصّل الى نتائج خرج بها الباحث، والتي يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١-كشف البحث عن مدى جهود علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في توظيف اللغة العربية للوقوف على جماليات مكونات كلام آل بيت النبوة (عليهم السلام) والإغتراف من مناهلهم وعلومهم.

٢-إن شرح المازندراني هذا جاء فريداً من نوعه في تناوله شرح كلام امير المؤمنين علي(عليه السلام) ، من حيث الأسلوب والتوسع في الشرح، بحيث لم يصنف قبله مثله على نمطه وربما كان الشارح هو الرائد الأول في هذا الميدان.

٣-للشارح إلمام واسع باللغة العربية من مختلف جوانبها. البلاغية والنحوية والصرفية والدلالية. مع إلمامه بآراء النحويين والأصوليين في مختلف المسائل النحوية والدينية.

٤-أولى الشارح عناية خاصّة بقضايا الأسماء والأفعال والحروف، وكذلك عنايته بالمفاهيم النحوية، كالاستفهام وأدواته والتمييز والحال، وغيرها.

٥- أشار الشارح في شرحه إلى ظواهر الترادف والمشترك اللفظي والتضاد إذ صادفته ألفاظ تندرج تحت هذه الظواهر اللغوية.

٦- أبدى الشارح اهتماماً بحروف المعاني، وأظهر المعاني المختلفة للحرف الواحد، معتمداً في ذلك على السياق الذي يرد فيه.

٧-لم يُصرّح الشارح بمصطلحات التطور الدلالي، وإنّما كان يبحث عن الأصل الذي تطورت منه اللفظة ليصل إلى المعنى الذي آلت إليه.

٨- اعتمد الشارح على السياق في بيان المعنى المراد، فكثير من الألفاظ ذات معانٍ متعددة لا يمكن الوقوف على معانيها إلاّ من خلال السياق.

٩-أظهر لنا البحث عناية الشارح بدلالة أبنية الصيغ الصرفية، وبيّن دلالاتها المختلفة داخل السياق.

١٠- تطرق الشارح إلى كثير من الأساليب اللغوية وعلاقتها بالسياق، منها أسلوب التقديم والتأخير في اللغة، وأبرز الأغراض الدلالية التي يخرج إليها هذا الأسلوب داخل النظم، وكذلك أسلوب الذكر والحذف والتناسب الدلالي.

١١-تميّز الشرح بذكر الكثير من المسائل البلاغية، فقد وجد الشارح من الجانب البلاغي وسيلة مهمة لتقريب المعنى الوارد في كلام الإمام(عليه السلام)، وقد كثرت هذه البلاغات في مباحث المجاز والاستعارة ، والكناية، والتشبيه .

الباحث

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبنية الأفعال، د.نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر: ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.
- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ـ لبنان: ١٤٢٩هـ–٢٠٠م.
- أجوبة المسائل المهنائيّة، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي(ت٧٢٦هـ)، مطبعة الخيام، قم المقدسة–إيران:١٤٠١هـ.
- أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري(ت٢٧٦هـ)، تقديم: علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان: ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة د. رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- اسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان: ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
- اسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- الاصول في النحو، العلاّمة ابي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السرّاج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: محمد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة–مصر: ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.
- الأضداد، أبو بكر محمّد بن القاسم بن الأنباري(ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت–لبنان: ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- الأضداد، للاصمعي (ت٢١٧هـ) وللسجستاني(ت٢٥٥هـ) ولأبن السكيت (ت٢٤٤هـ)، (ثلاثة كتب)، نشرها: د.أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت–لبنان: ١٩١٢م.
- الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: د.عزة حسن، ط٢، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق–سوريا، ١٩٩٦م.

- أضواء على دعاء الصباح، عز الدين بحر العلوم، ط١، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان: ١٤١١هـ–١٩٩١م.
- اعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، ط٥، دار القلم العربي، سوريا: ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.
- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٥م.
- اعيان الشيعة، الإمام محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بغداد–العراق: ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
-
- أمالي في علم البيان وتاريخه، علي عبد الرزاق، مطبعة مقداد التابعة مكتبة النيل، مصر: ١٣٣٠هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة (د–ت).
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله القوتوي الرومي الحنفي (ت٩٧٨هـ)، تعليق: د. يحيى مراد، ط١، دار الكتب العالمية، بيروت ــ لبنان: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.
- أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، الإمام ابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت–لبنان: (د–ت).
- الأيضاح في شرح المفصّل، لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، وزارة الاوقاف، العراق: ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.
- الايضاح في علل النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط٣، دار النفائس، بيروت–لبنان ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد(ت٧٩٣هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، القاهرة–مصر: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٢م.
- البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، د.دلدار غفور حمد امين، ط١، منشورات دار دجلة، الأردن: ٢٠١٤م.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة–مصر: (د–ت).

- البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، عمر بن علوي بن ابي بكر الكاف، ط١، دار الحاوي، بيروت– لبنان: ٢٠٠٠م.
- البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، عبد الرحمن حسن الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت–لبنان: ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.
- البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، د.احمد مطلوب، ط١، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق: ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.
- البلاغة العربية قراءة اخرى، د. محمد عبد المطلب، ط٢، دار نوبار للطباعة، القاهرة–مصر: ٢٠٠٧م.
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، ط٢، منشأة الأسكندرية–مصر: (د.ت).
- البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، علي الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، مصر: (د–ت).
- البلاغة فنونها وأفنانها، د.فضل حسن عباس، ط٤، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن: ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.
- البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان:١٩٩٤م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: د. عبد الفتّاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت: ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: (د–ت).
- تتميم امل الامل، الشيخ عبد النبي القزويني (ت. ق ١٢هـ)، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الخيام، قم–إيران: ١٤٠٧هـ.
- الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي، دار الحرية للطباعة ـ بغداد–العراق: ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.
- تصحيح الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري(ت٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة–مصر: ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- التطبيق النحوي، عبده الراجحي، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر: ١٩٩٨م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن: ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمّار، عمان–الأردن: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

- تفسير التحريروالتنوير، الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس: (د-ت).
- تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٣، دار المعرفة، بيروت – لبنان: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- التوحيد، للشيخ الجليل الاقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي(ت٣٨١هـ)، علق عليه: المحقق السيد هاشم الحسيني الطهراني، ط٤، دار المعرفة، بيروت-لبنان: ١٣٨٧هـ.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، تحقيق: علي سليمان شبارة، ط١، مؤسسة الرسالة /ناشرون، بيروت – لبنان: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ودار الأمل –الأردن: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الجملة العربية تآليفها وأقسامها، د.فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمّان-الأردن: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان: ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د.فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان: ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة(المعاني، والبيان، والبديع)، أحمد الهاشمي، مؤسسة هنداوي، مصر: ٢٠١٧م.
- حاشية الصّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصّبان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوقيفية، مصر: (د-ت).
- حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، ط٢، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية- مصر: (د-ت).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة-مصر:١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصّالح، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان: ٢٠٠٩م.
- دلائل الاعجاز، الامام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي ـ القاهرة–مصر: ٢٠٠٤م.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر: ١٩٨٤م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة وقدّم له وعلّق عليه: د. كمال محمد بشر، ط١، مكتبة الشباب، مصر: ١٩٧٢م.
- ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق: د. احمد خليل الشال، ط١، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بور سعيد– مصر:١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.
- ديوان أمرؤ القيس، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت–لبنان: ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
- الذريعة الى تصانيف الشيعة، العلاّمة الشيخ آقابزرك الطهراني، ط٢، دار الأضواء، بيروت–لبنان: (د–ت).
- رصف المباني في حروف المعاني، الإمام أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمّد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق–سوريا: (د–ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان: (د.ت).
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت١٣١٣هـ)، مكتبة إسماعيليان، قم–إيران:(د–ت).
- الروضة البهيّة في شرح اللّمعة الدّمشقيّة، الشيخ زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت٩٦٦هـ)، ط١٢، مجمع الفكر الإسلامي، قم–ايران: ١٤٣٧هـ.ق.
- زاد المعاد، العلاّمة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي(ت١١١٠هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان: ٢٠٠٣م.
- سِر صناعة الإعراب، إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د.حسن هنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق–سوريا: ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
- الشامل في اللغة العربية، د.عبد الله محمد النقراط، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق–سوريا: ٢٠٠٣م.
- شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت٧٦٩هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث –القاهرة–مصر: ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.

- شرح الأشموني على الفية ابن مالك المسمّى (منهج السالك، الى الفية ابن مالك)، أبو الحسن الاشموني (ت٩٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،:١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ط١، مطبعة هجر ــ مصر: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الشيخ خالد بن عبد الله الازهري (ت٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩هـ)، تحقيق: فوّاز الشعّار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- شرح دعاء الصباح، الشيخ حسن مكي الخويلدي، ط١، دار المصطفى لإحياء التراث، بيروت ــ لبنان:١٤٢٣هـ.
- شرح دعاء الصباح، حاج ملاّ هادي السبزواري، اشراف: الشيخ مصطفى آل مرهون، مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر: (د-ت).
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٨هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قان يونس ــ بنغازي-ليبيا: ١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي(ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإمام ابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد ابن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر: ٢٠٠٤م.
- شرح المفصّل للزمخشري، موفق الدين ابي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان:١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- شرح قطر الندى وبلّ الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٩١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

- شرح كتاب الحدود في النحو، للإمام عبد الله بن احمد الفاكهي النحوي المكّي(ت٩٧٢هـ)، تحقيق: المتولي رمضان احمد الدميري، ط٢، مكتبة وهبة، مصر: ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
- شرح ملاّ جامي (الفوائد الضيائية)، المولى عبد الرحمن بن احمد نور الدين الجامي (ت٨٩٨هـ)، تحقيق: الشيخ احمد عزّو عناية، والأستاذ علي محمد مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- شرح نبراس الهدى في أسرار الفقه واحكامها، المولى هادي السبزواري(ت١٢٨٩هـ)، تحقيق: محسن بيدارفر، ط٢، منشورات بيدار، قم المقدسة-إيران: ١٤٣٤هـ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، أبو الحسن نشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني ، و د.يوسف محمد عبد الله، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان:١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، احمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة-مصر: ١٣٢٨هـ-١٩١٠م.
- الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث القاهرة-مصر: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الأسكندرية-مصر: ١٩٩٨م.
- علم البيان، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- علم الدّلالة، د.احمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب، القاهرة-مصر: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الدايه، ط٢، دار الفكر، دمشق – سوريا: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- علم اللغة، د.محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان:(د.ت).
- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، احمد مصطفى المراغي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان:١٤٤١هـ-١٩٩٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت-لبنان: ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- عوالي اللئآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد علي بن إبراهيم الأحسائي، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، ط١، قم المقدسة–ايران:١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
- عيون أخبار الرضا(عليه السلام)، المحدث الكبير الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي(ت٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١ ستارة قم–ايران: ١٤٣١هـ.
- غِرر الحِكم ودرر الكلم، القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي(ت٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق: عبد الحس دهيني، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان: ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
- غريب القرآن المسمى بـ(نزهة القلوب)، للإمام أبي بكر محمّد بن عزيز السجستاني(ت٢٥٥هـ)، تصحيح ومراجعة : مصطفى عناني بك، ط٢، المطبعة الرحمانية، مصر: ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م.
- فروع الكافي، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٩هـ)، علق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت–لبنان: ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
- الفروق اللغويّة، لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر: (د–ت).
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي(ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر، ط١، دار البشير، عمان–الأردن، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر: ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.
- فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، ط٣، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– مصر: ٢٠٠٤م.
- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان: ١٩٧٢م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان: (د–ت).
- فقه اللغة وسرّ العربية، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، قراءة وعلق عليه: خالد فهمي، وتصدير: د. رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي ـ القاهرة–مصر: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

- الفوائد الرجالية، العلاّمة محمد إسماعيل الخواجوئي الاصفهاني (ت١١٧٣هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط١، مطبعة مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، إيران:١٤١٣هـ.
- في أصول اللغة، احمد مختار عمر، ط١، مجمع اللغة العربية، القاهرة–مصر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- في اللّهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط ٨، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة–مصر: ١٩٩٢.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان: ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضليّات، د.عبد الكريم محمّد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية ـ مصر: ١٩٩٧م.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو حبيب، ط٢، دار الفكر، دمشق ـ سورية: ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني(ت٣٢٩هـ)، ط١، منشورات الفجر، بيروت–لبنان:٢٠٠٧–١٤٢٨هـ.
- الكتاب (كتاب سيبويه)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر: ١٤١٦–١٩٩٦م.
- كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي(ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، ط٢، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق–سوريا:١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- كتاب الأضداد، لأبي علي محمّد بن المُستنير المشهور بـ(قطرب) (ت٢٢٦هـ)، تحقيق: د.حنّا حدّاد، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ــ المملكة العربية السعودية: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.
- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز(ت٣٩٩هـ)، تحقيق: عرفان مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت–لبنان: ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م.
- كتاب التعريفات، للفاضل العلاّمة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح – لبنان: ١٩٨٥م.
- كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د.عزة حسن، ط٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق–سوريا: ١٩٩٦م.
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

- كتاب المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري(ت ١٢٨١هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر، ط١، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت – لبنان: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- كتاب دلائل الأعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي(ت٤٧١هـ)، علق عليه: محمود محمد شاكر، ط٥، مطبعة الخانجي، القاهرة-مصر: ٢٠٠٤م.
- كتاب معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر:١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة(ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقيا، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان: (د.ت).
- الكُليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، ط٢، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ـ لبنان: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الكُنى والألقاب، الشيخ عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، تقديم: محمد هادي الاميني، مكتبة الصدر، طهران-إيران: (د-ت).
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت ــ لبنان: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، تصحيح: امين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، دار الثقافة، المغرب: ١٩٩٤م.
- اللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة-مصر:١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د.عباس صادق الوهاب ، مراجعة: د.يوئيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق: ١٩٨٧م.
- اللغة، ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر: ٢٠١٤م.
- اللُمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلأوي للنشر، عمان-الأردن: ١٩٨٨م.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، لأبي العباس محمّد بن يزيد المبرّد النحوي(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: د. أحمد محمّد سليمان أبو رعد، ط١، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت: ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

- متخيّر الألفاظ، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: هلال ناجي، ط١، مطبعة المعارف، بغداد–العراق: ١٣٩٠هـ–١٩٧٠م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د.احمد الحوفي، ود.بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة–مصر: (د.ت).
- مُجمل اللّغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللّغوي(ت٣٥٩هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة ـ بيروت–لبنان: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- المدارس النحوية اسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان–الأردن:١٩٨٧م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، ط٣، مطبعة الخانجي، القاهرة–مصر: ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د.مهدي المخزومي، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر: ١٣٧٧هـ–١٩٥٨م.
- المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، د.علي رضا، دار الفكر، بيروت–لبنان: (د.ت)،
- المزهر في علوم اللغة وانواعها، العلاّمة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، شرح وتعليق: محمّد أحمد جاد المولى بك ومحمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت–لبنان: (د–ت).
- المسائل المنثورة، لأبي علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. شريف عبد الكريم النجار، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان–الأردن: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.
- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان: ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(٧٧٠هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة–مصر: (د.ت).
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض احمد القوزي، ط١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، السعودية: ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
- المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلاّمة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(ت٧٩٢هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان: ٢٠١٣م.
- معاني الحروف، الإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم العشاحسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت–لبنان، (د–ت).

- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، ط٣، عالم الكتب /بيروت–لبنان: ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان ـ الأردن: ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.
- معجم الإعراب والاملاء، د.إميل يعقوب، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان: ١٩٨٣م.
- معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدسة–ايران: ١٤٣٣هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة–مصر: ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ط١، التعاضدية العمالية، صفاقس–تونس: ١٩٨٦م.
- معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصار، ط١، دار المعتز، عمان –الأردن: ٢٠٠٩م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق: ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي–العراق: ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- المعجم المفصّل في الأضداد، د.أنطونيوس بطرس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة–مصر: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر: ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط٥، دار الفكر –بيروت: ١٩٧٩م.
- مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي(ت٣٨٧هـ)، مراجعة : محمد كمال الدين الأدهمي، ط١، قام بطبعه وتصحيحه وترقيمه عثمان خليل، مصر: ١٣٤٩هـ–١٩٣٠م.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تعليق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

- مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح، للعلاّمة المحقق محمد إسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني الخواجوئي(ت١١٧٣هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، مشهد–ايران: ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت–لبنان، (د–ت).
- المفصّل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط٢، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت– لبنان:(د.ت).
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٣، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة ـ مصر: ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.
- المقرّب ومعه مُثُل المقرّب، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الحضرمي الاشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- مناقب اهل البيت (عليهم السلام)، أبو الحسن علي بن محمد الجلابي الواسطي المالكي ابن المغازلي(ت٤٨٣هـ)، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، ط١، نكَار، طهران–ايران: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- مناهج البحث في اللغة، تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر: ١٩٩٠م.
- المنطق، الشيخ محمد رضا المظفّر(ت١٣٨٣هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت–لبنان: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد–العراق: ١٩٨٦م.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط ٣، دار المعارف، مصر: (د–ت).
- النحو والدلالة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، دار الشروق، القاهرة–مصر: ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتاب الأسلامي، القاهرة–مصر: (د.ت).
- النكت في إعجاز القرآن، لابي الحسن علي بن عيسى الرماني(ت٣٨٤هـ)، عني بتصحيحه: د.عبد العليم ، مكتبة الجامعة المليّة الإسلامية ، دهلي–الهند: ١٩٣٤م.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: د.نصر الله حاجي مفتي أوغلي، ط١، دار صادر، بيروت–لبنان: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري المعروف بابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمّد الطناحي وطاهر أحمد الزأوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان: (د–ت).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، الامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: احمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان: ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- البحث الدلالي في كتب اعجاز القرآن حتى نهاية القرن السابع الهجري، أحمد عبد الله محمّد النشمي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق: ٢٠٠٢م
- الجملةُ في الصَّحيفة السَّجَّاديَّة دِراسة دَلاليَّة، عماد جبار كاظم، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، العراق: ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق: ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.
- كتاب التبيان في البيان للإمام الطيبي المتوفى(سنة ٧٤٣هـ) تحقيقاً ودراسة، عبد الستار حسين مبروك ، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، مصر: ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.
- معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القران الكريم ودواوين شعراء المعلّقات السبع، رزاق عبد الأمير مهدي الطيار، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد–العراق: ٢٠٠٥م.
- الواوات والياءات في النحو والصرف، فتحية حسين عطار، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرّمة–السعودية: ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

البحوث

- ثنائية التقابل الصوري بين المؤمن والكافر في سورة النساء، د. وسن عبد المنعم، الكلية التربية المفتوحة، ديالى، مجلّة كليّة الآداب، العدد ٩١: ٢٠٠٩م.
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة، د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر: ١٩٨٤م.